۸۴۴۴ - ن

[illegible] شورای ملی

کتاب مقامات حریری مرغ ۷۳۱

مؤلف قاسم بن علی بن محمد حریری

موضوع

شمارهٔ قفسه ۷۹۵۰

شماره ثبت کتاب ۷۸۷۶۰

۱۱۳۴۹

بازدید شد ۱۳۸۳

خطی - فهرست شده

۷۹۵۰

الجزو اول

فى الجملة فى الفقراء على التفضيل على الاغنياء

وكان الحسن البصرى

۸۲۴۴-ن

کتابخانه مجلس شورای ملی

کتاب مقامات حریری ۷۳۱

مؤلف قاسم بن علی بن محمد حریری

موضوع

شماره ثبت ۷۹۵۰

بازدید شد ۱۳۸۳

خطی - فهرست شده

۷۹۵۰

الجزء الاول

۸۲۴۴-ن

...شورای ملی
کتاب مقامات حریری مربع ۷۳۱
مؤلف قاسم بن علی بن محمد حریری
موضوع
شماره قفسه ۷۹۵۰
شماره ثبت کتاب ۷۸۷۶۰
۱۱۳۲۹

بازدید شد
۱۳۸۳

خطی - فهرست شده
۷۹۵۰

هذا الكتاب مقامات الحريري

كاتبه وقرأه الحسين بن محمد الاطي

رأه خدمة المولى المعظم والمغفور الأعظم

عز الملة والدين كمال الإسلام الملك ... بن محمد بن عبد الله أدام الله

أفضاله وطول عمره الف سنة

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليه توكلت

اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان والهمت من التبيان
كما نحمدك على ما اسبغت من العطاء واسبلت من الغطاء ونعوذ
بك من شرة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة
اللكن وفضوح الحصر ونستكفي بك من افتتان باطراء
المادح واغضاء المسامح كما نستكفي بك من انتصاب
لازراء القادح وهتك الفاضح ونستغفرك من سوق
الشهوات الى سوق الشبهات كما نستغفرك من نقل
الخطوات الى خطط الخطيات ونستوهب منك توفيقا
قائدا الى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا

متحليا

متحليا بالصدق ونطقا مؤيدا بالحجة واصابة ذائدة عن
الزيغ وعزيمة قاهرة هوى النفس وبصيرة ندرك بها عرفان
القدر وان تسعدنا بالهداية الى الدراية وتعضدنا بالاعانة
على الابانة وتعصمنا من الغواية في الرواية وتصرفنا عن
السفاهة في الفكاهة حتى نامن حصائد الالسنة ونكفى غوائل
الزخرفة فلا نرد مورد مأثمة ولا نقف موقف مندمة ولا
نرهق بتبعة ولا معتبة ولا نلجأ الى معذرة عن بادرة
اللهم فحقق لنا هذه المنية وانلنا هذه البغية
ولا تضحنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا مضغة للماضغ فقد
مددنا اليك يد المسألة وبخعنا لك بالاستكانة والمسكنة
واستنزلنا كرمك الجم وفضلك الذي عم بضراعة الطلب
وبضاعة الامل ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر والشفيع
المشفع في المحشر الذي ختمت به النبيين واعليت درجته

في علينا ووصفه في كتابك المبين فقلت وأنت اصدق القائلين
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اللهم فصلّ عليه وعلى
آله الهادين واصحابه الذين شادوا الدين واجعلنا لهديه
وهديهم متبعين وانفعنا بمحبته ومحبتهم اجمعين انك
على كل شيء قدير وبالاجابة جدير وبعد فانه جرى في
بعض اندية الادب الذي ركدت في هذا العصر ريحه وخبت
مصابيحه ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة
همذان رحمه الله وعزا الى ابي الفتح الاسكندري نشأتها
والى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا يعرف ونكرة
لا تتعرف فاشار من اشارته حكم وطاعته غنم الى
ان انشئ مقامات اتلو فيها تلو البديع وان لم يدرك الظالع
شأو الضليع فذاكرته بما قيل فيمن الف بين كلمتين ونظم
بيتا او بيتين واستقلت من هذا المقام الذي يحار الفهم
ويفرط

ويفرط الوهم ويسبر غور العقل ويتبين فيه المرء ويضطر
صاحبه الى ان يكون كحاطب ليل او جالب رجل وخيل وقلما
يسلم مكثار او اقيل له عثار فلما لم يسعف بالاقالة ولا
اعفى عن المقالة لبيت دعوته تلبية المطيع وبذلت
في مطاوعته جهد المستطيع وانشأت على ما اعانيه من
قريحة جامدة وفطنة خامدة وروية ناضبة وهموم
ناصبة خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله
ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان ودرره وملح الادب
ونوادره الى ما وشحتها به من الآيات ومحاسن الكنايات
ورصعته فيها من الامثال العربية واللطائف الادبية
والاحاجي النحوية والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة
والخطب المحبرة والمواعظ المبكية والاضاحيك
الملهية مما امليت جميعه على لسان ابي زيد السروجي

وأسندت روايته إلى الحارث بن همام البصري وما قصدت
بالإحماض فيه إلا تنشيط قارئيه وتكثير سواد طالبيه ولم
أودعه من الأشعار الأجنبية إلا بيتين فذين أسست
عليهما بنية الحلوانية وآخرين توأمين ضمنتهما خواتم
الكرجية وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره ومقتضب حلوه
ومره هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق غايات
وصاحب آيات وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة
ولو أوتي بلاغة قدامة لا يغترف إلا من فضالته ولا يسري
ذلك المسرى إلا بدلالته ولله در القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وأرجو أن لا أكون في هذا الهذر الذي أوردته والمورد
الذي توردته كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع

مارن

مارن أنفه بكفه فألحق بالأخسرين أعمالا الذين
ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا على أني وإن أغمض لي الفطن المتغابي ونضح
عني المحب المحابي لا أكاد أخلص من غمر جاهل
أو ذي غمر متجاهل يضع مني لهذا الوضع ويندد بأنه
من مناهي الشرع ومن نقد الأشياء بعين المعقول
وأنعم النظر في مباني الأصول نظم هذه المقامات
في سلك الإفادات وسلكها مسلك الموضوعات عن
العجماوات والجمادات ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك
الحكايات أو أثم رواتها في وقت من الأوقات ثم إذا
كانت الأعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات
فأي حرج على من أنشأ ملحا للتنبيه لا للتمويه ونحا
بها منحى التهذيب لا الأكاذيب وهل هو في ذلك

إلا لمنزلة من انتدب لتعليم أو هدى إلى صراط مستقيم
على أنني راضٍ بأن أحمل الهوى ۝ وأخلص منه لا عليّ ولا ليا ۝
وبالله أعتضد فيما أعتمد وأعتصم مما يصم وأسترشد
إلى ما يرشد فما المفزع إلا إليه ولا الاستعانة إلا به
ولا التوفيق إلا منه ولا الموئل إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب

المقامة الأولى

حدث الحارث بن همام قال لما اقتعدت غارب اغتراب
وأنأتني المتربة عن الأتراب طوحت بي طوائح الزمن
إلى صنعاء اليمن فدخلتها خاوي الوفاض بادي الإنفاض
ولا أملك بلغة ولا أجد في جرابي مضغة فطفقت
أجوب طرقاتها مثل الهائم وأجول في حوماتها جولان
الحائم وأرود في مسارح لمحاتي ومسايح غدواتي وروحاتي

كريما

كريماً أخلق له ديباجتي وأبوح إليه بحاجتي أو أديباً
تفرّج رؤيته غمّتي وتروي روايته غلّتي حتى أدّتني
خاتمة المطاف وهدتني فاتحة الألطاف إلى نادٍ رحيب
محتوٍ على زحام ونحيب فولجت غابة الجمع لأسبر مجلبة
الدمع فرأيت في بهرة الحلقة شخصاً شخت الخلقة
عليه أهبة السياحة وله رنة النياحة وهو يطبع
الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر وعظه
وقد أحاطت به أخلاط الزمر إحاطة الهالة بالقمر
والأكمام بالثمر فدلفت إليه لأقتبس من فوائده وألتقط
بعض فرائده فسمعته يقول حين خبّ في مجاله
وهدرت شقاشق ارتجاله أيها السادر في غلوائه
السادل ثوب خيلائه الجامح في جهالاته الجانح إلى
خزعبلاته إلامَ تستمر على غيّك وتستمرئ مرعى بغيك

وحمام تتناهى في زهوك ولا تنتهي عن لهوك تبارز
بمعصيتك مالك ناصيتك وتجتري بقبح سيرتك على
عالم سريرتك وتتوارى عن قريبك وانت بمراى رقيبك
وتستخفي من مملوكك وما تخفى خافية عن مليكك أتظن
ان ستنفعك حالك اذا حان ارتحالك او ينقذك
مالك حين توبقك اعمالك او يغني عنك ندمك اذا
زلت بك قدمك او يعطف عليك معشرك يوم يضمك محشرك
هلا انتهجت محجة اهتدائك وعجلت معالجة دائك
وفللت شباة اعتدائك وقدعت نفسك فهي اكبر
اعدائك اما الحمام ميعادك فما اعدادك وبالمشيب
انذارك فما اعذارك وفي اللحد مقيلك فما قيلك والى
الله مصيرك فمن نصيرك طالما ايقظك الدهر
فتناعست وجذبك الوعظ فتقاعست وتجلت لك

العبر

العبر فتعاميت وحصحص لك الحق فتماريت واذكرك
الموت فتناسيت وامكنك ان تواسي فما اسيت تؤثر فلسا
توعيه على ذكر تعيه وتختار قصرا تعليه على بر توليه
وترغب عن هاد تستهدي به الى زاد تستهديه وتغلب
حب ثوب تشتهيه على ثواب تشتريه يواقيت الصلات
اعلق بقلبك من مواقيت الصلوة ومغالاة الصدقات
آثر عندك من موالاة الصدقات وصحاف الالوان اشهى
اليك من صحائف الاديان ودعابة الاقران آنس لك
من تلاوة القرآن تأمر بالمعروف وتنتهك حماه وتحمي
عن المنكر ولا تتحاماه وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ثم انشد
تبا لطالب دنيا ثنى اليها انصبابه ما يستفيق غراما بها وفرط
ولو درى لكفاه مما يروم صبابه ثم انه لبد عجاجته

وغيض مجاجته واعتضد شكوته وتأبط هراوته فلما
رنت الجماعة الى تحفزه ورأت تأهبه لمزايلة مركزه ادخل
كل منهم يده في جيبه فأفعم له سجلا من سيبه وقال
اصرف هذا في نفقتك او فرقه على رفقتك فقبله منهم
مغضيا وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودع من يشيعه
ليخفى عليهم مهيعه ويسرب من يتبعه لكي يجهل مربعه
قال الحارث بن همام فاتبعته مواريا عنه عياني
وقفوت اثره من حيث لا يراني حتى انتهى الى مغارة فانساب
فيها على غرارة فأمهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم
هجمت عليه فوجدته مثافنا لتلميذ على خبز سميذ و
جدي حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له يا هذا
أيكون ذاك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ
وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق الي حتى خفت

ان يسطوا

ان يسطو علي فلما ان خبت ناره وتوارى اواره انشد

لبست الخميصة ابغي الخبيصة وانشبت شصي في كل شيصه
وصيرت وعظي احبولة اريغ القنيص بها والقنيصه
والجاني الدهر حتى ولجت بلطف احتيالي على الليث عيصه
على اني لم اهب صرفه ولا نبضت لي منه فريصه
ولا شرعت بي على مورد يدنس عرضي نفس حريصه
ولو انصف الدهر في حكمه لما ملك الحكم اهل النقيصه

ثم قال لي ادن فكل وان شئت فقم فقل
فالتفت الى تلميذه وقلت له عزمت عليك بمن تستدفع
به الأذى لتخبرني من ذا فقال هذا ابو زيد السروجي
سراج الغرباء وتاج الادباء فانصرفت من حيث اتيت
وقضيت العجب مما رأيت

المقامة الثانية الحلوانية

حكى الحارث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم و
نيطت بي العمائم بأن أغشى معان الأدب وأنضي إليه ركاب
الطلب لأعلق منه بما يكون لي زينة بين الأنام ومزنة عند
الأوام وكنت لفرط اللهج باقتباسه والطمع في
[illegible] لباسه أباحث كل من جل وقل وأستسقي الوبل
[illegible] أتعلل بعسى ولعل فلما حللت حلوان وقد
[illegible] خوان وسبرت الأوزان وخبرت ما شان وزان
[illegible] زيد السروجي يتقلب في قوالب الانتساب
[illegible] الاكتساب فيدعي تارة أنه من آل ساسان
ويعتزي مرة الى أقيال غسان وموشيرة من قبل الأزد ويحلي
بكبسة الأزد ويبرز طورا في شعار الشعراء ويلبس حينا
كبر الكبراء بيد أنه مع تلون حاله وتبين محاله يتحلى
برواء ورواية ومداراة ودراية وبلاغة رائعة وبديهة

مطاوعة وآداب بارعة وقدم راسخة في العلوم فارعة فكان
لمحاسن آلاته يلبس على علاته ولسعة روايته يصبى إلى
رؤيته ولخلابة عارضته يرغب عن معارضته ولعذوبة
إيراده يسعف بمراده فتعلقت بأهدابه لخصائص آدابه
ونافست في مصافاته لنفائس صفاته شعر

فكنت به أجلو همومي وأجتلي زماني طلق الوجه ملتمع الصبا
أرى قربه قربى ومغناه غنية ورؤيته ريا ومحياه لي حبا

ولبثنا على ذلك برهة تنشئ لي كل يوم نزهة وتذرأ عن
قلبي شبهة الى أن جحدت له يد الإملاق كابن العراق
وأغراه عدم العراق الى مطلع العراق ولفظته معاوز
الإرفاق الى معاوز الآفاق ونظمه في سلك الرفاق
خفوق راية الإخفاق فشحذ للرحلة غرار عزمه وظعن
يقتاد القلب بأزمة شعر

فما راقني من لاقني بعد بعده، ولا شاقني من ساقني بوصاله
ولا أتيح لي مذ نأى ندٌّ لفضله، ولا ذو خلال يجاري خلاله
واستمر عني حينًا لا أعرف له عرينًا ولا أجد عنه مبينًا
فلما أبت من غربتي إلى منبت شعبتي حضرت دار كتبها
التي هي منتدى المتأدبين وملتقى القاطنين منهم
والمتغربين فدخل ذو لحية كثة وهيئة رثة فسلم على
الجلاس وجلس في أخريات الناس ثم أخذ يبدي ما في وطابه
ويعجب الحاضرين بفصل خطابه فقال لمن يليه ما الكتاب
الذي تنظر فيه فقال ديوان أبي عبادة المشهود له بالإجادة
فقال هل عثرت له فيما لمحته على بديع استملحته قال نعم
بانت تدلي حتى الصباح أغيد مجدول مكان الوشاح
كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح
فإنه أبدع في التشبيه المودع فيه فقال له يا للعجب
وللضيعة

وللضيعة الأدب لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت
في غير ضرم أين أنت من البيت الندر الجامع مشبهات الثغر
نفسي الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن أقاح وعن طلع وعن حبب
فاستجاده من حضر واستحلاه واستعاده منه واستملاه
وسئل لمن هذا البيت وهل حي قائله أم ميت فقال أيم الله
للحق أحق أن يتبع وللصدق حقيق بأن يستمع
إنه والله يا قوم لنجيكم منذ اليوم قال فكأن الجماعة
ارتابت بعزوته وأبت تصديق دعوته فتوجس ما هجس
في أفكارهم وفطن لما بطن من استنكارهم وحاذر أن
يفرط إليه الذم فقرأ إن بعض الظن إثم ثم قال يا رواة
القريض وأساة القول المريض إن خلاصة الجوهر تظهر
بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك وقد قيل فيما غبر

فما غير من الزمان عند امتحان كرم الاخوان وما اوفد
عرضت خبيئتي للاختبار وعرضت حقيقتي على الاعتبار
فانبرى احد من حضر وقال اعرف بيتا لم ينسج على
منواله ولا سمحت قريحة بمثاله فان آثرت اجتلاب المغلوب
فانظم على هذا الاسلوب وانشد

فامطرت لؤلؤا من نرجس فسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

فلم يكن الا كلمح البصر او هو اقرب حتى انشد واغرب

سألتها حين زارت نضو برقعها القاني وايداع سمعي اطيب الخبر
فزحزحت شفقا غشى سنا قمر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

فحار الحاضرون لبداهته واعترفوا بنزاهته فلما آنس
استئناسهم بكلامه وانصبابهم الى شعب اكرامه اطرق
كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين آخرين ** وانشد

وأقبلت يوم جد البين في حلل سود تعض بنان النادم الحصر

فلاح ليل

فلاح ليل على صبح اقلهما غصن وضرست البلور بالدرر

فحينئذ استسنى القوم قيمته واستغزروا ديمته واجملوا
عشرته وجملوا اقترته قال المخبر بهذه الحكاية فلما
رأيت تلهب جذوته وتألق جلوته امعنت النظر في توسمه
وسرحت الطرف في ميسمه فاذا هو شيخنا السروجي وقد
اقمر ليل الدجوجي فهنأت نفسي بمورده وابتدرت
باستلام يده وقلت له ما الذي احال صفتك حتى جهلت
معرفتك واي شيء شيب لحيتك حتى انكرت حليتك

فانشأ يقول

وقع الشوائب شيب والدهر بالناس قلب
ان دان يوما لشخص ففي غد يتغلب
فلا تثق بوميض من برقه فهو خلب
واصبر اذا هو اضرى بك الخطوب والب
فما على التبر عار في النار حين يقلب

ثم نهض مفارقا موضعه ومرتحلا القلوب معه

المقامة الثالثة روى الحارث بن همام قال

نظمني واخدانا لي نادٍ لم يخب فيه منادٍ ولا كبا فيه قدح
زناد ولا ذكت فيه نار عناد فبينا نحن نتجاذب اطراف
الاناشيد ونتوارد طرف الاسانيد اذ وقف بنا شخص عليه
سمل وفي مشيته قزل فقال يا اخاير الذخاير وبشاير العشاير
عموا صباحا وانعموا اصطباحا وانظروا
الى من كان ذا ندي وندى وجدة وجدى وعقار
وقرى ومقار وقرى فما زال به قطوب الخطوب وحروب
الكروب وشرر شر الحسود وانتياب النوب السود
حتى صفرت الراحة وقرعت الساحة وغار المنبع ونبا
المربع واقوى المجمع واقض المضجع واستحالت
الحال واعول العيال وخلت المرابط ورحم الغابط واودى

الناطق

الناطق والصامت ورثى لنا الحاسد والشامت وآل بنا
الدهر الموقع والفقر المدقع الى ان احتذينا الوجى
واغتذينا الشجى واستبطنا الجوى وطوينا الاحشاء
على الطوى واكتحلنا السهاد واستوطنا الوهاد وا
ستوطانا القتاد وتناسينا الاقتاد واستطبنا الحين
المجتاح فهل من حر آس او سمح مواس فوالذي استخرجني
من قيلة لقد امسيت اخا عيلة لا املك بيت ليلة
قال الحارث بن همام فاويت لمفاقرة ولويت الى استنباط
فقره فابرزت دينارا وقلت له اختبارا ان مدحته
نظما فهو لك حتما فانبرى ينشد في الحال من غير انتحال
اكرم به اصفر راقت صفرته جواب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته قد اودعت سر الغنى اسرته
وقارنت نجح المساعي خطرته وحببت الى الانام غرته

كأنما من القلوب نقرته * به يصول من حوته صرته
وإن تفانت أو توانت عترته * يا حبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته * كم آمرٍ به استتبت إمرته
ومترفٍ لولاه دامت حسرته * وجيش همٍّ هزمته كرّته
وبدر تمٍّ أنزلته بدرته * وكم أسيرٍ أسلمته أسرته
أنقذه حتى صفت مسرته * وحقّ مولًى أبدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلّت قدرته * ثم بسط يده

بعدما أنشده وقال أنجز حرٌّ ما وعد وسحّ خالٌ
إذا رعد فنبذت الدينار إليه وقلت له خذه غير مأسوف
عليه فوضعه في فيه وقال بارك اللهم فيه ثم شمّر للانثناء
بعد توفية الثناء فنشأت لي من فكاهته نشوة
غرامٍ سهّلت عليّ ابتياع اغترام فجرّدت دينارًا آخر
وقلت له هل لك في أن تذمّه ثم تضمّه فأنشد مرتجلًا
وشدا عجلًا

تبا له من

تبًّا له من خادعٍ مماذقِ * أصفرَ ذي وجهين كالمنافقِ
يبدو بوصفين لعين الرامقِ * زينةِ معشوقٍ ولونِ عاشقِ
وحبّه عند ذوي الحقائقِ * يدعو إلى ارتكاب سخط الخالقِ
لولاه لم تقطع يمين سارقِ * ولا بدت مظلمةٌ من فاسقِ
ولا اشمأزّ باخلٌ من طارقِ * ولا اشتكى الممطول مطل العائقِ
ولا استعيذ من حسودٍ راشقِ * وشرّ ما فيه من الخلائقِ
أن ليس يغني عنك في المضايقِ * إلا إذا فرّ فرار الآبقِ
واهًا لمن يقذفه من حالقِ * ومن إذا ناجاه نجوى الوامقِ
قال له قول المحقّ الصادقِ * لا رأي في وصلك لي ففارقِ

فقلت له لما سكت ما أغزر وبلك فقال والشرط أملك
فنفحته بالدينار الثاني وقلت له عوّذهما بالمثاني
فألقاه في فمه وقرنه بتوأمه وانكفأ يحمد مغداه
ويمدح النادي ونداه قال الحارث بن همام فناجاني

قلبي بانه ابو زيد وان تعارجه لكيد فاستعدته وقلت له
قد عرفت بوشيك فاستقم في مشيك فقال ان كنت ابن همام فحييت
بالاكرام وحييت بين كرام فقلت انا الحرث فكيف حالك
والحوادث فقال انقلب في حالين بؤس ورخاء وانقلب
مع الريحين زعزع ورخاء فقلت كيف ادعيت
القزل وما مثلك من هزل فاستنشر بشره الذي كان
تجلي ثم انشد حين ولي

تعارجت لا رغبة في العرج * ولكن لاقرع باب الفرج
والقي حبلي على غاربي * واسلك مسلك من قد مرج
فان لامني القوم قلت اعذروا * فليس على اعرج من حرج

المقامة الرابعة خبر الحرث بن همام

قال طعنت الى دمياط عام هياط ومياط وانا يومئذ
مرموق الرخاء موموق الاخاء اسحب مطارف الثراء
واجتلي معارف السراء فرافقت صحابا قد شقوا
عصا الشقاق وارتضعوا افاويق الوفاق حتى لاحوا
كاسنان المشط في استواء وكالنفس الواحدة في التئام
الاهواء وكنا مع ذلك نسير النجاء ولا نرحل الا كل
هوجاء واذا نزلنا منزلا او وردنا منهلا اختلسنا
اللبث ولم نطل المكث فعن لنا اعمال الركاب في ليلة
فتية الشباب غدافية الاهاب فاسرينا الى ان نصل
الليل شبابه وسلت الصبح خضابه فحين مللنا السرى
وملنا الى الكرى صادفنا ارضا مخضلة الربى معتلة
الصبا فتخيرناها مناخا للعيس ومحطا للتعريس فلما
حلها الخليط وهدا بها الاطيط والغطيط سمعت
صيتا من الرجال يقول لسميره في الرحال كيف حكم سيرتك

مع جيلك جيرتك فقال أراعي الجار ولو جار وأبذل الوصال
لمن صال وأحتمل الخليط ولو أبدى التخليط وأود الحميم
ولو جرعني الحميم وأفضل الشفيق على الشقيق وأفي
للعشير ولو لم يكافئ بالعشير وأستقل الجزيل للنزيل
وأغمر الزميل بالجميل وأنزل سميري منزلة أميري
وأحل أنيسي محل رئيسي وأودع معارفي عوارفي وأولي
مرافقي مرافقي وألين مقالي للقالي وأديم تسآلي عن
السالي وأرضى من الوفاء باللفاء وأقنع من الجزاء
بأقل الأجزاء ولا أتظلم حين أظلم ولا أنقم ولو
لدغني الأرقم فقال له صاحبه ويك يا بني
إنما يضن بالضنين وينافس في الثمين لكني أنا لا أواتي
غير المواتي ولا أسيم العاني بمراعاتي ولا أصافي من يأبى إنصافي
ولا أواخي من يلغي الأواخي ولا أمالي من يخيب آمالي

ولا أبالي

ولا أبالي بمن صرم حبالي ولا أداري من جهل مقداري
ولا أعطي زمامي من يخفر ذمامي ولا أبذل ودادي
لأضدادي ولا أدع إيعادي للمعادي ولا أغرس أيادي
في أرض الأعادي ولا أسمح بمواساتي لمن يفرح بمساءتي
ولا أرى التفاتي إلى من يشمت بوفاتي ولا أخص بحبائي
إلا أحبائي ولا أستطب لدائي غير أودائي ولا أملك
خلتي من لا يسد خلتي ولا أصفي نيتي لمن يتمنى منيتي
ولا أخلص دعائي لمن لا يفعم وعائي ولا أفرغ ثنائي
على من يفرغ إنائي ومن حكم بأن أبذل وتخزن وألين
وتخشن وأذوب وتجمد وأذكو وتخمد لا والله بل
نتوازن في المقال وزن المثقال ونتحاذى في الفعال
حذو النعال بالنعال حتى نأمن التغابن ونكفى التضاغن
وإلا فلم أعلك وتعلني وأقلك وتستقلني وأجرح

لكن تجربتي وأسرح إليك فرحي وكيف تجانب انصاف

بضيم وأنّى تنزع عيس مع غيم ومنّي أصحب ودّ

بعسف وأيّ حرّ رضي بخطة خسف ولله أبوك

إذ يقول حزنت من اعلوي ودنا أمر نحني على أسه

وكلتُ للخِلّ كما كال لي على وفاء الكيل أو بخسه

ولم أخسره وشر الورى من تيوما احتسر من أسه

وكل من يطلب عندي جنى فما له إلا جنى غرسه

لا أبتغي الغبن ولا أنثني لصفقة المغبون في حسه

ولست بالموجب حقاً لمن لا يوجب الحق على نفسه

ورب من إن الهوى خالني أصدقه الود على لبسه

وما درى من جهله أنني أقضي غريم الدين من جنسه

فاهجر من استغنى بحبل القلى وهبه كالملحود في رمسه

والبس لمن في وصله لبسة لباس من يرغب عن أنسه

ولا ترج الود ممن يرى أنك محتاج إلى فلسه

قال الحرث بن همام

قال الحرث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما تُقت إلى

أن أعرف عينهما فلما لاح ابن ذكاء وألحف الجوّ الضياء

غدوت قبل استقلال الركاب لا أعتبر العراب

وجعلت أتقرّى صوب الصوت الليلي وأتوسّم الوجوه

بالنظر الجلي إلى أن لمحت أبا زيد وابنه يتحادثان

وعليهما بردان رثّان فعلمت أنهما نجيّا ليلتي وصاحبا

دوائي فقصدتهما قصد كلِف بدماثتهما رثى

لرثاثتهما وأتحفتهما التحوّل إلى رحلي والتحكيم في كُثري

وقُلّي وطفقت أستحثّ السيّارة في فضلهما وأعوّذ

المتموّل لهما إلى أن غمرا بالنائل واتخذه أمع الخلائق

وكنا بمعرّس يتبيّن منه بنيان القرى ويتبوّد منه

أبنية القرى فلما رأى أبو زيد امتلاء كيسه وانجلاء

بؤسه قال لي إن بدني قد اتسخ ودرني قد رسخ

أما أذن في قصد قريته لأستنجح وأقتضي منه المغرم
فقلت له إذا أثبت ذاك فالسرعة السرعة والرجعة
الرجعة فقال ستجدني مطّلعي عليك أسرع من ارتداد
طرفك إليك ثم استن استنان الجواد في المضمار
وقال لابنه بدار بدار ولم نخل أنه عرج على طلب
المغرم فلبثنا نرقب رفقة أهله لا عيا ونستطلعه
بالطلائع والرواد إلى أن هرم النهار وكاد
جرف اليوم ينهار فلما طال أمد الانتظار وقد
راحت الشمس في الأطمار قلت لأصحابي قد تناهينا
في المهلة وتمادينا في الرحلة إلى أن أضعنا الزمان
وبان لنا أن الرجل مان فتأهبوا للظعن ولا تلووا
على خضراء الدمن ونهضت لأسرج راحلتي وأترحل
لرحلتي فوجدت أبا زيد قد كتب على القتب بخط

يا من غدا لي ساعدا ومساعدا دون البشر
لا تحسبن أني نأيت عن ملال أو أشر
لكنني مذ لم أزل ممن إذا طعم انتشر

قال فأقرأت الجماعة القتب ليعذره من كان عتب
فأعجبوا بخرافته وتعوذوا من آفته ثم إنا ظعنا

المقامة الخامسة الكوفية حكى الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة

في ليلة أديمها ذو لونين وقمرها كتعويذ من لجين
مع رفقة غذوا بلبان البيان وسحبوا على سحبان ذيل
النسيان ما فيهم إلا من يحفظ عنه ولا يتحفظ
منه ويميل الرفيق إليه ولا يميل عنه فاستهوانا
السمر إلى أن غرب القمر وغلب السهر فلما روق

الليل البهيم ولم يبق الا التهويم سمعنا من الباب
نبأة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح فقلنا
من الملم في الليل المدلهم فقال
يا اهل ذا المغنى وقيتم شرا ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذي اكفهرا الى ذراكم شعثا مغبرا
اخا سفار طال واسبطرا حتى انثنى محقوقفا مصفرا
مثل هلال الافق حين افترا وقد عرا فناءكم معترا
وامكم دون الانام طرا يبغي قرى منكم ومستقرا
فدونكم ضيفا قنوعا حرا يرضى بما احلولى وما امرا
وينثني عنكم ينث البرا قال الحارث بن همام
فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء برقه ابتدرنا
فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام
هيا هيا وهلم ما تهيا فقال الضيف والذي

احلني ذراكم

احلني ذراكم لا تلمظت بقراكم او تضمنوا لي الا
تتخذوني كلا ولا تجشموا لاجلي اكلا فرب
اكلة هاضت الآكل وحرمته مآكل وشر الاضياف
من سام التكليف وآذى المضيف وخصوصا اذى
يعلق بالاجسام ويفضي الى الاسقام وما قيل في
المثل الذي سار سائره خير العشاء سوافره الا
ليعجل التعشي ويجتنب اكل الليل الذي يعشي
اللهم الا ان تقد نار الجوع وتحول دون الهجوع
قال فكانه اطلع على ارادتنا فرمى عن قوس
عقيدتنا لا جرم انا آنسناه بالتزام الشرط و
اثنينا على خلقه السبط ولما احضر الغلام ما راج
واذكى بيننا السراج تاملته فاذا هو ابو زيد فقلت
لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل المغنم البارد

فإن يكن قد أفل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر أو
استسرّ بدر النثرة فقد تبلّج بدر النثر فسرت
حميّا المسرّة فيهم وطارت السِّنة عن مآقيهم ورفضوا
الدعة التي كانوا نووها وثابوا إلى نشر الفكاهة بعد
ما طووها وأبو زيد مكبّ على إعمال يديه حتى إذا استرفع
ما لديه قلت له أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك
أو عجيبة من عجائب أسفارك فقال لقد بلوت من العجائب
ما لم يره الراؤون ولا رواه الراوون وإنّ من أعجبها ما عاينته
الليلة قبيل انتيابكم ومصيري إلى بابكم فاستخبرناه
عن طرفة مرآه في مسرح مسراه فقال إنّ مرامي الغربة
لفظتني إلى هذه التربة وأنا ذو مجاعة وبوسى وجراب كفؤاد
أمّ موسى فنهضت حين سجى الدجى على ما بي من الوجى لأرتاد
مضيفا أو أقتار رغيفا فساقني حادي السغب والقضاء المكنّى

أبا العجب

أبا العجب إلى أن وقفت على باب دار فقلت على بدار

حيّيتم يا أهل هذا المنزل ... وعشتم في خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل ... نضو سرى خابط ليل أليل
جوي الحشى على الطوى مشتمل ... ما ذاق مذ يومان طعم مأكل
ولا له في أرضكم من موئل ... وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة في تململ ... فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لي ألق عصاك وادخل ... وابشر ببشر وقرى معجّل

قال فبرز إليّ جؤذر عليه شوذر فقال

وحرمة الشيخ الذي سنّ القرى ... وأسّس المحجوج في أمّ القرى
ما عندنا لطارق إذا عرا ... سوى الحديث والمناخ في الذرى
وكيف يقري من نفى عنه الكرى ... طوى برى أعظمه لمّا انبرى
فما ترى فيما ذكرت ما ترى

فقلت ما أصنع بمنزل قفر ومنزل حليف فقر ولكن يا فتى
ما اسمك فقد فتنني فهمك فقال اسمي زيد ومنشاي فيد

فوردت الى الحضرة المذكورة امس صبي لخوالي من بني عبس فقال
لقد ذقت ابيضاجا زادك الله ابيضاجا عشت ونعشت
فقال اخبرتني امي برة وهي كاسمها برة انها نكحت عام
الغارة بماوان رجلا من سراة سروج وغسان فلما آنس
منها الاثقال وكان باقعة على ما يقال ظعن عنها سرا
وهلم جرا فما يعرف احي هو فيتوقع ام اودع اللحد
البلقع قال ابو زيد فعلمت بصحة العلامات انه ولدي
وصدفني عن التعرف اليه صفر يدي ففصلت عنه بكبد
مرضوضة ودموع مفضوضة فهل سمعتم يا اولي الالباب
باعجب من هذا العجاب فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب
فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق وخلدوها بطون الاوراق
فما سير مثلها في الآفاق فاحضرنا الدواة واساودها
ورقشنا الحكاية على ما سردها ثم استنبطناه عن مرتاه

في استضما

في استضمام فتاه فقال اذا ثقل ردني خف علي الن
الكفل البخ فقلنا ان كان يكفيك نصاب من المال الفناه لك
في الحال فقال وكيف لا يقنعني نصاب وهل يحتقر
قدره الا مطاب قال الراوي فالتزم منه كل منا
قسطا وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنع
ولم يستنفد في الثناء الوسع حتى انا استبطنا القول
واستثقلنا الطول ثم انه فرش من وشي السمر ما ازرى
بالحبر الى ان اظل التنوير وجشر الصبح المنير فقضينا ها
ليلة غابت شوائبها الى ان شابت ذوائبها وكمل سعودها
الى ان انفطر عمودها ولما ذر قرن الغزالة طمر طمور
الغزالة وقال انهض بنا لنقبض الصلات و
نستنض الصلات فقد استطارت صدوع كبدي من
الحنين الى ولدي فوصلت جناحه حتى سنبت نجاحه فحين

احرز العين في صرته برقت اسارير مسرته وقال لي
جزيت خيرا من حظي فقد ميل الله خلفي عليك فقلت
ابدل ان استطعت لا شاملة ولا دل الصحب وانا فيما لكي اجب
فنظر الي نظر الخادع الى المخدوع وضحك حتى تغرغرت
مقلتاه بالدموع ثم انشد

يا من تظنى السراب ماء ... لما رويت الذي رويت
ما خلت ان يستسر مكري ... ولن تخيل الذي عنيت
والله ما بسرة بعرسي ... ولا لي ابن به اكتنيت
وانما لي فنون سحر ... ابدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الاصمعي فيما ... حكى ولا حاكها الكميت
تخذتها وصلة الى ما ... ابغيه كي متى اشتهيت
ولو تعافيتها لحالت ... حالي ولم احو ما حويت
فمهد العذر او فسامح ... ان كنت اجرمت او جنيت

وقال الحارث بن همام ثم انه ودعني ومضى واودع قلبي جمر الغضا

المقامة السادسة تعرف بالخيفاء

روى الحارث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد
جرى به ذكر البلاغة فاجمع من حضر من فرسان اليراعة
وارباب البراعة على انه لم يبق من ينقح الانشاء ويتصرف
فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة
غراء او يفترع رسالة عذراء وان المفلق من كتاب
هذا الاوان المتمكن من ازمة البيان كالعيال على
الاوائل ولو ملك فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس
كهل جالس في الحاشية عند مواقف الحاشية فكان كلما
شط القوم في شوطهم ونشروا العجر والبجر من نوطهم
ينبي تخازر طرفه وتشامخ انفه انه مخرنبق لينباع

ومجرٍ سَبِقِ الباع وناهضٍ يهوي لِلَبّاتِ رابضٍ سعى النضال
فلما ثُلّثت الكتائب وفارقت السكائن وركدت الزعازع
وكفّ المنازع عن الإقبال على الجماعة وقال لقد جئتم شيئاً إدّا
وجُرتم عن القصد جدّاً إذ عظّمتم العظام الرفات
وافتتنتم من المبلى الأمر فات وغمصتم جيلكم الذين فيهم
نمت لكم اللدات ومعهم انعقدت المودات أنسيتم
يا جهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما أبرزته
طوارف القرائح وبرّز فيه الجذع على القارح من العبارات
المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة
والأساجيع المستملحة وهل للقدماء إذا أُنعم النظر
من حضر غير المعاني المطروقة المورد المعقولة الشوارد
المأثورة عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر عن
الوارد وإني لأعرف الآن من إذا أنشأ وشّى وإذا عبّر

حبّر وإذا أسهب أذهب وإذا أوجز أعجز وإن بدَهَ شدَه
ومتى اخترع خرع فقال له ناظورة الديوان وعين
أولئك الأعيان من قارع هذه الصفاة وقريع هذه الصفات
فقال إنه قرن مجالك وقرين جدالك وإذا شئت فرض
نجيباً وادع مجيباً لترى عجيباً فقال له يا هذا إن البغاث
بأرضنا لا يستنسر والتمييز عندنا بين الفضة والقضة
متيسر وقلّ من استهدف للنضال فخلص من الداء
العضال أو استثار نقع الامتحان فلم يُقذ بالامتهان
فلا تعرّض عرضك للمفاضح ولا تعرض عن نصح الناصح
فقال كل امرئ أعرف بوسم قدحه وسيتعرّى
الليل عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يُسبر به قليبه
ويُعتبر فيه تقليبه فقال أحدهم ذروه في حصتي لأرميه
بحجر قصتي فإنها عضلة العقد ومحك المنتقد فقلدوه

فيه هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج الخامة فأقبل
على الكهل وقال اعلم أني أولي هذا الوالي وأرخي حالي
بالبيان الحالي ولست أستعين على تقويم أودي في بلدي
بسعة ذات يدي مع قلة عددي فلما تعل حاذي
وتعذر زادي أممت من أرجائي نجائي ودعوت إعانة
رواتي وأروابي ممتشر للولادة وارتاح وغدا بالإ
فادة وراح فلما استأذنته في المراح إلى المراح على
جامل المراح قال إني قد أدمعت الأذ ودك تنابا ولا
أجمع لك شتاتا أو تتيح لي أمام ارتحالك رسالة
تودع ما شرح حالك وأحد كلمتيها يعمها
النقط وحروف الأخرى لم يعجم قط وقد سانيت بالي
حولا فما أحار قولا ونبهت فكري سنة فما ازداد إلا سنة
واستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وتاب فإن كنت

صي لك

صدقت عن وصفك بالعجب فأت بآية إن كنت من الصادقين
فقال له لقد استسعيت يعبوبا واستسقيت أسكوبا
وأعطيت القوس باريها وأسكنت الدار بانيها ثم فكر
ريثما استجم قريحته واستمد لقحته وقال ألق
دواتك وخذ أداة كتبك الكرم ثبت الله جيش سعودك
يزين واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين والأروع
يثيب والمعور يخيب والحلاحل يضيف والماحل يخيف
والسمح يغذي والمحك يقذي والعطاء ينجي والمطال
يشجي والدعاء يقي والمدح ينقي والحر يجزي والإلطاط
يخزي واطراح ذي الحرمة غي ومحرمة بني آمال بغي
وما ظن إلا غبين لا غني الأصنفين ولا حرز إلا شقي
ولا قبض راحة تقي وما فتىء وعدك يفي وإرواؤك
يشفي وهلالك يضيء وحلمك يغضي والأول يعني

يصلك

وأعداؤك شجى وسؤددك بهي وحباؤك يغني ومُوا
يحتمي ومادحك يقتني وسماحك مخصب وسماؤك تصيب لمن
ولاؤك يبيض ودلوك يفيض ومؤمّلك شيخ حكاه
فيءٌ ولم يبق له شيء أمّك بظنّ حرضه يئن ومدحك
تخب مهورها بجيب ومرامه تخفيف أو أصرع نشف
واطراؤك بحذف وملامه يجيب ووراقه صدف
مسمّه شظف وحصيه جزف وعمهم قشف وبوقي
دمع يجيب ولي بذيب ومنهم تضيع وكد ينشف لماء
حبيب أعمالي شتت وعلاقه بيت بد وتعيب ولم يزغ
ودّه فيغضب ولا حبّت غوده فيقضب ولا ذنبت صدغ
فينقض ولا بنشر وصله فيبغض وما يقتضي كرمك
نبذ حرمه فثق أملك بتخفيف ألمه يثب حمدك بين
عالمه بقيت لإماطة تحجب وإعطاء تثيب ومداواة شجر

وإعادة

ومراعاة تعرّف موضعي لا تخفض وسؤدد غضّ يا غنيّ معهد
غنّى أو خفي ومهم عبيّ السليم فلما أوضح من إملاء
رسالته وجلّى في هيجاء البلاغة عن بسالته أرضته الجماعة
فعلاً وقولاً وأوسعته حفاوة وطولاً ثم سئل من أي
الشعوب نجاره وفي أي الشعاب وجاره فقال

غسّان أسرتي الصميمه ... وسروج تربتي القديمه
فالبيت مثل الشمس إشراقاً ومنزلةً جسيمه
والربع كالفردوس مطيبةً ومنزهةً وقيمه
واهاً لعيش كان لي فيها ولذّات عميمه
أيام أسحب مطرفي في روضها ماضي العزيمه
أختال في برد الشباب وأجتلي النعم الوسيمه
لا أتقي غِيَر الزمان ولا حوادثه الملمّه
فلو أنّ كرباً متلف لتلفت من كربي المقيمه

او نقتدي بعيش مضى ۞ لقربه ما يحتاج الكلبة

فالموت خير للفتى من عيشه عيش البهيمة

تقتاده برة الصغار إلى العظيمة والهضيمة

وترى السباع تنوشها ۞ أيدي الضباع المستضيمة

والذنب للأيام لولا شؤمها لم تنب شيمة

ولو استقامت كانت الأحوال فيها مستقيمة ۞ ثم [illegible] إلى الوالي

فلما فاه باللآلي سامه لن يعمد إلى اخبائه ولي

ديوان إنشائه فأحسبه الكلام وظلفه عن الولاية

حرابا قال الراوي وكنت عرفته عند نجومه قبل إيناع

ثمرته وكدت أنبه على علو قدره قبل استنارة بدره

فأوحى إلي بإيماض جفنه ألا أجرد عضبه من جفنه فلما

خرج بطين الخرج وفصل فائزاً بالفلج شيعته قاضياً

حق الرعاية ولاحيا له على رفض الولاية فأعرض متبسماً

وأنشد متبسما

وأنشد مترنماً

لجوب البلاد مع المتربة ۞ أحب إلي من المرتبة

لأن الولاة لهم نبوة ۞ ومعتبة يا لها معتبة

وما فيهم من يرب الصنيع ۞ ولا من يشيد ما رتبه

فلا يخدعنك لموع السراب ۞ ولا تأت أمراً إذا ما اشتبه

فكم حالم سره حلمه ۞ وأدركه الروع لما انتبه

المقامة السابعة البرقعيدية

أزمعت الشخوص من برقعيد وقد شمت برق عيد فكرهت

الرحلة عن تلك المدينة أو أشهد بها يوم الزينة فلما

أظل بفرضه ونفله وأجلب بخيله ورجله اتبعت السنة

في لبس الجديد وبرزت مع من برز للتعييد وحين التأم جمع

المصلى وانتظم وأخذ الزحام بالكظم طلع شيخ

في تمليس عجب المقلين وقد اعتضد بسنة المحلاة واستقل
للعجوز كالسعلاة فوقف وقفة متهافت وحيا بحية
خافت ولما فرغ من دعايه اجال حملاقه في وعايه فابرز
منه رقاعا قد كتبن بالوان الاصباغ في اوان الفراغ فناولهن
عجوزه الحيزبون وامرها بان تتوسم الزبون فمن آنست
ندى يده القت ورقة في يده فاتاح لي القدر المعتوب
رقعة فيها مكتوب

لقد اصبحت موقوذا باوجاع واوجال
ومُمنىً بمحتال ومختال ومغتال
وخوان من الخلان قال لي لاقلالي
واعمال من العمال في تضليع اعمالي
فكم اصلى باذحال الحال وترحال
وكم اخطر في بال ولا اخطر في بال
فليت الدهر لما جار اذ جال اطفالي
فلولا ان اشبالي اغلالي واغلالي
لما جردت امالي الى الآل ولا الآلي
ولا جررت اذيالي على مسحب اذلال
فمحرابي احرى بي واسمالي اسمى لي
فهل حر يرى تخفيف اثقالي بمثقال
ويطفي حر بلبالي بسربال وسربال

قال الحارث بن همام فلما استعرضت جلية الابيات تقت
الى معرفة ملحمها وراقم علمها فناجاني الفكر بان الوصلة
اليه العجوز وانباني بان حلوان المعرف يجوز فرصدتها
وهي تستقري الصفوف صفا صفا وتستوكف الاكف
كفا كفا وما ان يبض لها عناء ولا يرشح على يدها اناء
فلما اكدى استعطافها ولقي الكد اطافها عاذت بالاسترجاع
ومالت الى انتزاع الرقاع فانساها الشيطان ذكر
رقعتي فلم تعج الى بقعتي وآبت الى الشيخ باكية
للحرمان شاكية تحامل الزمان فقال انا لله
وافوض امري الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله لم يبق
صاف ولا مصاف ولا معين وفي المساوي بدا التساوي فلا امين
ولا امين
ثم قال لها مني النفس وعدها واجمعي الرقاع وعدها
فقالت لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يد

الصباع قد غالت لعيني الركاع فقال تعسا لك يا لكاع
أتجرم تلك القبض والحبالة والقبض والذي بابها انهل
لصغت على آبائه بالصاغة فقبض مدرجها وتنبذ
مدرجها فلما دانتني ترقبت بالرقعة درهما وقطعة
وقلت لها إن رغبت في المشوف المعلم فأشرت إلى
الدرهم فبوحي بالسر المبهم ولئن أبيت إلا تشرحي
فخذ القطعة واشرحي فمالت إلى استخلاص البدر التم
والحج الهم وقالت دع جدالك وسل عما بدا لك
فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته والشعر
وناسج بردته فقالت إن الشيخ من أهل سروج
وهو الذي وشى الشعر المنسوج ثم خطفت الدرهم
خطفة الباشق ومرقت مروق السهم الراشق فخالج
قلبي أن أبا زيد هو الملتام إليه وتأجج كربي لمصابه

بناظريه وآثرت أن أكاتمه وأنا أجد الأغمر عوده وأمتري
فيه وما كنت لأصل إليه إلا بالتخطي فأبى الجمع المنتهي
عنه في السرح وعفت أن يتأذى بي قوم أو ينبري إلي لوم
فسدرت بمكاني وجعلت شخصه قيد عياني إلى أن انقضت
الخطبة وخفت الوثبة تحققت أيده وتممته على التمام
جفنيه فإذا المعني المعنى ابن عباس وفراستي فراسة
إياس فعرفته حقيقة شخصي فأذنته بأحد نحضي وأهبت
به إلى خرصي ممن لحاولني وعرفاني ولبى دعوة عرفاني
وانطلق وبي زمامه وظلي إمامه والعجوز ثالثة
الأثافي والرقيب الذي لا يخفى عليه الخافي ولما استخلص
وكنني والحضرة عجالة كلمني قال بالجارية امعنا ثالث
فقلت لبيك للعجوز فقال ما دهاك بأسر محجوز ثم
فتح كوة بيته وراء أشتاته فإذا اسرت وجهه بعد لبس

كأنما الغر قد لز فانسحبت عن السالمة ما دعاك إلى المعامي

مع شيرك في المعامي وجوبك الموامي وإيغالك في المرامي

فتظاهر باللكنة وتشاغل باللعنة حتى إذا قضى وطره

أثار إلى نظره وأن من الطرب

ولما تغاضى الدهر وهو أبو الهنات عن الرشد في إغاثة وتعاهده

تعاطيه حتى قيل إني ذو غنى ولا عز لمن يجدو الغنى جدواه

ثم قال لي انهض إلى المخدع فأتني بغسول يروق

الطرف ويغني الكف وينعم البشرة ويعطر النكهة

ويشد اللثة ويقوي المعدة وليكن نظيف الظرف

أريج العرف فتي الدق ناعم السحق يحسبه اللامس

ذرورا ويخاله الناشق كافورا واقرن به خلالة نقية

الأصل محبوبة الوصل أنيقة الشكل مدعاة إلى

الأكل لها نحافة الصب وصقال العضب وآلة الحرب

ولدونة

ولدونة الغصن الرطب قال فنهضت فيما أمر لأدرأ

عنه الغمر ولم أهم إلى أنه قصد أن يخدع بإدخالي

المخدع ولا تظننت أنه يسخر من الرسول في استدعاء الخلال

والغسول فلما عدت بالملتمس في أقرب من رجع النفس وجدت

الجو قد خلا والشيخ والشيخة قد أجفلا فاستشطت

من مكره غضبا وأوغلت في إثره طلبا فكان كمن قمس في الماء

أو عرج به إلى عنان السماء

المقامة الثامنة

أخبر الحارث بن همام قال رأيت في أعاجيب الزمان أن

تقدم خصمان إلى قاضي معرة النعمان أحدهما قد ذهب منه

الأطيبان والآخر كأنه قضيب البان فقال الشيخ

أيد الله القاضي كما أيد به المتقاضي إنه كانت لي مملوكة

رشيقة القد أسيلة الخد صبور على الكد تخب

أحيانا كالنهد وترقد أطوارا في المهد وتجد في تموز

حسن البرد ذات غلل وعنان وحد وسنان وكف بنان

وفم بلا أسنان تلدغ بلسان نضناض وترفل

في ذيل فضفاض وتجلى في سواد وبياض وتسقى ولكن

من غير حياض ناصحة خدعة خبأة طلعة مطبوعة

على المنفعة مطاوعة في الضيق والسعة إذا

قطعت وصلت ومتى فصلتها عنك انفصلت وطالما

خدمتك فجملت ولربما جنت عليك فآلمت وأملت

ولهذا الفتى استخدمنيها لغرض فأخدمتها إياه

بلا عوض على أن يجتني نفعها ولا يكلفها إلا وسعها

ثم جعلها أسمع فيما يحكي والحاكها الكبت تحدثها وصلة الملاحم لكي منى مغتنم

ولو نعا فيها الحالي لم الحواجب   فأولج فيها متاعه

وأطال بها التمتاعه ثم أعادها إلي وقد أفضاها وبذل

عنها قيمة لا أرضاها فقال الحدث أما الشيخ فأصدق

من القطا ولعاب بالعصا فقرط عن خطاء وقد رهنته

على أرش ما أوهنه مملوكا لي عن مناسب الطرفين منتسبا

إلى القين يعتام للدين والشين يقارن كحله سواد

العين يعنى بالإحسان ويبغى للاستحسان ويفدى

بالأنفس ويتحامى اللمس لمن سوى جال أو دفع إجلاء

والأذى وقع وهب الولد وعدمتي استزيد زاد لا يسع

بمعنى وقلما ينتج الأنثى يمجو بموجوده ويسمو عند

جوده ويتقاطع قرينه ولئن لم تكن من طينته و

يستضيع من بنيته وإن لم يطمع في لبنيته فقال لهما

القاضي أما الذي بعينها والآخر فأبيد للغلام وقال

أعارني إبرة لأرفو أطمارا   عفاها البلى وسود كالحيا

فانخرمت في يدي على خطأ   مني لما جذبت مقودها

فلم ير الشيخ أن يسامحني   بأرشها إذ رأى تأودها

بل قال كان ابن ثمانين أو فيه يعدل بن محمد كما
واعتاق جلي هنا لا به وتأهبك بما تشتد بعده كما
قال الحبر من رهن الرهينة وبيني نقص عن لن نفك من قمعها
فاستبر بذا الشيخ عن جناية وإن لم يكن بعدها
فأقبل القاضي على الشيخ وقال إيه لغير تمويه فقال
أقسمت بالمشعر الحرام ومن ضم من الناسكين خيف منى
لو ساعفتني أيام لم ترني حر بها حبيلة للتي رهنا
ولا تصديت أبتغي بدلاً من ابن ثمالها ولا ثمنا
لكن العود الحطوب تشغني عصيات عن هنا وهنا
وحين حالي كحيز حالتة ضرا وبؤسا وعرثة وصنا
قد عدل الدهر بيننا فأنا نظيره في الشقاء ومولانا
لا هو فيه تطيح فكون مرقد لما عداني في بدي من بهنا
ولا إلى الصبوة ذات بيني فيه اتساع للعفو حين حنا

وهو
ممتنع وشكى وقصته فانظر البنا وبينا ولتحا
فلما وعى القاضي قصصهما وتبين خصاصتهما وتخصصهما
أبرز لهما دينارا من تحت مصلاه وقال لهما اقطعا به
الخصام وافصلاه فتلقفه الشيخ دون الحدث
ولم يخاصه على وجه الجد لا العبث وقال للحدث
نصفه لي بسهم ميراثي وسهمك لك عن إرث أبوي ولست
على الحق أميل فقم وخذ الميل فعرى الحدث مما حدث
الاكتئاب بحيث لم يرد عليه جواب ووجم له القاضي
وهيج لأسفه على الدينار الماضي إلا أنه جبر بال الفتى
وبلبال له بدريهمات ترضح بها له وقال لهما تجنبا
المعاملات التي تثير المخاصمات ولا تحضراني في المحاكمات
فما عندي كيس الغرامات فنهضا من عنده فرحين برفده
مفصحين بحمده والقاضي ما يخبو ضجره مذ بض حجره

ولو اتّصل لكم ذرو من شرح حاله حتّى اذا افاق من غشيته
اقبل على غاشيته وقال قد أشرب حسّي وتبالي
حدسي انّهما صاحبا دهاء لا خصما ادّعاء فكيف السبيل
الى سبر مكانهما واستنباط سرّهما فقال له نحرير زمرته و
شرّير جمعته انّه لن يستخرج خبأهما الا بهما فقفاهما
عونا يرجعهما اليه فلمّا مثلا بين يديه قال لهما
أصدقاني سرّ بكركما ولكما الامان من تبعة مكركما فاحجم
الحدث واستعفا واقدم الشيخ وقال

أنا السروجيّ وهذا ولدي ... والشبل في المخبر مثل الأسد
وما تعدّت يده ولا يدي ... في برّة يوما ولا في برد
وانّما الدهر المسيء المعتدي ... مال بنا حتى غدونا نجتدي
كلّ نديّ الراحة عذب المورد ... وكلّ جعد الكفّ مغلول اليد
بكلّ فنّ وبكلّ مقصد ... بالجدّ ان اجدى والّا بالدد

انحي الشيخ الى الحظّ الصّدي ... وشقوة العمر تعقبني النكد
والموت من بعد لنا بالمرصد ... ان لم نفاجي اليوم فاجي في غد

فقال له القاضي لله درّك فما اعذب نفثات فيك
ووأما لك لولا الخداع فيك واني لك لمن المنذرين
وعليك من الحذر بن غلا نماك يحذرها الكيس واتّق
سطوة المحتسب فما كلّ مسيطر يقيلك ولا كلّ اوان
يسمع القيل فعاهده الشيخ على اتّباع مشورته ولا
ارتداع عن تلبيس صورته وفصل عن جبهته والختم
يلمع من جبينه قال الحارث بن همّام فلم ار اعجب
منهما في تصاريف الاسفار ولا قرأت مثلهما في تصانيف الاسفار

المقامة التاسعة حكى الحارث

بن همّام قال طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب الى

وغانة

ان جبت ما بين فرغانة الغوض الغمار لاجني الثمار واقتحم

الاخطار لكي ادرك الاوطار وكنت لقفت من افواه

العلماء وثقفت في وصايا الحكماء انه يلزم الاديب

اذا دخل البلد الغريب ان يستميل قاضيه ويستخلص

مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويامن في الغربة

جور الحكام فاتخذت هذا الادب اماما وجعلته

لمصالحي زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة الا و

امتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت

بعنايته تقوي الاجساد بالارواح فبينما انا عند حاكم

الاسكندرية في عشية عرية وقد احضر مال الصدقات

ليفضه على ذوي الفاقات اذ دخل شيخ عفرية

تعتله امراة مصبية فقالت ايد الله القاضي وادام

به التراضي اني امراة من اكرم جرثومة واطهر ارومة

واشرف حموله

وأشرف حمولة وعمومة ميسمي الصون وشيمتي الهون وخلقي

نعم العون وبيني وبين جاراتي بون وكان ابي اذا خطبني

بناة المجد وارباب الجد سكتهم وبكتهم وعاف وصلتهم

وصلاتهم واحتج بانه عاهد الله تعالى بحلفة ألا يصاهر

غير ذي حرفة فقيض القدر لنصبي ووصبي لحضر

هذا الخدعة نادي ابي فاقسم بين رهطه انه وفق

شرطه وادعى انه طالما نظم درة الى درة فباعهما

ببدرة فاغتر ابي بزخرف محاله وزوجنيه قبل اختبار

حاله فلما استخرجني من كناسي ورحلني عن اناسي

ونقلني الى كسره وحصلني تحت اسره وجدته قعدة

جثمة والفيته ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزي

واثاث وري فما برح يبيعه في سوق الهضم ويتلف

ثمنه في القضم والخضم الى ان مزق مالي باسره وانفق

مالي في عسره

فلما آنساني طعم الراحة. وغادرني أنقى من الراحة. قلت
له يا هذا إنه لا مخبأ بعد بؤس ولا عطر بعد عروس فانهض
للاكتساب بصناعتك واجن ثمرة براعتك فزعم أن صناعته
قد رميت بالكساد لما ظهر في الأرض من الفساد ولي
منه سلالة كأنه خلالة وكلانا ما ينال معه شبعة
ولا ترقأ له من الطوى دمعة وقد قدته إليك وعرضته
لتبلي عود دعواه وتحكم بيننا بما أراك الله فأقبل
القاضي عليه وقال له قد وعيت قصص عرسك
فبرهن عن نفسك وإلا كشفت عن لبسك وأمرت
بحبسك فأطرق إطراق الأفعوان ثم تشمر للحرب العوان
على سبيل البيان وقال اسمع حديثي فإنه عجب يضحك من شرحه وينتحب

أنا امرؤ ليس في خصائصه عيب ولا في فخاره ريب
سروج داري التي ولدت بها والأصل غسان حين أنتسب

وشغلي الدرس

وشغلي الدرس والتبحر في العلم طلابي وحبذا الطلب
ورأس مالي سحر الكلام الذي منه يصاغ القريض والخطب
أغوص في لجة البيان فأختار اللآلي منها وأنتخب
وأجتني اليانع الجني من القول وغيري للعود محتطب
وآخذ اللفظ فضة فإذا ما صغته قيل إنه ذهب
وكنت من قبل أمتري نشبا بالأدب المقتنى وأحتلب
ويمتطي أخمصي لحرمته مراتبا ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصلات إلى ربعي فلم أرض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به أكسد شيء في سوقه الأدب
لا عرض أبنائه يصان ولا يرقب فيهم إل ولا سبب
كأنهم في عراصهم جيف يبعد من نتنها ويجتنب
فحار لبي لما منيت به من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لضيق ذات يدي وساورتني الهموم والكرب

وقادني دهري المليم الى سلوك ما يستشينه الحسبُ
فبعت حتى لم يبق لي لبدٌ ولا ثيابٌ إليه أنقلبُ
وادّنتُ حتى أثقلتُ سالفتي بحمل دين من دونه العطبُ
ثم طويت الحشى على سغبٍ خمسا فلما أمضّني السغبُ
لم أرَ إلا جهازها عرضا أركض في بيعه وأضطربُ
فجلتُ فيه والنفس كارهة والعين عبرى والقلب مكتئبُ
وما تجاوزتُ إذ عبثتُ به حدّ التراضي فيحدث الغضبُ
فإن يكن غاظها توهّمها لن ينابي بالنظم مكتسبُ
أو أنني إذ عزمت خطبتها زخرفتُ قولي لينجح الأربُ
فوالذي سارت الرفاق الى كعبته تستحثها النجبُ
ما المكر بالمحصنات من خُلُقي ولا شعاري التمويه والكذبُ
ولا يدي مذ نشأت نيط بها إلا مواضي اليراع والكتبُ
بل فكري ينظم القلائد لا كفّي وشعري المنظوم لا السخبُ

وهذه الحر

وهذه الحرفة المشار اليها ما كنت أحوي بها وأجتلبُ
فادرك شرجي كما أذنتُ لها ولا أراقب الحكم بما يجبُ
قال فلما أحكم انشاده وأكمل انشاءه عطف القاضي
الى الفتاة بعد أن شغف بالأبيات وقال لها أما إنه قد ثبت
عند جميع الحكام وولاة الأحكام انقراض جيل الكرام
وميل الأيام الى اللئام وإني لأخال بعلك صدوقا
في الكلام بريئا من الملام وها هو قد اعترف لك
بالقرض وصرّح عن المحض وبين مصداق النظم
وتبين أنه معروق العظم وإعنات المعذر ملأمة و
حبس المعسر مأثمة وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج
بالصبر عبادة فارجعي الى خدرك واعذري أبا عذرك
ونهنهي من غربك وسلّمي لقضاء ربك ثم إنه فرض لهما في
الصدقات حصة وناولهما من دراهمها قبضة وقال

لعل الله يهب العلالة ويسد بإيجاده البلالة واصبرا
على كيد الزمان وكده فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر
من عنده فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الاسار
وهزة الموسر بعد الاعسار وقال الراوي وكنت
عرفت انه ابو زيد ساعة بزغت شمسه ونزغت
عرسه فكدت افصح عن افتنانه واثمار افنانه ثم
اشفقت من عثور القاضي على بهتانه وذرابة لسانه
فلا يرى عند عرفانه ان يخصه باحسانه فاحجمت
عن وصفه احجام المرتاب وطويت ذكره كطي السجل
للكتاب الا اني قلت بعدما فصل ووصل الى ما
وصل لو ان لنا من يتطلع في اثره لاتانا بفص خبره
وما ينشر من حبره فاتبعه القاضي احد امنائه وامره
بالتجسس على انبائه فما لبث ان رجع متدهدها وعاد

مقهقها فقال له القاضي مهيم يا ابا مريم فقال
لقد عاينت عجبا وسمعت ما انشأ لي طربا فقال له ماذا
رأيت وما وعيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه
ويخالف بين رجليه ويقول
كدت اصلى بلية من وقاح محمية وازور الحبس لولا حاكم الاسكندرية
فضحك القاضي حتى مالت دنيته وهوت سكينته فلما فاء
الى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم
بحرمة عبادك المقربين حرم حبسي على المتأدبين
ثم قال لذلك الامين علي به فانطلق مجدا في طلبه
ثم عاد بعد لأي مخبرا بنأيه فقال القاضي
اما انه لو حضر لكفي الحذر ثم لاوليته ما هو به اولى
ولاريته ان الآخرة خير له من الاولى قال الحارث بن همام
فلما رأيت صغو القاضي اليه وفوت غرة التنبيه عليه

يحسبني ندامة الفرزدق حين أبان النوار والكسعي لما استبان النهار

المقامة العاشرة

حكى الحرث بن همام قال هتف بي داعي الشوق إلى رحبة مالك
بن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة
فلما ألقيت بها المراسي وشددت أمراسي برزت من الحمام
بعد تسبيت رأسي فرأيت غلاما أفرغ في قالب الجمال
وألبس من الحسن حلة الكمال وقد اعتلق شيخ بردنه
يدعي أنه فتك بابنه والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته و
الخصام بينهما مستطار الشرار والزحام عليهما يجمع
بين الأخيار والأشرار إلى أن تراضيا بعد اشتطاط
اللدد بالتنافر إلى والي البلد وكان ممن يظن بالهناة
ويغلب حب البنين على البنات فأسرعا إلى ندوته

بالشيب

[illegible]

المقامة العاشرة

حكى الحرث بن همام قال هتف بي داعي الشوق الى رحبة مالك
بن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة
فلما القيت بها المراسي وشددت امراسي وبرزت من الحمام
بعد سبت راسي رايت غلاما افرغ في قالب الجمال
والبس من الحسن حلة الكمال وقد اعتلق شيخ ببرده
يدعي انه فتك بابنه والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته و
الخصام بينهما مستطير الشرار والزحام عليهما يجمع
بين الاخيار والاشرار الى ان رضيا بعد اشتطاط
اللدد بالتنافر الى والي البلد وكان ممن يظن بالهناة
ويغلب حب البنين على البنات فاسرعا الى ندوته

كالسكر

[illegible]

كشيب

حتى تبيني ندامة الفرزدق حين أبان النوار والكسعي لما
استبان النهار

المقامة العاشرة

حكى الحرث بن همام قال هتف بي داعي الشوق إلى رحبة مالك
بن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة
فلما ألقيت بها المراسي وشددت أمراسي وبرزت من الحمام
بعد سبت رأسي رأيت غلاما أروع في قلب الجمال
وألبس من الحسن حلة الكمال وقد اعتلق شيخ بردنه
يدعي أنه فتك بابنه والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته و
الخصام بينهما مستطار الشرار والزحام عليهما يجمع
بين الأخيار والأشرار إلى أن تراضيا بعد اشتطاط
اللدد بالتنافر إلى والي البلد وكان ممن يظن بالهناة
ويغلب حب البنين على البنات فأسرعا إلى ندوته

كالسليك

كالسليك في عدوته فلما أحضره جدد الشيخ دعواه وا
ستعدى عدواه فاستنطق الغلام والإذن له في الكلام
وقد فتنه بمحاسن غرته وطر عقله بتصفيف طرته
فقال إنها أفيكة أفاك على غير سفاك وعضيهة
محتال على من ليس بمغتال فقال الوالي للشيخ إن شهد لك
عدلان من المسلمين وإلا فاستوف منه اليمين فقال
الشيخ إنه جدله خاليا وأراق دمه خاليا فأنى
لي شاهد ولم يكن ثم مشاهد ولكن ولني تلقينه اليمين
ليبين لك أيصدق أم يمين فقال له أنت المالك
لذلك مع وجدك المتهالك على ابنك الهالك فقال
الشيخ للغلام قل والذي زين الجباه بالطرر و
العيون بالحور والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج والجفون
بالسقم والأنوف بالشمم والخدود باللهب والثغور بالشنب

والبنان بالترف والخصور بالهيف إنني ما قتلت ابنك
سهواً ولا عمداً ولا جعلت هامته لسيفي غمداً وإلا فرمى
الله جفني بالعمش وخدي بالنمش وطرتي بالجلح وطلعتي
بالبلج ووردي بالبهار ومسكي بالبخار وبدري بالمحاق
وفضتي بالاحتراق وشعاعي بالإظلام ودواتي بالأقلام
فقال الغلام الاصطلاء ولا الابتلاء بهذه الألية
والانقياد للقود ولا الحلف كما لم يحلف أحد فأبى الشيخ
إلا تجريعه اليمين التي لقنه عنها وأمقر له جرعها ولم
يزل التلاحي بينهما يستعر ومحجة التراضي تعتور
والغلام في ضمن تأبيه يخلب قلب الوالي بتلويه ويطمعه
في أن يلبيه إلى أن رين بهواه على قلبه وألب بلبه وسول
له الوجد الذي تيمه والطمع الذي توهمه أن
يخلص الغلام ويستخلصه وينقذه من حبالة الشيخ

ثم يقتنصه فقال الوالي للشيخ هل لك فيما هو أليق
بالتقوى وأقرب للتقوى فقال إلام تشير لأقفوه ولا
أقف لك فيه قال أرى أن تقصر عن القيل والقال و
تقتصر منه على مائة مثقال لأتحمل منها بعضاً وأجبي
لك الباقي عرضاً فقال الشيخ أين مني خلاف ولكن
لو عدل الخلاف فنقده الوالي عشرين ووزع على ذوي نجدته
تكملة خمسين ورق تغر للأصيل وانقطع لأجله صوب
التحصيل فقال له خذ ما راج ودع اللجاج وعلي
في غد أن أتوصل إلى أن ينض لك الباقي ويتحصل فقال
الشيخ أقبل منك ذاك على أن ألازمه ليلتي ويرعاه إنسان
مقلتي حتى إذا أدى ما عليه بعد إسفار الصبح بانت من مال
الصلح تخلص فانية من قوب كي نجاة الذئب
من دم ابن يعقوب فقال له الوالي ما أراك عدوت شططا

وارث فطرا قال الحارث بن همام فلما رايت حجج
الشيخ كالحجج السريجية علمت انه علم السروجية فلبثت
الى ان انتثرت عقود الزحام وزهرت نجوم الظلام
ثم قصدته فنا الوالي فاذا الشيخ للفتى كالي فنشدته
الله انت ابو زيد فقال اي ومحل الصيد فقلت
من هذا الغلام الذي هيجت له الغلام فقال هو في
النسب فرخي وفي المكتسب فخي فقلت له هلا
اكتفيت بمحاسن فطرته وكفيت الوالي الافتتان
بطرته فقال لو لم تبرز جبهته السين لما افترست
الخمسين ثم قال بت الليلة عندي لنطفي نار الجوى
ونديل الهوى من النوى فقد اجمعت على ان
انسل بسحرة واصلي قلب الوالي نار حسرة قال
فقضيت الليلة معه في سمر انق من حديقة زهر

وحلة حبر حتى اذا ألأل الافق ذنب السرحان وآن
انبلاج الفجر وحان ركب متن الطريق واذاق الوالي
عذاب الحريق وسلم الي ساعة الفراق رقعة محكمة
الالصاق وقال ادفعها الى الوالي اذا سلبه الغرار وتحقق
منا الفرار ففضضتها فض المتلمس من حمل صحيفة
المتلمس فاذا فيها مكتوب

قل لوال غادرته بعد بيني ... نادما يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه ... لبه فاصطلى لظى حسرتين
خفض الحزن يا معنى فما يجدي ... طلاب آثار من بعد عين
ولئن جل ما عراك كما جل ... لدى المسلمين رزء الحسين
فتعز اعتضت منه خبالا وحزنا ... ولا ادب اللبيب يسعى دنين
فاغض عن بعدها المطامع واعلم ... ان صيد الظباء ليس بهين
لا ولا كل طاير يلج الفخ ... ولو كان محرزا بالحبين
وكم من يسعى ليصطاد فاصطيد ... ولم يلق غير خفي حنين

فتبصر ولا تشم كل برق رب برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تستبح من غرام تكتسي فيه ثوب ذل وشين
وبلاء الفتى اتباع هوى النفس وبذر الهوى طموح العين
قال الراوي فمزق رقعته شذر مذر ولم يبال اعذر ام عذر

المقامة الحادية عشر حدث الحارث بن همام قال

آنست من قلبي القساوة حين حللت بساوة فاخذت بالخبر المأثور في مداواته بزيارة القبور فلما صرت الى محلة الاموات وكفات الرفات رايت جمعا على قبر يحفر ومجهوز يقبر فانحزت اليهم متفكرا في المآل ومتذكرا من درج من الآل فلما الحدوا الميت وفات قول ليت اشرف شيخ من رباوة متخصرا بهراوة وقد لفع وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه فقال لمثل هذا

فليعمل العاملون فاذكروا ايها الغافلون وشمروا ايها المقصرون واحسنوا النظر ايها المتبصرون ما لكم لا يحزنكم دفن الاتراب ولا يهولكم هيل التراب ولا تعبأون بنوازل الاحداث ولا تستعدون لنزول الاجداث ولا تستبكون من العين تدمع ولا تعتبرون بنعي يسمع ولا ترتاعون لالف يفقد ولا المآتم تعقد يشيع احدكم نعش الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره في استخلاص نصيبه ويخلي بين وَدوده ودوده ثم يخلو بمزماره وعوده طالما اسيتم على انثلام الحبة وتناسيتم اخترام الاحبة واستكنتم لاعتراض العسرة واستهنتم بانقراض الاسرة وضحكتم عند الدفن ولا ضحككم ساعة الزفن وتبخترتم خلف الجنائز ولا تبختركم يوم قبض الجوائز واعرضتم عن تعديد النوادب الى اعداد المآدب وعن تحرق الثواكل الى التأنق في المآكل لا تبالون بمن هو بال ولا تخطرون

ولا تخطرون ذكر الموت بالحس كلكم ... وقد علقتم من الحلم بذمام

أو حصلتم من النجاة على الامان ... أو فزتم ببلاغة الدنيا أو غنمتم

مهلاً مهلاً لذات كلا سأنبّئ بما تمتزج كلا سوف تعلمون

أيا من تشكى الغم ... إلى كم بالحال الوخيم ... تعبى الذنب والذم ... وتخطى الخطا الجم

أما بان لك العيب ... أما انذرك الشيب ... وما في نصحه ريب ... ولا سمعك قد صم

أما نادى بك الموت ... أما اسمعك الصوت ... أما تخشى من الفوت ... فتحتاط وتهتم

فكم تسعد في السهو ... وتختال من الزهو ... وتنصب إلى اللهو ... كأن الموت ما عم

وحتام تجافيك ... وإبطاء تلافيك ... طباعاً جمعت فيك ... عيوباً شملها انضم

إذا أسخطت مولاك ... فما تقلق من ذاك ... وإن أخفق مسعاك ... تلظيت من الهم

وإن لاح لك النقش ... من الأصفر تهتش ... وإن مر بك النعش ... تغاممت ولا غم

تعاصي الناصح البر ... وتعتاص وتزور ... وتنقاد لمن غر ... ومن مان ومن نم

وتسعى في هوى النفس ... وتحتال على الفلس ... وتنسى ظلمة الرمس ... ولا تذكر ما ثم

ولو لاحظك الحظ ... لما طاح بك اللحظ ... ولا كنت إذا الوعظ ... جلا الأحزان تغتم

ستندي

ستذري الدم لا الدمع ... إذا عاينت لا جمع ... يقي في عرصة الجمع ... ولا خال ولا عم

كأني بك تنحط ... إلى اللحد وتنغط ... وقد أسلمك الرهط ... إلى أضيق من سم

هناك الجسم ممدود ... ليستأكله الدود ... إلى أن ينخر العود ... ويمسي العظم قد رم

ومن بعد فلا بد ... من العرض إذا اعتد ... صراط جسره مد ... على النار لمن أم

فكم من مرشد ضل ... ومن ذي عزة ذل ... وكم من عالم زل ... وقال الخطب قد طم

فبادر أيها الغمر ... لما يحلو به المر ... فقد كاد يهي العمر ... وما اقلعت عن ذم

ولا تركن إلى الدهر ... وإن لان وإن سر ... فتلفى كمن اغتر ... بأفعى تنفث السم

وخفض من تراقيك ... فإن الموت لاقيك ... وسار في تراقيك ... وما ينكل إن هم

وجانب صعر الخد ... إذا ساعدك الجد ... وزم اللفظ إن ند ... فما أسعد من زم

ونفس عن أخي البث ... وصدقه إذا نث ... ورم العمل الرث ... فقد أفلح من رم

ورش من ريشه انحص ... بما عم وما خص ... ولا تأس على النقص ... ولا تحرص على اللم

وعاد الخلق الرذل ... وعود كفك البذل ... واستمع لمن يعذل ... ونبهها من الصم

وزود نفسك الخير ... ودع ما يعقب الضير ... وهيئ مركب السير ... وخف من لجة اليم

بل أوصيه بالصلاح، فقد جنح كثر الاح، فظلّ لفتى راح، بأداني بالم
ثم جبّر ذرعه عن ساعد شديد الأسر، قد عقد عليه جبائر المكر
ثم الكمّه متعرضا للاستماحة في معرض الوقاحة، فاحتلب بذلك
الملا حتى أترع كمّه وملا، ثم انصلت من الربوة جذلا بالحبوة
قال الراوي فجاذبته من ورائه حاشية ردائه، فالتفت إليّ
مستسلما، وحيّاني مسلّما، فإذا هو شيخنا أبو زيد بعينه ومينه، فقلت له
إلى كم يا أبا زيد، أفانين الكيد، ليجتاب بك الصيد، ولا تبالي بمن ذم
فأجاب من غير استحياء ولا ارعواء، وقال شعر
انظر ودع اللوم، وقل لي هل ترى اليوم، فتى لم يقمر القوم، سبيلا سيتم
فقلت له تعسا لك يا شيخ النار، وذا ملة العار، ما مثلك
في طلاوة علانيتك وخبث نيتك إلا مثل روث مفضّض أو
كنيف مبيّض، ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين، وانطلق
ذات الشمال، وناوحت مهبّ الجنوب، وناوح مهبّ الشمال

المقامة الثانية عشر

ح الحرث بن همام قال شخصت عن العراق إلى الغوطة، وأنا ذو جرد
مربوطة، وجدة مغبوطة، يلهيني خلوّ الذرع، ويزهيني
حفول الضرع، فلما بلغتها بعد شق النفس، وإنضاء العنس،
ألفيتها كما تصفها الألسن، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين،
فشكرت يد النوى، وجريت طلقا مع الهوى، وطفقت أفض
بها ختوم الشهوات، وأجتني قطوف اللذات، إلى أن شرع
سفر في العراق، وقد استفقت من كلا غرامي، فعادني عيد من
تذكار الوطن، والحنين إلى العطن، فقوّضت خيام الغربة، و
أسرجت جواد الأوبة، ولما أهبّ الرفاق، واستتبّ الاتفاق،
لحنّا في البيد دون استصحاب الخفير، فرُدناه من كل قبيلة،
وأعملنا في تحصيله الحيلة، فأعوز وجدانه في الأحياء، حتى

حتى حللنا الثنية من رحابها فحاذر العرب عرام الصعاليك
والعُرّ وأنباب حيرون للاستشارة اذا العاير عقد وحل
وشمر وتحلل الى الإزم فقد الناجي وفرط الراجي وكان حذيتهم
شخص يشبه الشبان ولبوسه لبوس الرهبان وبيده سبحة
النسوان وفي عينيه ترجمة النشوان وقد قيد لحظه بالجمع
وارهف اذنه لاستراق السمع فلما انس انتكافهم وقد برح له
خفاؤهم قال لهم يا قوم ليفرخ روعكم ولينعم سربكم
فسأحصنكم بما يسر روعكم ويبدد خوفكم قال الراوي
فاستطلعنا منه طلع الخفارة واستشفنا الحالة لتعرف
السفارة فزعم انها كلمات لقنها في المنام ليحترس بها
من كيد الأنام فجعل بعضنا يومض الى بعض ويقلب طرفه بين
لحظ وغض وتبين له انا استضعفنا الخبر واستبعدنا الحرز
فقال ما لكم اتخذتم جدي عبثا وجعلتم تبري خبثا

والله لقد جبت بها مخاوف الأوطار وولجت مفاحم الأخطار فغنيت
بها عن مصاحبة خفير واستصحاب جفير ثم اني سابلغ ما بكم
وأستنيل الخلة التي نابتكم بأن أوافقكم في البداوة و
أرافقكم في السماوة فإن صدقكم وعدي فاجدوا اسعدي
واسعدوا جدي وإن كذبكم فمي فمزقوا أدمي وأريقوا دمي
قال الحارث بن همام فألهمنا تصديق رؤياه وتحقيق ما
رواه فنزعنا عن مجادلته واستهمنا على معادلته وقصمنا
بقوله عرى الريبات والقينا آلة العايث والعابث ولما
عليت الرحال ادن لنا الترحال اسفر لنا كلماته الراقية لتعلمها
الواقية الباقية فقال ليقرأ احدكم أم القرآن كلما أطل
الملوان ثم ليقل بلسان خاضع وصوت خاشع اللهم يا
محيي الرفات ويا دافع الآفات ويا واقي المخافات ويا كريم المكافاة
ويا موئل العفاة ويا ولي العفو والمعافاة صل على محمد

خاتم أنبيائك ومبلّغ أنبائك وعلى مصابيح أسرته ومفاتيح
نصرته وأعذني اللهم من نزغات الشياطين ونزوات
السلاطين وإعنات الباغين ومعاناة الطاغين ومعاداة
العادين وعدوان المعادين وغلب الغالبين وسلب السالبين
وحيل المحتالين وغيل المغتالين وأجرني اللهم من جور المجاورين
وسطوة الجائرين وكفّ عني أكفّ الضائمين وانتشلني
من ظلمات الظالمين وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين
اللهم حُطني في تُربتي وغُربتي وغَيبتي وأوبتي ونُجعتي
ورَجعتي في جهتي وجاهي وتصرفي ومتصرفي وتقلّبي
ومنقلبي واحفظني في نفسي ونفائسي وعِرضي وعَرَضي
وعَددي وعُددي وسكني ومسكني وحَولي وحالي
ومآلي ومالي ولا تُلِمّ بي تغييراً ولا تسلّط عليّ مُغيراً واجعل
لي من لدنك سلطاناً نصيراً اللهم احرسني بعينك وعونك

واخصصني

واخصصني بأمنك ومنّك وتولّني باختيارك وخيرك ولا
تكلني إلى كلاءة غيرك وهب لي عافية غير عافية وارزقني
رفاهية غير واهية واكفني مخاشي اللأواء واغشني بغواشي
الآلاء ولا تظفر بي أظفار الأعداء إنك سميع الدعاء ثم أطرق
لا يدير لحظاً ولا يحير لفظاً حتى قلنا قد أبلسته خشية أو
أخرسته غشية ثم أقنع رأسه وصعّد أنفاسه وقال
أقسم بالسماء ذات الأبراج والأرض ذات الفجاج والماء الثجاج
والسراج الوهاج والبحر العجاج والهواء والعجاج
إنها لمن أيمن العُوَذ وأغنى عنكم من لابسي الخُوَذ من تلاها
عند ابتسام الفلق لم يشفق من حزب إلى الشفق ومن
ناجى بها طليعة الغسق أمن ليلته من السَّرَق قال
الراوي فتلقّنّاها حتى أتقنّاها وتدارسناها كيلا ننساها
ثم سرنا نزجي الحمولات بالدعوات لا بالحداة ونحمي الحمولات

بالعلات لا بالكلمات وصاحبنا يتعهدنا بالعشي والغداة
ولا يأبى أن نحرمنا العيدان حتى اذا ابنا اطلال عانة قال لنا
الحاجة الإعانة فاحضرنا له المعلوم والمكتوم وأزباد المعكوم
والمختوم وقلنا له اقض ما انت قاض فما تجد فينا غير راض
ثم استخفه سوى الخف والحلي بعينه غير العين فاحتمل منهما
وقر وناء بما يجد فوره ثم خالسنا مخالسة الطراد وانصلت
منا انصلات العراد فأوحشنا فراقه وأدهشنا إمراقه ولم
نزل ننشده بكل ناد ونستخبر عنه كل غاد وباد إلى أن قيل
إنه مذ دخل عانة ما زايل الحانة فأغراني خبث هذا القول
بسبكه والانسلال فيما لست من سلكه فادلجت إلى الدسكرة
في هيئة منكرة فإذا الشيخ في حلة ممصرة بين دنان ومعصرة
وحوله سقاة تبهر وشموع تزهر وآس وعبهر ومزمار ومزهر وهو
تارة يستبزل الدنان وطورا يستنطق العيدان ودفعة

يستنشق الريحان وأخرى يغازل الغزلان فلما عثرنا على
لبسه وتفاوت يومه من أمسه قلت له أولى لك يا ملعون
أنسيت يوم جيرون فضحك مستغربا ثم أنشد مطربا شعر

لزمت السفار وجبت القفار وعفت النفار لأجني الفرح
وخضت السيول وروضت الخيول لجر ذيول الصبى والمرح
ومطت الوقار وبعت العقار لحسو العقار ورشف القدح
ولولا الطماح إلى شرب راح لما كان باح فمي بالملح
ولا كان ساق دهائي الرفاق لأرض العراق بحمل السبح
فلا تغضبن ولا تصخبن ولا تعتبن فعذري وضح
ولا تعجبن لشيخ أبن بمغنى أغن ودن طفح
فإن المدام تقوي العظام وتشفي السقام وتنفي الترح
وأصفى السرور إذا ما الوقور أماط ستور الحيا واطرح
وأحلى الغرام إذا المستهام أزال اكتتام الهوى وافتضح
فبح بهواك وبرد حشاك فزند أساك به قد قدح

وداوِ الكُلومَ وسلِّ الهمومَ ببنتِ الكرومِ التي تُقترحْ
وخُصَّ الغَبوقَ بساقٍ يَسوقُ بلا المسوقِ إذا ما طمحْ
وشادٍ يُشيدُ بصوتٍ يُبيدُ جبالَ الحديدِ لذا ما صدحْ
وعاصِ النصيحَ الذي لا يُبيحُ وِصالَ المليحِ إذا ما سمحْ
وجُلْ في المجالِ ولو بالمحالِ ودعْ ما يُقالُ وخُذْ ما صلحْ
وفارقْ أباكْ إذا ما أباكْ ومُدَّ الشِّباكْ وصِدْ ما سنحْ
وصافِ الخليلْ وناوِ البخيلْ وبثَّ الجميلْ ووالِ المِنحْ
ولُذْ بالمتابِ أمامَ الذَّهابِ فمن دقَّ بابَ كريمٍ فتحْ

فقلت له بخٍ بخٍ لروايتك وأفٍّ وتفٍّ لغوايتك فبالله من أيّ الأعاجم عيصك فقد أعضلني عويصك فقال ما أحبّ أن أفصح عنّي ولكن سأكنّي وأنشد

أنا أطروفة الزمانِ وأعجوبة الأُمَمْ
وأنا الحُوَّلُ الذي احتال في العُرْب والعجمْ
غيرَ أنّي ابنُ حاجةٍ كاضه الدهرُ واقتضمْ
وأبو صبيةٍ بدوا أمثال لحمٍ على وضمْ
وأخو العَيلةِ المُجيدُ إذا احتال لم يُلَمْ

قال الراوي فعرفت حينئذٍ أنّه أبو زيدٍ ذو الرَّيبِ والعيبِ ومسوِّدُ وجهِ الشيبِ وساءني عظمُ تمرّده وقبحُ تورّده فقلت له بلسانِ الرافقة وإدلالِ المعرفة ألم يأنِ لك يا شيخنا أن تُقلع عن الخنا فتنحنح وزمجر وتنكّر وفكّر ثم قال إنها ليلةُ مِراحٍ لا إلاحٍ ونوبةُ شُربِ راحٍ لا كفاحٍ فعُدَّ عمّا بدا إلى أن نتلاقى غدا ففارقته فرقًا من عربدته لا تعلّقًا بعِدَته وبتُّ ليلتي لابسًا حِدادَ الندمِ على نقلي خُطى القدمِ إلى ابنةِ الكَرْمِ لا الكريم وعاهدتُ الله تعالى ألّا أحضرَ بعدها حانةَ خمّارٍ ولو أُعطيتُ مُلكَ بغدادَ وأن لا أشهدَ معصرةَ الشرابِ ولو رُدَّ عليَّ عصرُ الشبابِ ثم إنّا رحلنا العيسَ وقتَ التغليسِ وخلّفنا بين الشيخين أبي زيدٍ وإبليسْ

المقامة الثالثة عشرة حكى الحارث بن همام

قال يوسف بضوء الاوان مع شيخة من الشعراء لا يعلق لهم
مبار ولا يجرى معهم مجار فى مضمار فافضنا فى حديث
يفضح الازهار الى ان نصفنا النهار فلما غاض در الافكار
وصبت النفوس الى الاوكار لمحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر
احضار الجرد وقد استتلت صبية انحف من المغازل و
اضعف من الجوازل فما كذبت اذ رات الجمع ان عرجت حتى اذا ما حضرت
قالت حيا الله المعارف وان لم يكن معارف اعلموا يا مآل الآمل
وثمال الارامل انى من سروات القبائل وسريات العقائل
لم يزل اهلى وبعلى يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون
الظهر ويولون اليد فلما اردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح
الاكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب
وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند ووهنت اليمين
وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبر العيش الاخضر

وازور المحبوب الاصفر اسود يومى الابيض وابيض فودى الاسود
حتى رثى لى العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وتلوى من ترون عينه فراره
وترجمانه اصفراره قصوى بغية احدهم ثردة وقصارى امنيته بردة
وكنت آليت لا ابذل الحر الا للحر ولو انى مت من الضر وقد ناجتنى
القرونة بان توجد عندكم المعونة وآذنتنى فراسة الحوباء
بانكم ينابيع الحباء فنضر الله امرأ ابر قسمى وصدق توسمى ونظر
الى بعين يقذيها الجمود ويقذيها الجود قال فهمنا ببراعة
عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف الحالك
فقالت تفجر الصخر ولا فخر فقلنا ان جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك
فقالت لاريكم اولا شعارى ثم لاروينكم اشعارى فابرزت
ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز دردبيس وانشات تقول

اشكو الى الله اشتكاء المريض ... ريب الزمان المتعدى البغيض
يا قوم انى من اناس غنوا ... دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع ... وصيتهم بين الورى مستفيض

كانوا إذا ما نجعةٌ أعوزت * في السنة الشهباء روضاً أريض

تشبّ للسارين نيرانهم * ويطعمون الضيف لحماً غريض

ما بات جار لهم ساغباً * ولا روع قال حال الجريض

فغيّضت منهم صروف الردى * بحار جود لم تخلها تغيض

وأودعت منهم بطون الثرى * أسد التحامي وأساة المريض

فمحملي بعد المطايا المطا * وموطني بعد اليفاع الحضيض

وأفرخي ما تأتلي تشتكي * بؤساً له في كل يوم وميض

إذا دعا القانت في ليله * مولاه نادوه بدمع يفيض

يا رازق النعّاب في عشّه * وجابر العظم الكسير المهيض

أتح لنا اللهم من عرضه * من دنس الذم نقيّ رحيض

يطفي نار الجوع عنا ولو * بمذقة من حازر أو مخيض

فهل فتى يكشف ما نابهم * ويغنم الشكر الطويل العريض

فوالذي تعنو النواصي له * يوم وجوه الجمع سود وبيض

لولاهم لم تبد لي صفحة * ولا تصدّيت لنظم القريض

قال الراوي

فوالله لقد صدعت بشعرها أعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه السماح وارتاح لرفدها من لم يخل أن يرتاح فلما افعوعم جيبها تبراً وأولاها كلٌّ منا برّاً تولّت يتلوها الأصاغر وفوها بالشكر فاغر فاشرأبّت الجماعة بعد ممرّها إلى سبر مواقع برّها فكلّفوني لهم استنباط السرّ المكتوم ونهضت أقفو أثر العجوز حتى انتهت إلى سوق غاصّة بالأنام مختصّة بالزحام فانغمست في الغمار وامّلست من الصبية الأغمار ثم عاجت بخلوّ بال إلى مسجد خال فأماطت الجلباب ونضت النقاب وأنا ألمحها من خصاص الباب وأرقب ما ستبدي من العجاب فلما انسفرت أهبة الخفر رأيت محيّا أبي زيد قد سفر فهممت أن أهجم عليه لأعنّفه على ما أجراه فاستلقى استلقاء المتمرجح ثم رفع عقيرة المتغرّد واندفع ينشد

يا ليت شعري أدهري * أحاط علماً بقدري

وهل درى كنه غوري * في الخدع أم ليس يدري

كم قد قمرت بنيه * بحيلتي وبمكري

وكم برزت عليهم * بمحنتي وبنكري

أصطاد قوماً بوعظ * وآخرين بشعري

وأستفزّ بخلّ * عقلاً وعقلاً بخمري

وتارة أنا صخر * وتارة أخت صخري

ولو سلكت سبيلاً * مألوفة طول عمري

لخاب قدحي وقدحي * ودام عسري وخسري

الأصماع

فقال للائم هذا عذري في غزوتي كل عذري قال الحارث بن همام
فلما ظهرنا على جلية أمره وبديعة أمره وما زخرف في شعره
من عذره علمنا أن شيطانه المريد لا ينجع فيه التفنيد والاعتذال
إلا أنه انثنيت إلى أصحابي عناني وأنبأتهم بما عناني فوجموا
لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز

المقامة الرابعة عشر حكى الحارث بن همام

قال نهضت من مدينة السلام لحجة الإسلام فلما قضيت بعون الله
التفث واستبحت الطيب والرفث صادف موسم الخيف
معمعان الصيف فاستطلعت للضرورة ما يغني حرة الظهيرة
فبينما أنا تحت طراف مع رفقة ظراف وقد حمي وطيس الحصباء
وأعشى الهجير عين الحرباء إذ هجم علينا شيخ متسعسع
يتلوه فتى مترعرع فسلم الشيخ تسليم أديب وحاور

محاورة قريب لا غريب فأعجبنا بما نثر من سمطه وعجبنا من انبساطه
قبل بسطه وقلنا له ما أنت وكيف ولجت وما استأذنت فقال
أما أنا فعاف وطالب إسعاف وسر ضري غير خاف وفي المطر
إلى مشبع لي كاف وأما الانقضاب النهي علي بلا ارتياب
فما هو بعجاب إذ ما على الكرام من حجاب فسألناه أنى اهتدى
إلينا واستدل علينا فقال إن للكرم نشرا ينم نفحاته ويرشد
إلى روضه نفحاته فاستدللت بأرج عرفكم على بلج عرفكم
وبشرني تضوع رياكم بحسن المنقلب من عندكم فاستخبرناه
حينئذ عن أربه ليكفل بما عناه فقال إن لي مأربا و
لفتاي مطلبا فقلنا كلا المرامين سيقضى وكلاكما سوف
يرضى ولكن الكبير الكبر فقال أجل ومن دحا السبع
الغبر ثم نهض للمقال كالمنتشط من العقال وأنشد لسان الحال شعر
إني امرؤ أبدع بي بعد الوجى والتعب
وشقتي شاسعة بعضها عنها خبي

حاوره

وما معي خردلة مذ طبعه عن ذهب ... فحلقي مسندة وخبزي ملتهب
إن تخلفت راجلا خمد داعي الطلب ... وإن تخلفت عن الرفقة ضاق مذهبي
فرفرفني في صعد وغبرني في صبب ... وأنتم منتجع الراجي ومرمى الطلب
لهاكم منهلة ولا انهلال السحب ... وجاركم في حرم ووفدكم في حرب
ما الأذى ما ع ملكم يخاف أنياب النوب ... ولا اشتد آمل جاكم فما حجب
فانعطفوا في قصتي وأحينوا منقلبي ... فلو بلوتم عيشتي ومطعمي ومشربي
لساءكم ضري الذي يسلمني للكرب ... ولو خبرتم حسبي ونسبي ومذهبي
وما حوت معرفتي من العلوم النخب ... لما اعترتكم شبهة في أن دائي أدبي
فليتني لم أكن أرضعت ثدي الأدب ... فقد دهاني شؤمه وعقني فيه أبي

فقلنا له: أما أنت فقد صرحت أبياتك بنفاقك وعطبنا فيك
وسنمنحك ما يوصلك إلى بلدك كما أدبه ولدك فقال الشيخ يا بني
كما قام أبوك في قومه بما في نفسك لامض قول فنهض ينهض البطل
للبراز وأصلت لسانا كالعضب الجراز وأنشأ يقول

بأسادة في المعالي لهم مبان مشيدة ... ومن إذا ناب خطب قام البديع المكيدة
ومن يعود عليهم بذل الكنوز العتيدة ... أريد منكم شواء وجردقا وعصيدة
فإن عجلتم فعاق بره نوادي الشهيدة ... أو لم يكن ذا ولا ذا فشيقة من ثريدة
ولن تعذرن طرا فتعوجوا وحيدة ... فاحضروا ما تشتهي ولو نظام قديدة
وروحوا نفسي لما يروح حميدة ... والزاد لا بد منه لرحلتي البعيدة
وأنتم خير رهط يدعون عند الشديدة ... أياديكم كالأنجم لها آيات جديدة
ورفدكم واصلات بعد الصلات الجديدة ... ويغتني من عطايا وفدكم زهيده
وذي العسر وغني يستغني بكنز جميلة ... وذي نتائج فكر تنتقض كل قصيدة

قال الحارث بن همام فلما رأينا الشبل شبيه الأسد أرحلنا
الوالد وزودنا الولد فقابلا الصنيع بشكر سرا
أردية وأذيا به دبيبة ولما عزما على الانطلاق وعقلا الرحل
تحكل للرطاق ذلك للشيخ بل صاحب عدنا عادة عن وجه
أو بقيت حاجة في نفس يعقوب فقال حاش لله وكلا بل حل

معروفكم وحلي فقلت له فديناك من عاد قال افدنا كما افدناك
ابن الذرية فقد ملكتنا فيك الحيرة فتنفس تنفس من ادكر
اوطانه وانشد والشهيق يقطع لسانه سروج داري ولكن
وقد اناخ الاعادي بها واخنوا عليها فوالتي سرت ابغي حط الذنوب لديها
ما راق عيني شي مذ غبت عن طرفيها ثم اغرورقت عيناه
بالدموع وآذنت مدامعه بالهموع فكره ان يستوكفهما ولم
يملك ان يكفكفهما فقطع انشاده المختلي واوجز في الوداع وولّى

المقامة الخامسة عشر

الحارث بن همام

قال أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامية الرباب ولا ارق
صب طرد عن الباب ووقم بصد الاحباب فلم تزل الافكار
يهجن همي ويجلبن الوساوس من كل فج حتى تمنيت لمضض ما
عانيت أن أرزق سميرا من العلماء ليقصر طول ليلتي

الليلاء فما انقضت منيتي ولا اغمضت مقلتي حتى قرع
الباب قارع له صوت خاشع فقلت في نفسي لعل غرس
التمني قد اثمر وليل الحظ قد اقمر فنهضت اليه عجلان
وقلت من الطارق الآن فقال غريب اجنه الليل وغشيه
السيل ويبتغي الايواء لا غير واذا اسحر قدم السير قال فلما
دل شعاعه على شمسه ونم عنوانه بسر طرسه علمت ان
مسامرته غنم وان مسامرته نعم ففتحت الباب بابتسام
وقلت ادخلوها بسلام فدخل شخص قد حنى الدهر صعدته
وبلل القطر بردته فحيا بلسان عضب وبيان عذب
ثم تشكر على تلبية صوته واعتذر من الطروق في
غير وقته فأدنيته من المصباح المستوقد وتأملته تأمل
المتفقد فألفيته شيخنا ابا زيد بلا ريب ولا رجم غيب
فاحللته محل من اظفرني بمقصوى الطلب ونقلني من وشل

الكرب إلى روح الطرب ثم أخذ يكلّم الإنس ولعذب
في كيف وأين فقال إليك عنّي إنّي غداً أعتبي طريقي وظعنه
متأبطاً للشغب متكلاً لهذا السبب فأحضرته ما حضر
الضيف المفاجئ في الليل الداجي فانقبض انقباض المحتشم
وأعرض إعراض البرم فسوّف ظنّاً بإنشاده وأيقظني حوول
لطباعه حتى كدت أغلظ له في الكلام وأسعه بجمّة الملام
فتبيّن من لحظات ناظري المخبر خاطري فقال أيضعف البغية
بأهل المعرفة عدّ عمّا أخطرته بالك واسمع إليّ لا أبا لك
فقلت هات يا أخا الترّهات فقال أعلم أنّي بتّ البارحة حليف
أفلا بين نجيّ وسمار فلما قضى الليل نحبه وغوّر الصبح
شهبه غدوت في إشراق إلى بعض أسواق متصدّياً
للصيد ... صحب أو حرّ يلح فلحظت بها أمرا قد حسن تصفيفه
وأحسن إليه مصيبة تجمع على التحقيق صفاء الرحيق وقبول

العقيق وقابلته لبانة قد برز كالإبريز الأصفر وانجلى اللون
المزعفر ممن يثني على طاهيه بلسان تناهيه ويصوّب رأي
حشيه ولو نقد حبّة القلب فيه فأسرني الشهو بإسلطانها
ولم يلمني الغيبة إلى سلطانها فبقيت لعدم من ضت وأاد
هل من ضت لا وجه يوصلني إلى نيل المراد ولا ألا الدرداد
ولا أقدم نظا وعني على الذ كاب مع حرفة الإلتهاب لكني
حدا بي الغرم وسوّدته الشغب وعزمته إلى أن أخضع كل الأعز
وأقنع من الورد ببرض فلم أزل سحابة ذلك النهار أداري
ذلك النهار وهي لا أرجع بشكل ولا أجلب تبع على الى ضعف
الشمس إلى الغروب وضعفت النفس من اللغوب فرحت بكبد
حرّاء وانثنيت أقدم رجلا وأؤخّر أخرى وبينا أنا أسعى
وأفعد وأصبّ وأكد إذ فاجأني شيخ يناوح أهله الكلال
وعيناه من الحزن تنهلان فما شغلني ما أنا فيه من داء الدبيب

والجئني المذيب عن تعاطي الغلبة والطمع في مغالبته فقلت له

يا هذا ان لبكائك لسرا وان وراءه لامرا فكل لي سرك واطلعني

على بوح بكائك واتخذني من نصحائك فانك ستجد مني بطانا

الهيا ارعوا لك اسبابا فقال والله ما اوهي لعيش فان الامر

دبر افنيت بل الا لاغراض العلم ودروسه واقول اقماره وشموسه

فقلت ولي حاجة بحث وقضية استعجمت حتى عاجت

كل الاسف على فقد من سلف فابرز رقعة من كمه واقسم بابيه

وامه لقد اتى لها باعلام المدارس فما انثاروا عن اعلام

الدوارس واستنطق لها نحارير المحابر فخرسوا الاخرس حرى

سكان المقابر فقلت ارنيها لعلي اغني بما فيها فقال بالبعد

في المرام فرنت رقبة من غير رام ثم ناولنيها فاذا المكتوب فيها

ايها العالم الفقيه الذي فاق ذكاء فماله من شبيه

افتنا في قضية حار عنها كل قاض وحاكم وفقيه

رجل مات عن اخ مسلم حر تقي من امه وابيه

وله زوجه

وله زوجة لها ايها الحبر اخ خالص بلا تمويه فحوت فرضها وحاز اخوها

ما تبقى بالارث دون اخيه فاشفنا بالجواب عما سألنا فهو نص لا خلف يوجد فيه

فلما قرأت شعرها ولمحت سرها قلت له على الخبير بها

سقطت وعند ابن بجدتها حططت الا اني مضطرم الاحشاء

مضطر على العشاء فاكرم مثواي ثم استمع فتواي فقال

لقد انصفت في الاشتراط وتجافيت عن الاشتطاط فهلم

معي الى مربعي لتظفر بما تبغي وتنقلب كما تبغي فاصحبته

الى ذراه كما حكم الله فادخلني بيتا احرج من التابوت

واوهن من بيت العنكبوت الا انه حير ضيق ربعه بتوسعة

ذرعه فحكمني في القرى وخطاب ما يشتهى فقلت ابغي

ازهى راكب على اشهى مركوب وانقع صاحب مع احر مصحوب

فافكر ساعة طويلة فقال لعلك تبغي بنت نخلة مع لبانة

نحلة فقلت اياها عنيت ولاجلها تعنيت فنهض قائما

ثم ربض حبيثا وقال اعلم اصلحك الله ان

الضعف آفة والكذب عاهة فلا يحملك الجوع الذي
هو شعار الأنبياء وحلية الأولياء على أن تلحق بمن مار
ويتحلى بالخلق الذي يجانب الإيمان فقد تجوع الحرة ولا تأكل
بثدييها وتأبى الدنية ولو اضطرت البهائم إلى سنة لكن
ترنون واغضى على صفقة مغبون وكأنا قد أنذرتك قبل
أن يهتك الستر ويتعقد بيننا الود فلا تبلغ بدرتو الاعتذار
وخذ حذار من المكايدة حذار فقلت له والذي حرم
أكل الربا وأحل أكل اللبا ما فهت بزور ولا دلست بغرور
وستخبر حقيقة الأمر وتحمد بذلك البيان والتبر وتغش
هشاشة المصدوق وانطلق معجلًا إلى السوق فما كان
بأسرع من أن أقبل يمد لج ووجهه يتلهف فوضعهما الذي
وضع المهر عليه وقال لمن بحضرته خط بلده
العيش خشرت عن ساعد التمم وحملت حملة الفيل المدهم
ومن المخطئ كالمحظ المخفق ومقدم الغيظ لو الحسن حتى إذا

هل غمت النوعين وغادرتهما أثرًا بعد عين فأفردت حيرة في
اختلال الصبيان وفكرة في الآباء فالبث للرقام واحضر الدوات
والأقلام وقال في ملأ الحرب فأبن الجواب وإلا فهيئا أن
نكلت الغنم أم ما كلت فقلت له ما عندي إلا التصفيق
قل لمن يلغز المسائل إني كاشف سرها الذي تحقيقه
إن ذاك الميت الذي قدم الشرع خالة على ابن أخيه
رجل زوج ابنه عن رضاه بحماة له ولا غرو فيه
ثم مات ابنه وقد علقت منه فجاءت بابن يسر ذويه
فهو ابن ابنه بغير مراء وأخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح أدنى إلى الجد وأولى بإرثه من أخيه
فلذا حين مات أوجب للزوجة ثمن الخراج تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الأصل أخوها من أمها باقيه
تحلى الشرح الشفيق من الحبر فلا يكفل أن تكتبه
قال مني الفتيا التي يجتدى بها كل قاض يقضي وكل فقيه
فلما أنشد الجواب استثبت منه الصواب قال أهلكت

والليلُ قد شمّر الذيلَ وبادرَ السيلُ فقلتُ إنّي بدارِهِ
في أبوابي أفضلُ منه لا سيّما وقد أغدفَ جُنحُ الظلام وسجعَ
الرعدُ في الغمام فقال اغرُبْ عنّا قاتلكَ اللهُ إلى حيث شئتَ ولا
تطمعْ في أن تبيتَ فقلتُ ولِمَ ذاك مع خُلوِّ دارك فقال إنّي
أنعمتُ إليكَ النظرَ في التقامِكَ ما حضر حتى لم تُبقِ ولم تذرْ فرأيتُكَ
لا تنظرُ في مصلحتِكَ ولا تُراعي حفظَ صحّتِكَ ومن أمعنَ فيما
أمعنتَ وبطِنَ فيما بطِنتَ لم يخلُصْ من كِظّةٍ مُدنِفةٍ أو هيضةٍ
مُتلِفةٍ فدعني باللهِ كَفافاً واخرُجْ عنّي ما دُمتَ مُعافى
فو الذي يُحيي ويُميتُ ما لكَ عندي مَبيتٌ فلمّا سمعتُ أليّتَهُ
وبلوتُ بليّتَهُ خرجتُ من بيتِهِ بالرَّغمِ وبي وَجْدُ الغمِّ أجوبُ
السماءَ وأتخبّطُ في الظلماءِ وتُنبحُني الكلابُ وتُسافِهُ
بي الأبوابُ حتى ساقني إليكَ لُطفُ القضاءِ فشكرَ البدرُ
الشبا فقلتُ له لُعِنتَ لغابِكَ المُتاحِ إلى قلبي المُرتاحِ
ثم أخذ يفتنُّ في حكاياتِهِ ويبسطُ مضحكاتِهِ ومُبكياتِهِ إلى

أن عطسَ أنفُ الصباحِ وهتفَ داعي الفلاحِ فناجى الجبّارَ
الداعي ثم عطفَ إلى وداعي فعُقتُهُ عن الانبعاثِ وقلتُ
الضيافةُ ثلاثٌ فحلفَ وخرجَ ثم أمَّ المخرجَ وأنشدَ لا عوجَ

لا تزُرْ من تُحبُّ في كلِّ شهرٍ غيرَ يومٍ ولا تزِدْهُ عليهِ
فاجتلاءُ الهلالِ في الشهرِ يومٌ ثم لا تنظرُ العيونُ إليهِ

قال الحارثُ بنُ همّامٍ فودّعتُهُ بقلبٍ ذي الفرحِ ووددتُ
لو أنّ ليلتي بطيئةُ الصبحِ

المقامة السادسة عشر أخبر الحارث بن همام

قال شهدتُ صلوةَ المغربِ في بعضِ مساجدِ المغربِ فلمّا أدّيتُها
بفضلِها وشفعتُها بنفلِها لحظَ طرفي رُفقةً قد انتبذوا
ناحيةً وامتازوا صفوةً صافيةً وهم يتعاطون كأسَ المنافثةِ
ويقتدحون زِنادَ المباحثةِ فرغبتُ في محادثتِهم لكلمةٍ
تُستفادُ أو أدبٍ يُستزادُ إذ سمعتُ البهمَ عن المتطفّلِ

غالبتهم وقلت لهم أتقبلون نزيلا يطلب جنى السمار لا جنى

الثمار ويبغي ملح الحوار لا ملحاء الحوار فحلوا إلى الحبا وقالوا

مرحبا مرحبا فلم أجلس إلا لمحة بارق خاطف أو نغبة

طائر خائف حتى غشينا جواب على عاتقه جراب فحيانا

بالكلمتين وحيا الملحة بالتسليمتين ثم قال

يا أولي الألباب وفصل الخطاب أما تعلمون أن أنفس

القربات تنفيس الكربات وأن أمتن أسباب النجاة مواساة

ذوي الحاجات وأني ومن أحلني بساحتكم وأتاح لي

استماحتكم لشريد محل قاص وبريد صبية خماص فهل

في الجماعة من يفثأ عنا حمة المجاعة فقالوا له يا هذا

إنك حضرت بعد العشاء ولم يبق إلا فضلات العشاء

فإن كنت بها قنوعا فما تجد فينا منوعا فقال إن أخا الشدائد

ليقنع بلفاظات الموائد ونفاضات المزاود فأمر كل

منهم عبده أن يزوده ما عنده فأعجبه الصنع وشكر عليه

وجلس يرقب ما يحمل إليه وثبنا نحن إلى استثارة ملح الأدب

وعيونه واستنباط معينه من عيونه إلى أن جال فيما أجلنا

أبيات نعت كاس لغو لكل سار لكابس فتداعينا إلى أن تنتج له

لأوكاده وتقنع عنه لانكاده على أن يتحكم البادي لمن جاءنا بأن

في عقدهم تتدرج الزيادات من بعده فيربح ويتعنت في

نظمه ويسبغ صاحب بصير به على رغمه قال الراوي وكنا

قد انتظمنا عدة أصابع الكف وتألفنا ألفة أصحاب

الكهف فابتدر لنظم محتفي صاحب يمنى وقال لم أحامد

وقال حيابه كبر رجالا أجر ربك وقال الذي يليه عن يرقب

إذا ابن تيم وقال الآخر سلكت كل من ثم الكثير أنصف

النوبة إلى وقد تعين نظم السمط السباعي على فلم يزل

فكري يصوغ ويكسر ويبري ويعبر وفي ضمن ذلك لم أستطع

ولا أجد من يطيع إلى أن ذكر النبيه فتحص التسليم فعلت

لأصحابي أحضر أبو زيد السروجي هذا المقام لشيخ الدار العام

وقالوا الوالي لك حل ما بالباب لاعذركما على الايس وجعلنا ننقض
في استصعابها واستغلاق بابها وذكر الضيف الغريب
المعتني بحظنا لحظ المزدري في مؤلف الدار ونحن نزري
فلما عثر على افتضاحنا وشحوب ضحضاحنا قال يا قوم
ان من العنا العظيم استيلاد العقيم واستشفا بالسقيم
وفوق كل ذي علم عليم ثم اقبل علي وقال سانوب
منابك واكفيك ما نابك فان شئت ان تنثر ولا تعثر فقل
مخاطبا لمن ذم البخل واكثر العذل لذ بكل موئل اذا
لم ولكن منك وان احببت ان تنظم فقل للذي عظم
الق برّ رجلا اذا اعترا وارع اذا المرء اسا اسيد لجاباعه
اي اخا ادنيا اسل جنابا غاشم مشاغبا ان جلبا اسر اذا هب مرا
وارم به اذا رنا اسكن تقو فعسى يسعف وقت نكبا
قال فلما اعربنا بابنه وحيرنا بعد عابانه حجاه
حتى لبي سعفا الى ان استكفا ثم تحيرنا ساعة الادم جوابه

تشهد لعصابة صدق المقال عن ولائه فاقتهم ويمحض
حاورتهم فوجدت منهم انا الذين بقلا وحللت فيهم سايلا ولقيت
لعمري لو كان الكلام حبا لكانوا اهلا ثم خطا قيد رمح
وعاد متبعدا من رحبي وقال يا عز من عدم المال
وكثر من سلب المال لدى الغاشي قد ذقت ووجه المحجة
قد انفقت سبل كنى لبلاد اجس وطرق طامس فهل من
مصباح يومن العثار ويبين لي الاثار قال فلما
حي بالملتمس وقد جلى الوجه ضوء القبس انه صاحب
صبونا هو ابو زيدنا فقلت لاصحابي هذا الذي اشرف
الي ثنية اذا انطق اصاب ان استمطر صاب فانثالوا العواجم
الاعناق واحدقوا به احداق وسالوه ان يباتهم بالكلمة
على الرحب وا عيلته فقال حبذا ما احببتم ومرحبا بكم اذ
رحبتم غير اني قصدتكم واطفالي يتضورون من الجوع ويدعون الي
يوشك الرجوع وان ابته اولي خاطرهم الطيش ولم يصفو لي

ولعمر العيش قد دعوني لأذهب فاشتد تحمضهم واسبغ غمضهم
ثم انقلب الحكم على أثره متأهبا للسمر إلى السحر فقلنا للخدم
الغلام ابعثه إلى قبته ليكون أسرع لعتبته فارتطلوا معه
مصطحبا جرابه ومحتجنا إبابه وأبطأ أبطأ جاوز حده
ثم على الغلام وحده فقلنا ما عندك من الحديث عن الحبيب
فقال أخذني في طرق متعبة وسبل متشعبة حتى
أفضنا إلى دويرة حرجة فقال ههنا مناخي ومركز
أفراخي ثم استفتح بابه واختلج من جرابه فقال
لعمري لقد خففت عني واستوجبت الحسنى مني فهاك
نصيحة هي من نفائس النصائح ومغارس المصالح وأنشد

إذا ما حويت جنا نخلة ۞ فلا تغش سرها إلى قائل
وإما سقطت على بيدر ۞ فحوصل من السنبل الحاصل
ولا تلبثن إذا ما لقطت ۞ فتنشب في كفة الحابل
ولا توغلن مع ما تبتغيه ۞ فإن السلامة في الساحل

وخالط بهات وجاوب تشوف ۞ وبع آجلا منك بالعاجل
ولا تكثرن على صاحب ۞ فما مل قط سوى الواصل

ثم قال أخزنهما في تامورك واقتد بهما في أمورك وبادر إلى صحبك
في كلاءة ربك فإذا أبلغتهم فأبلغهم تحيتي واقرأ عليهم وصيتي
وقل لهم عني إن السمر في الأخراف لمن أعظم الآفات ولست
ألغي احترامي ولا أجلب الهوس إلى راسي قال الراوي
فلما وقفنا الحادي شعره على نكره ومكره تلاومنا على تركه والاغترار
بإفكه ثم تفرقنا بوجوه باسرة وصفقة خاسرة

المقامة السابعة عشر تعرف بالقهقرية

حدث الحارث بن همام قال حللت في بعض مطارح البين ومطامح
العين فبتنا عليهم بين الحي وطلوع نجوم الدجى ومر في
ممارة مشققة العيوب ومبارة منشطة الهبوب فهزني

لتقصيرهم مدى المخاصمة واستحلا جنى المناظرة فلما
التحفوا بمرطهم وانتظموا في سمطهم قالوا انت ممن يبلي
في الهجاء ويلقي دلوه في الدلاء فقلت لا بل انا من نظارة الحرب
لا من ابناء الطعن والضرب فاضربوا عن حجاجي وافاضوا في
التناجي وكان في حجرة حلقتهم واكليل رفقتهم شيخ قد
برته الهموم ولوحته السموم حتى عاد انحل من قلم واقحل
من جلم الا انه كان يبدي العجاب اذا اجاب ويسبي سحبان
كلما ابان فاعجبت بما اوتي من الاصابة والتبريز على تلك
العصابة وما زال يفضح كل معمى ويصمي في كل مرمى
الى ان خلت الجعاب ونفد السؤال والجواب فلما راى
انفاض القوم واضطرارهم الى الصوم عرض بالمطارحة
واستاذن في المفاتحة فقالوا له خذ من لبانها فقال
اتعرفون بلدة ارضها سماؤها وصبحها مساؤها وما

نسجت على منوال البين وتحلت في لونين وصلت الى جهتين
وبدت ذات وجهين لم ترع عن حر شرفهما فياهيك دونهما
ولم تطلعت من مغربها فيا لعجبها قال فكان القوم قد رموا
بالصمات وحقت عليهم كلمة الانصات فما نبس منهم انسان
ولا فاه لهم لسان تحيرا لامر بكما صموتا كالاصنام قال
قد اجلتكم اجل العدة وارجيت لكم طول المدة ثم مهما
مجمع الشمل وموقف الفصل فان سمحت خواطركم مدحنا
وان صلدت زنادكم قدحنا فقالوا له لله ما لنا في لجة
هذا البحر سبح ولا في ساحله مسرح فارح افكارنا من
الكد وهب العطية بالنقد واتحفنا الغوانا بتبوس
اذا وجب يشبون هي استنبط فاطرق ساعة ثم قال
سمعا لكم وطاعة فاستملوا مني وانقلوا عني لانسان
صحبة العيان ورب الجميل فعل الذنب وشيمة الحر

ذخيرة الحمد وكسب الشكر استثمار السخاء وعنوان
الكرم تباشير البشر واستعمال المداراة يوجب المصافاة
وعقد المحبة بمقتضى النصح وصدق الحديث حلية اللسان
وفصاحة المنطق سحر الألباب وشرك الهوى آفة النفوس
وملك الخلائق حسن الخلائق وسوء الطبع ينافي الورع
والتزام الحزامة زمام السلامة وطلب المثالب شر
المعايب وتتبع العثرات يمحق المودات وخلوص النية
خلاصة العطية وتهنئة النوال خير السؤال وتكلف
الكلف يسهل الخلف وتقليل المعونة ينفي المؤونة وفضل
الصدر بسعة الصدر وزينة الرعاة مغنم السعاة
وجزاء المدائح بذل المنائح ومهر الوسائل تشفيع المسائل
ومجلبة الغوائل استغراق الغاية وتجاوز الحد يكل
الحد وتعدي الأدب يحبط القرب وتناسي الحقوق يمحق

الرتب ورفع الرتب ارتفاع الخطار بانتحام الأخطار
وسوء الأقدار مساواة الأقدار وسرف الآمال في تقصير
الآجال وإطالة الفكرة تنقيح الحكمة ورأس الرياسة
تهذيب السياسة ومع اللجاجة تبلغ الحاجة وعند الرجال
تفاضل الرجال وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم وبتزيد
السعي يمن التدبير وعلى الأحوال تنبني الأهوال
وبموجب الصبر ثمرة النصر واستحقاق الأجر بحسب
الأجسام ووجوب الملاحظة كفاء المحافظة وصفاء الموالي
بتعهد الموالي وتحلي المروءات بحفظ الأمانات وإغناء الإخوان
بتخفيف الأحزان ودفع الأعداء بكف الأذى وامتحان
العقلاء بمقارنة الجهلاء وتبصر العواقب يؤمن المعاطب
واتقاء الشنعة بنشر السمعة وفتح الجفاء بباب الوفاء
وجوهر الأحرار عند الأسرار ثم قال هذه ما بينا القطعة

تبنى على أدبٍ وعظةٍ فمن ساقها هذا المساق فلا افتراء
والاشتقاق ومن رام العكس فليتلها وان يردها على عقبها فليقل
الشرّاء عند الاحراز دحويه الوفاء يبلو في الجفاء وقبح النعمة
بنشر الشنعة ثم على هذا المنسج فلينسجها ولا يرهبها
حتى تكون خاتمة فقرها وآخرة دررها ورب الجحاف
صنيعة الانسان قال الراوي فلما صدع برسالته
الفريدة وأملوحته المفيدة علمنا كيف يتفاضل الانشاء وأن
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ثم اعلق كل منا بذيله
وفلذ له فلذة من نيله فأبى قبول فلذتي وقال لست أرزأ
تلامذتي فقلت له لن يا أبا زيد على شحوب سحنتك ونضوب ماء
وجنتك فقال أنا موفٍ على تحولي وتجوالي وقشف مجولي فأخذت
في تنزيهه على تشريقه وتغريبه فحوقل واسترجع ثم أنشد وقلبه موجع

سلّ الزمان عليّ عضبه ... ليروعني وأحدّ غربه
واستلّ من جفنيّ كرا ... ه مراغماً وأسال غربه
وأجالني في الأفق أطـ ... وي شرقه وأجوب غربه
فبكل جوٍّ طلعة ... في كل يومٍ لي غربه
وكذا المغرّب شخصه ... متغرّب ونواه غربه

ثم ولّى يجرّ عطفيه ويخطّ بيديه ونحن بين متلهّفٍ إليه ومتهافتٍ
عليه ثم لم نلبث أن حللنا الحبى وتفرّقنا أيادي سبا

المقامة الثامنة عشرة

حكى الحرث بن همام قال قفلت ذات مرة من الشام أؤم مدينة السلام في
ركب من بني نمير ورفقة أولي خير وميرٍ ومعنا أبو زيد السروجي
عقلة العجلان وسلوة الثكلان وأعجوبة الزمان والمشار
إليه بالبنان في البيان فصادف نزولنا سنجار أن أولم بها
أحد التجار فدعا إلى مأدبته الجفلى من أهل الحضارة
والفلا حتى سرت دعوته إلى القافلة وجمع فيها بين الفريضة
والنافلة فلما أجبنا مناديه وحللنا ناديه أحضر من
أطعمة البدو والبدن ما حلا في الفم وحلا بالعين ثم قدّم جاماً

كأنما جُمِد من الهواء أو جُمِع من الهباء أو صِيغ من نور الفضاء أو
قُشِر من الدرّة البيضاء وقد أُودِع لطائف النعم وضُمِّخ بالطيب
العَمَم وسُبِق إليه بشرب من تسنيم وسُقِف عن مرأى وسيم جبل
وأرج نسيم فلمّا اصطرمت جمرة الشهوات وفرغنا إلى مجرى
اللهوات شارف لنا شيخ على سرية الغارات وبلا عند
نهيه بالثارات فنزّ أبو زيد كالمجنون وتباعد عنه تباعد
الضبّ من النون فراودناه على أن يعود ولئن لا يكون كقُدار
في ثمود فقال والذي يُنشِر الأموات من الرجام لا أحضر دون
رفع الجام فلم نجد بُدًّا من ألفه وإبرار حلفه فأسلناه والعقول
معه شاردة والدموع عليه سائلة فلمّا فاء إلى محبّته وخلص
من أثمه سألناه لم قام ولم استرفع الجام فقال إن الزجاج
نمّام وإني آليت منذ علمت ألا يصحبني نمّام فقلنا له وما سبب
بثّك الصوت والنبأ الحكي فقال إنه كان لي جار لسانه

بمعترٍ وقلبه عقرب ولفظه شهد مستنقع وجنبه سمّ منقع
تملّق للمجاورة إلى تجاور بيته واعترّ بتكاشره في معاشرته
واستهوتني خضرة دمنته لما دمّثه وأغرتني خدعة محنته
بما سمّته فما أحببته وعندي أنه جار مكاشر فبان أنه
عقارب كاسر وأنشد على تشبيه مؤانس وضح أنه
حباب هو اللصّ وما الخبّ ولا أعلم أنه عند تعلّقه ممن نزح
بقومه وعاقرته ولم أدر أنه بعد فرق ممن يطرب المغرم
وكانت عندي جارية لا يوجد لها في الكمال مجارية إن سفرت
خجلت النيران وصليت القلوب بالنيران وإن بسمت أزرت
بالجمان وبيع المرجان بالمجان وإن رنت هيّجت البلابل و
حقّقت سحر بابل وإن نطقت عقلت لبّ العاقل واستنزلت
العصم من المعاقل وإن قرأت شفت المفؤود وأحيت المؤود
وخلتها أوتيت من مزامير آل داود وإن غنّت معبد لها

عبثا وقيل تحفّا لا تنحّى وبعدا ان امرت امنى زمام عند
ذنبها بعد ان كان لجليه زعيما وبالاطراب زعيما ولم تقصّ
امالى العمايم عن الرؤوس وانسلك عن الجيب الكووس
فكنت ازدرى عيما حمر النعم واحلى عليها جيد النعم واحجب
مرآها عن الشمس والقمر واذود ذكرها عن سوابع السمر
وانا مع ذلك احرج من ان تسرى بى اما الحج او يلمّ بها
مطيخ او يهم عليها برق ملح فانقى تو مثل الحظ المنحوس
وتكذا الطالع المنحوس ان تطلق بعضها جميعا المدام عند
الجاد التمام ثم تاب الى الغنم بعد ان سرد السهم فاحتف
الخال والوبال وضيعة ما اودع ذلك العزال بيد انى
عاهدته على علم ما فرطته وان يحفظ السر ولو احوطته
فزعم انه تجنب لى برا لما يحزن اللئيم الدينار وانه لاح
بعكل لا ينساد ولو عرض له وطيح النار فما ان غبر ذلك الزمان
الا يوم او يومان حتى بدا للامير تلك المدرة وابتلاه بالهيضة المعذرة
ان يعضد بلب فيلم مجددا عرض خيله وشمطر اطار بنيله
فانه الى نصيحه تحفة بلا لم معواه ليقدمها بين يدى نجواه
وجعل بذل الجعايل لرؤليه وبنى المراغب لمن ظفره
بمراده فاستفد ذلك الجار الختار الى بذوليه وعصى
في ادراع العار عذل عذوله فاتى الوالى نابير الاذنيه
واشتمّ ما كنت اسررته اليه فما راعنى الا النسابه صاغيته
الى واثناء الحفيه على تيوموني اثباره بالذره اليه
على لم احكم عليه في الغيبه فغشيني من الهم ما غشى فرعون
وجنوده من اليم ولم ازل اذ ادافع عنها ولا يغنى الدفاع
وابتشفع اليه ولا يجدى الاستشفاع وكلما رأى هيتى
ازدياد الاعتياص وانسداد المناص تحرق وتضرم وحرق
على الارم وتفسى مع ذلك لا تسمح بمفارقة بردى ولا بان

انزع قلبي من صدري حتى آل الوحيد ايقانا والتفريع فراقا
فقلاني لإشفاقٍ من الحين الى ان قصد سواد العين بصفرة
العين ولم يحظ الواشي بغير الاثم والشين فعاهدت الله تعالى
من ذلك العهد الا احاضر تماما من بعد والزجاج مخصوص
بهذه الطباع الذميمة وبه يضرب المثل في النميمة فعصاني
عليه سيل عيني ولذلكم السبب لم تمتد اليد بجسمي وانشد
فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته على الرغم مني باقتطاف الوظائف
فقد بان عذري في صنيعي وانني سارتق فتقي من تليدي وطارف
على الزمان ودخلكم عن فكاهة الدهر الحلو لي لكل عارف
قال الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره وقبلنا عذاره وقلنا
له قد كان فقدان النميمة خير البشر حتى انتشر عن حالة الخطب
ما انتشر ثم سألناه عما احدث جاره والغبان وداخلة المغان
بعدان انزل الشعابة وحيتم حبل الرعاية فقال اخذ
له نبلة

في لا استخذاء الاستكانة ولا استشفاع الى ذوي المكانة
وكنت حرّجت على نفسي لئن اقسمت بطلاق الزوج لابتّنّ حججه
انني او يرجع الى امسي فلم يكن له حتى سوى الرد والاصرار
على الصد وهو لا يكتسب من البخت ولا يستبشر من وقاحة الوجه
بل يلظ بالوشائل ويلج في المنابل فما التغذي من ابي عمه
ولا يعد عليه نيل من ايامه الا ايام نفث بها الصدد
الموقود الخاطر المشئوم فانها كانت مدرجة لشيطانه ومجهة
له في اوطانه حتى امتد كما يبت طلاق الحبور ودعا بالويل
والثبور وايس من نشوة وصلي المعبود كما يئس الكفار من اصحاب
القبور فما تشدنا له حتى تمادى اياما وتشبثنا به اياما فقال
اجل خلق الانسان من عجل ثم انشد لا بريه يجهلن ولا يتبيه
ونديم محضته صدق ودي اذ توهمته صديقا حميما
ثم اوليته قطيعة قالٍ حين الفيته صديدا حميما

خلّفته لم يجرّب الفاذ اذ نام فبان خلفا ذميما
وتخبّرته كليما فأمسى منه قلبي بما جناه كليما
وتظنّيته معينا رحيما فتبيّنته لعينا رجيما
ورأيته مريدا انجلى عنه سبكى له حريد اليتيما
وتوسّمت أن يبيت صفيّا فأبى أن يبيت الا سموعا
بشرٍّ من لسعه الذي أعجز الراقي سليما وبات منّي سليما
وضدا امرء غذاه افي رفقنا منعّما والجسم منّي سقيما
لم يكن رابعا خصيبا ولكن كان بالشر رابعا لي خصيما
قلت لما بلوته ليته كان عديما ولم يكن لي خديما
بغّض الصبح حين نمّ الى قلبي الى الصباح يلغي نموما
ودعاني الى هوى الليل اذ كان سواد الدجى رفيقا كتوما
وكفى من لحى لواه بالصدق اثاما فيما اتاه وتوما
قال فلما سمع ربّ المنزل قريضه وبجعه واستملح

ثمّ قرّظه وشبعه بثواه مهلا كرامته وصدّره على كلّ عشيّه
وانبث يحضر عشر صحاف من الغرب فيها حلو آل العقد والعرف
وقال لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ولا أصح
لن يجعل الجوى كبني الطيّبة وهذه ابنته تنزل منّي لمنزلة
الأبرار في صون الأشرار فلا يؤلها لا ابطالا ولا ألحق عهدا ابطالا
ثمّ أمر خادمه بنقلها الى مثواه ليحكم فيها بهواه فأقبل
علينا أبو زيد وقال أوروا أسورة الفرح وابشروا
بأذيال الفرج فقد جبر الله ثكلكم وسنّى أكلكم و
جمع في ظلّ الحلواء شملكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم
ولمّا همّ بالانصراف مال الى ابتهداء الصحاف فقال
للأديب لم يزد لا بل الطرف سماحة المغني بالظرف
وقال كلاما والعلام فاحذق الكلام وانهض بأيام
فوثب في الجواب وشكر شكر الروض للسحاب ثم افاد ابو زيد

١

الى حوايبه وحكّمنا في حلوايه وجعل تعلّتنا اواني بيته ونقضه
عددا على عددهم قال لست ادري أأشكو ابو فعلة
التي غطّاها ذاك التمام لم اشكر وانا ناسي فعلته ام اذكر
فانه وان كان اسلف الجريمة ولم يتم الغنيمة فمن غنيمه
انهلت هذه الوليمة وحيفه انحازت الى هذه الغنيمة وقد
خطر ببالي ان ارجع الى اشبالي وافرغ بما في نفسي ولا العب
نفسي لا اجمالي وانا اودعكم وداع محافظ واستودعكم
خير حافظ ثم ليشهدني على الحلبة راجعا في حاجة مع الوابل
الى ذلك حته فغادرنا بعد لأي وخدق عنده وذ الملامته
كدنست غار صدره اوليك افل بدره والله اعلم

المقامة التاسعة عشرة

روى الحارث بن همام قال اخللت العراق ذات العويم لاخلاف

انواء الغيم وتحدث الركبان عن رصف نصيبين وبلهنية اهاليها
المخصبين فاقتعدت عمريّا واعتقلت سمهريّا وسرت تلفظني
ارض الى ارض ويجذبني رفع من خفض حتى بلغتها انقضاضا
على نقض فلما انخت بمغناها الخصيب وحضرت في مرعاها
بنصب توبيت لين الغنى بها جراني واتخذت اهلها جيراني
الى ان تخلع السنة الجماد وتعهد ارض قومي العهاد فوالله
ما غمضت مقلتي بنومها ولا تمخضت ليلتي عن يومها
او الفيت ابا زيد السروجي يجول في ارجاء نصيبين ويخبط
بها خبط المصابين والمصيبين وهو يتنزع فيه الدرار
فوجدت جملي قد جاز معظمها وقد جرى القدر فلاحصار
نو اما ولم ارل اتبع ظله اينما ابعد والتقط لفظه
كلما نفث الى ان عراه مرض اشتد مداه حتى كاد
يسلبه ثوب الحيا ويسلمه الى ابي يحيى فوجدت للفوت

طلقاه وانقطاع سقياه فأنجده المعد عن مرامه والمرضع
عند فطامه ثم ارجف بأن رهينه قد غلق ومخلب الحمام
به قد علق فقلق صحبه لإرجاف المرجفين وانثالوا الى
عقوته موجفين جاراي تميد بهم نجومهم كأنهم ارضعوا الخدر صبا
وأسالوا الغروب وعطوا الجيوب وصكوا الخدود ونجوا الرؤوسا
يبدون لنا المنة المنون وغالت نفايسهم والنفوسا قال
الراوي وكنت فيمن البعث بأصحابه وأخذ الى بابه فلما
انتهينا الى فنائه وتصدينا لاستئذان ابنائه وجوز
الينا فالفيناه مغفرة شفتاه فاستطلعنا طلع الشيخ
في شكاته وكنه فحوى حكايته فقال قد كان في قبضة الملهف
وعركته الوعكة الى ان شعه الدنف واستشف المتلف
ثم من الله تعالى بنقوة دمائه فأفاق من اغمائه فارجعوا
اذا اجلكم وانضوا عن عاجلكم فكان قد غدا وراح وسلمكم

الراح فأعطينا بشراه واقترحنا أن نراه فدخل مؤذنا بنا
ثم خرج آذنا لنا فلقينا منه لغى ولما أن طلقنا وجلسنا
محدقين الى مساربه فقلب طرفه في اجماعه ثم قال الحفلوكا
بعث الساعة وانشد عافاني الله من شكى الم حل كلأ بي
ومن بالبرء على انه لا بد عن حيص سيدركني طالبنا ساني ولكنه
الى ينقضي الاكل بنسبني ان حم لم يغن حميم ولا احمى كلابه يحمني
وما ابالي اذى تونة أم أخر الحين الى حين فأي فخر في حبو
ادنى فيها البلا ان ثم يبليني قال فدعونا له بامتداد
الأجل وارتداد الوجل وتداعينا الى القيام لانقضاء المرام
فقال كلا بل البثوا بياض يومكم عندي لتسعدوا بالمفاكهة
وجيي فإن منلجاتكم فوق نفسي ومغناطيس أنسي
فقمنا بمرضاته وتحامينا معاصاته واقبلنا على
الحديث نمخض زبده ونلغي زبده الى أن حان وقت المقيل

وكلٌّ آلى لسن عن العالب والعيل وكان يوماً حامي الوديقة
بارح الحديقة فملك لسن النعاس قد امال الاعناق واوده
الاماق وبوحشم الكرى وخطب لا يرد فصلوا احبله بالقيلولة
واقيدوا اعينه بالآثار المنقولة قال الراوي فاتبعنا
ما قال وقلنا وقال فضرب الله على الآذان واوزع السِّنة
في الاجفان حتى خرجنا من حكم الوجود وصرفنا بالهجود
عن السجود فما استيقظنا الا والحر قد باخ واليوم قد شاخ
فتكر عنا الصلوة الجماوين وادينا ما حل من الدين ثم
تحفنا للارتحال الى ملقى الرحال فالتفت ابو زيد الى شبلي
وكان على مناكلته وشكله وقال اني اخال يا عمرة قد
اضبوم في خيامهم الجمرة فاستدع الجامع فانه بشرى لكل
جايع واردفه بابي نعيم الصابر على كل ضيم عن رابي
حبيب الحبيب الى كل لبيب المتقلب بين احراق وتعذيب

واهب بابي نفيف فهذا موصن البيت وهلم بابي عجيز فما مثله
من عون ولو استحضرت الجميل المجمل ابن جميل وحي مل
باسم الغرى المذكر بكسرى ولا تنس ام جابر فلهم لطعام من ذاكر
وبالام الفرج ثم اقبل بها والحوج ولعم بابي رزين مهو مبلاة
كل حزين ولن تعرف به ابا العلا ونج امكل من دبولن البخلاء
وابال واستلقه المرجب قبل استقلال حمول البين واذا
نزع القوم عن المراس وصاحوا انحو ابا ابادي فاطلع عليهم ابا الرو
فانه عنوان السرور وقال ففقه الله لطايف حوزه بلطافة
تمسيه وطاف علينا بالطيبات والحلبيات الى ان اذنت
الشمس بالمغيب فلما اجتمعنا على الوديع قلنا له مرى الى هذا
اليوم البديع كيف بدا صبحه وتمطر اقتنيته مسيرا فتجد
حتى اطال ثم رفع راسه وقال هذا الموقف
لا تأسا عند النوب من فرجة تجلو الكرب فلكم سموم هبت ثم خبت وانجلت

وجاب مكرب نسبا فاصبحا وما يملك وخاب حظ حقيقة ثمالا وسال له

بطالما طلع لاسى على نعيش عرب فاضر ادلمامج فالزمان ابو العجب

وزوج من لطفا زوج لا لد لطايفا لا تحتسب قال فاستملنا لطايفه

ابيات العز والثنا لله تعالى الشكر ووعدنا عمرو بن

الشرح

معمور بن تعب فاتضمنت هذه المقامة من الالفاظ اللغوية

وكنى طفيلية وكنايات صوفية قوله ذات العويم يعني

حين الزمان المتقادم ومثله ذات الزجر والسمهرية الرماح و

في تسميتها بذلك قولان احدهما انها سميت بذلك لصلابتها

من قولهم اسمهر الشي اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى

سمهر زوج ردينة وكانا جميعا يقومان الرماح فنسبت اليهما

وقوله بعض على بعض اي محزون لا على محزول وقوله

ضرب الله على اذان اي انامنا ومنه قوله عز وجل فضربنا

على اذانهم في الكهف اي انمناهم وقيل في تفسيره اي نمناهم

السمع وقوله نكل عن الصلوة العجماوين اى عسلا الكارعا

وهو كناية عن الوضوء والعجماوان صلوتا الظهر والعصر

سميتا بذلك لاسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلوة النهار عجماء

وقوله هلم اي تعال قلم ومعنى هلم تعال واقبل و

الافصح ان يوحد لفظها مع المذكر والمونث والمثنى والجمع

وبه نطق القران في قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا

ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع

هلموا وللمونث الواحدة هلمي وللاثنين هلما وللجمع هلممن

وقوله حي هلا اي عجل يقال حي هل بفلان بتسكين

اللام وفتحها وتنوينها وباثبات النون معها ومنه قول ابن مسعود

في عمر بن الخطاب اذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر وفي حي هل لغات

اخر اضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضع استيفاء شرحها

فهذا تفسير الالفاظ اللغوية ولهما تفسير الكنى الطفيلية

والكنايات الصوفية فابو يحيى كنية ملك الموت وابو عمرة كنية الجوع ويكنى ايضا ابا مالك وابو جامع الخوان وابو نعيم الخبز الحوارى وابو حبيب الجدي وابو ثقيف الخل وابو عون الملح وابو جميل البقل وام القرى السكباج وام جابر الهريسة وام الفرج الجوذابة وابو زرين الخبيص وابو العلا الفالوذ وابو اياس الشواء والمرجان الطست وابو الازرق والسرو البخور

المقامة العشرون

حكى الحارث بن همام قال يممت ميافارقين مع رفقة موافقين لا يمارون في المناجاة ولا يدرون ما طعم المداجاة فكنت فيهم كمن لم يرم عن وجاره ولا ظعن عن الفه وجاره فلما انخنا بها مطايا التسيار واستقللنا عن الاكوار الى الاوكار تواصينا بتذكار الصحبة وتناهينا عن التقاطع في الغربة واتخذنا ناديا نعمره طرفي النهار ونتهادى فيه طرف الاخبار فبينا نحن به في بعض الايام وقد انتظمنا في سلك الالتيام وقف علينا ذو مقول جهير وجرس جهوري فحيا تحية نفاث في العقد قناص للاسد والنقد ثم قال

عندي يا قوم حديث عجيب ... فيه اعتبار للبيب الاريب

رايت في ريعان عمري فتى ... باس له حد الحسام القضيب

يقدم في المعرك اقدام من ... يوقن بالفتك ولا يستريب

فيه موج الضيق بكراته ... حتى يرى ما كان ضنكا رحيب

ما بارز الاقران الا انثنى ... عن موقف الطعن بجرح خضيب

ولا سما يفتح حصنا عصا ... بمغلق الباب صعبا مهيب

الا ونودي حين يسمو له ... نصر من الله وفتح قريب

هذا وكم من ليلة باتها ... يعبق في برد الشباب القشيب

يرتشف الخيد ويشغفنه ... وهو لدى الكل الصفي الحبيب

فلم يزل يثني دهره ما فيه من بطش وعود صليب
حتى أصار بالليالي لعنا بغارة من كان منه قريب
ثم أعجز الراقي بخبل ما يبري الداء وأعيا الطبيب
وصارم البيض وصارمنه من بعد ما كان الحباب الحبيب
وآض كالمنكوس في خلقه ومن يعش يلق الذي المشيب
وها هو اليوم مسجّى فمن يرغب في تكفين حبيب غريب

ثم إنه أعلق بالحبيب وبكا بكاء المحب على الحبيب ولما رقأت دمعته والنفثات لو عينه قال يا جمعة الرواد إذ وفدوه الجواد والله ما نطقت بهتان ولا خبركم إلا عن عيان ولو كان في عصاي شيرة ولعيني مطير لا ستأثرت باذخ كلم البر لما وقفت موقف الذال عليه ولكن كيف الطيران بلا جناح وهل شاهر من لا يجد من جناح قال الراوي وطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون ويتخافون فيما يأتون

ثوجهم أنهم على صرفه بحرمان أو مطلهم برقان فغرطمته أو قال يا بلامع القاع ويرامع البقاع فاهذا الأذنباء التي يأباه الحياء حتى كأنهم كلفتهم مشقة لا شقة أو استوهبتهم بلدة لا بردة أو هبرة ثم لكسوة الميت لا ليكفن الحبيب أفي المرء لا يتأتى صفاته ولا تسمح حصاته فلما تصرف الجماعة بدلاقته وهراقة ماء أقبيته رفأه كل منهم بنيله واحتمل ظله حوف نيله قال الحرث بن همام وكان هذا السائل وافقا خلفي ومحجبا بشخصه عن طرفي فلما أرضاه القوم بسيبهم وحق على الناس بهم حلت خاتمي من خنصري ونفثت المبتصري فإذا هو شيخنا السروجي بلا فرية ولا مرية فأيقنت أنها الأدوة تكذبها وأحبولة نصبها إلا أني طويته على غره وضننت شعاره عن فرّه فخففت الخاتم وقلت ارصدته لنفقة المأتم

فقال أما لك فما الصرم شعارك وأكرم فعلك ثم أطلق سعي
نداءً وبمروته وله قدما فنزعت الى عرفان حبيبه وامتحان
دعوى حميته فقرعت ظنبوني واهبت الهوني حتى ادركته
على علوه واجتليته في خلوة فاخذت بمجامع اردانه وعنيته
عن سنن حيدانه قلت والله ما لك حتى تحاجيني أو تريني
منك المسحى فكشف عن سراويله وأشار الى غرموله فقلت
له قاتلك الله فما أعبثك بالنهى وأحبلك على اللهى
ثم عدت الى أصحابي عهد الرائد الذي لا يكذب أهله
ولا يرقش قوله فأخبرتهم بالذي رأيت وما وريت ولا آليت
فتعجبوا من كيت وكيت وتعاهدوا ذلك الميت

المقامة الرابعة والعشرون

حدث الحرث بن همام قال نشأت مذ أحكمت تدبيري وعرفت
قبيلي من دبيري لأن أصغي الى العظات وألغي الكلم المحفظات
لأتحلى بمحاسن الأخلاق وأتخلى مما يسم بالإخلاق وما زلت آخذ
نفسي بهذا الأدب وأخمد به جمرة الغضب حتى صار التطبع
فيه طباعا والتكلف له مهوى مطاعا فلما حللت
بالري وقد حللت حبى الغي وعرفت الحي من اللي رأيت
بها ذات بكرة زمرا إثر زمرة وهم منتشرون انتشار
الجراد ومستنون استنان الجياد ومتواصفون واعظا
يقصدونه ويحلون ابن سمعون دونه فلم يتكاءدني اتباع
المواعظ والاعتبار بالواعظ لأن أقاسي اللاغط وأحتمل
الضاغط فاصحبت أصحاب المطواعة وانخرطت في سلك
الجماعة حتى أفضينا الى ناد جمع الأمير والمأمور والحشد
النبيه والمغمور وفي وسط هالته ووسط أهله شيخ
قد تقوس واقعنسس وتقلنس وتطلس وهو يصدع بوعظ

يشغى الصدور ويلين الصخور فسمعته يقول وقد افتتنت
به العقول ابن آدم ما أغراك بما يغرك وأضراك بما يضرك
وألهجك بما يطغيك وأبهجك بمن يطريك تعنى بما يعنيك وتهمل
ما يغنيك وتنزع في قوس تعديك وتتقي الحرص الذي يرديك
لا بالكفاف تقنع ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات تستمع
ولا بالوعيد ترتدع دأبك أن تتقلب مع الأهواء وتخبط خبط
العشواء وهمك أن تثري في الاحتراث وتجمع التراث للوراث
يعجبك التكاثر بما لديك ولا تذكر ما بين يديك وتسعى أبدا
لغاربك ولا تبالي ألك أم عليك أتظن أن ستترك سدى وأن لا
تحاسب غدا أم تحسب أن الموت يقبل الرشا أو يميز بين
الأسد والرشا كلا والله لن يدفع المنون مال ولا بنون
ولا ينفع أهل القبور سوى العمل المبرور فطوبى لمن سمع ووعى
وحقق ما ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم أن الفائز من ارعوى

وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم أنشد إنشاد وجل بصوت زجل

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى ... إذا سكن المثري الثرى وثوى به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا ... بما تقتني من أجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فإنه ... بمخلبه الأشغى يصول ونابه
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره ... فكم خامل أخنى عليه ونابه
وعاص هوى النفس الذي ما أطاعه ... أخو ضلة إلا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الإله وخوفه ... لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه ... بدمع يضاهي المزن حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه ... وروعة ملقاه ومطعم صابه
وأن قصارى منزل الحي حفرة ... سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله ... وأبدى التلافي قبل إغلاق بابه

قال فظل القوم بين عبرة يذرونها وتوبة يظهرونها حتى كادت
الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الأصوات

والتأم الإنصات، واشتبكت العبرات والعبارات، صرخ

متصرّخ بالأمير الحاضر، وجعل يجأر من عامله الجائر،

والأمير مُصاغٍ إلى الخصمة، لاغٍ عن كشف ظلمه، فلمّا أيس من رَوحه

واستنهض الواعظ لنصحه، فنهض نهضة الشهم، وأنشد

معرّضًا بالأمير: عجبًا لراجٍ أن يؤول ولايةً ، حتى إذا ما لم يُغنه بغى

يُعدي ويلجّ في المظالم والخنا ، في وِردها طورًا وطورًا والغا

ما إن يبالي حين يتبع الهوى ، فيها أيصلح دينه أم أوتغا

يا ويحه لو كان يوقن أنه ، ما خالهُ الأحوال لمّا طغى

أو لو تبيّن ما ندامة مُصغٍ ، سمعًا إلى قول الوشاة المصغا

فالويل لمن أضحى الإمام بلفّه ، وتغاضى أن ألقى الرعاية أو لغا

وارعَ المراد إذا دعاك لرغبة ، وردِ المحاج إذا أتاك السيغا

واحمل أذاه ولو تحدّر حبّه ، واسأل عن البدع حال ولغا

فليضحكنّك الدهر منه إذا انبرى ، عنه وشيّب للكيد داء الوغى

ولينزلنّ به الشآم إذا بدا ، متطلّبًا من شغله متفرّغا

وليأذننّ له إذا أبصرته ، أضحى على ترب الهوان ممرّغا

هذا له ولسوف يوقف موقفًا ، فيه يرى ربّ الفضائح البغا

وليحشرنّ أذلّ من فقع الفلا ، ويحاسبنّ على النقيصة والسغا

ويؤاخذنّ بما جنى من جرمه ، ويطالبنّ بما احتسى وبما ارتغى

ويناقشنّ على الدقائق مثل ما ، قد كان يفعل بالورى بل أبلغا

حتى يعضّ على الولاية كفّه ، ويودّ لو لم يجن منها ما بغى

ثم قال: أيها المتوّج بالولاية، المبتهج للرعاية، دع الإدلال

بدولتك، والاغترار بصولتك، فإنّ الدولة ريح قُلَّب، والقدرة

برق خُلَّب، وإنّ أسعد الرعاة من سعدت به رعيّته،

وأشقاهم في الدارين من ساءت رعايته، فلا تكن ممن يبذل

الآخرة ويلغيها لحبّ العاجلة، ويبغيها بظلم

الرعيّة ويؤذيها، وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها

فوالله ما يغفل الديان ولا يهمل الانسان ولا يلغي الاساءة
ولا الاحسان بل سيوضع لك الميزان وكما تدين تدان قال فجعل
الوالي لما سمع وامتقع لونه واسترجع وجعل ما يبادر من احزانه
يردع الزفرة بالزفرة ثم عمد الى الشاكي فأشكاه والى
المشكو منه فأنجاه والطف الواعظ وحياه وعزم عليه
ان يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا والظالم محسورا
وبرز الواعظ يتهادى بين رفقته ويتباهى بفوز صفقته
فاعتقبته اخطو متقاصرا واريه لمحا باصرا فلما
استشف ما اخفيه وفطن لتقلب جفني فيه قال خير
دليليك من ارشد ثم افترق مني وانشد

أنا الذي تعرف يا حارث … حدث ملوك فكه منافث
أطرب ما لا تطرب المثالث … طورا أخو جد وطورا عابث
وكل ما يجرح فيه ديني عابث … حتى كأني للأنام وارث
سيان ما جمعه وما افتث

قال الحارث بن همام فقلت له تالله انك لابو زيد ولقد قمت
لله ولا عمرو بن عبيد فهش هشاشة الكريم اذا انهم وقال
اسمع يا ابن ام عليك بالصدق ولو انه احرقك الصدق
بنار الوعيد وابغ رضا الله فاغبى الورى من اسخط المولى وارضى العبيد
ثم انه ودع اخدانه انطلق انطلاق السحاب اذ دانه وطلبناه
من بعد بالوادي والمنتشر باخبره من مدارج الطرق فما وقعنا
على عرف قراره ولا ادري اي الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون

حكى الحارث بن همام قال اويت في بعض الفترات الى سقي الفرات
فلقيت بها كتابا ابرع من بني الفرات واعذب اخلاقا
من الماء الفرات فاطفت بهم لسيماهم لا لذهبهم وكاثرتهم
لادبهم لا لمادبهم فجالستهم اضراب القعقاع
بن شور

ووصلتهم الى الكون بعد الحور حتى كأنهم اشركوني في المرابع والمرتع
واحلوني محل الانملة من الاصابع واتخذوني ابن السمير
عند الولاية والعزل وخازن سرهم في الجد والهزل
فاتفق ان ندبوا في بعض الاوقات لاستيفاء خراج الرز
داقات فاختاروا من الجواري المنشآت جارية تحال الكلة
الشبابية تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وتنساب
في الحباب كالحباب ثم دعوني الى الموافقة واستدعوني
للمرافقة فلما ركبنا على المطية الدهماء وبطنا الولية
الماشية على الماء الفينا بها شيخا عليه سربال
وسبت بال فعافت الجماعة محضره وعنفت من احضره
وهمت بابرازه من السفينة لولا ما ثاب اليها من السكينة
فلما لمح منها استثقال ظله واستشاطة اذ طله تعرض
للمنافثة فصمت جهرا بعد ان عطس فما شمت فاحرج

ينظر في ما آلت حاله اليه وينتظر نصرة المبغي عليه وجلنا
نحن في شجون من جد ومجون الى ان اعترض ذكر الكاتبين
وفضلهما وتبيان افضلهما فقال قائل ان كتبة الانشاء
انبل الكتاب ومال مائل الى تفضيل الحساب واحتد الحجاج
وامتد اللجاج واشتد الضجاج حتى اذا لم يبق للجدال
مطرح ولا للمراء مسرح قال الشيخ لقد اكثرتم يا قوم
اللغط واثرتم الصواب والغلط وان الحكم عندي
فارتضوا بنقدي ولا تستفتوا احدا بعدي اعلموا
ان صناعة الانشاء ارفع وصناعة الحساب انفع
وقلم المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب واساطير البلا
غات تنسخ لتدرس ودساتير الحسابات تنسخ وتدرس
والمنشئ جهينة الاخبار وحقيبة الاسرار ونجي العظ
ماء وكبير الندماء وقلمه لسان الدولة وفارس الجولة

قال الحرث بن همام فلما اسمع من اسماعى بارق وراع استشفاه
فاثبته اب وابى من انساب ولو وجد منيا ما لا انساب
فحصلت من لبسه على عمه حتى ادركت بعل امه فقلت
والذي سخر الفلك الدوار والفلك السيار
لا اجد بحى ابى زيد وان كنت اعهد داره وايده
فتبسم ضاحكا من قولى وقال انا موعلى كثافة جهلى
وحولى فقلت لاصحابى هذا ابو زيد الذى لا يعزى فيه
ولا يبارى عبقريه فخطبوا منه الود وبذلوا له الوعد
فرغب عن الفه ولم يرغب فى التحفة وقال اما بعد
ان نصحكم حقى باجل محيى وكسعتم بالى الاخلاق من بالى
فما اراكم الا بالعين النجيبة ولا الكم منى الا المحبة النقية

اسمع اخى وصية من ناصح ما شاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة فى مدح من لم تبله او خدشه

وقف القضية فيه حتى تجتلى وصفيه فى حالتى رضاه وبطشه
ويبين خلب برقه من صدقه للشايمين ووبله من طشه
فهناك ان تر ما يشين فواره كرما وان تر ما يزين فافشه
ومن استحق الارتفاع فرفعه ومن استحط فحطه فى حشه
واعلم بان التبر فى عرق الثرى خاف الى ان يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة ان تعظم جاهلا لصقال ملبسه ورونق رقشه
او ان تهين مهذبا فى نفسه لدروس بزته ورثة فرشه
ولكم اخى طمرين هيب لفضله ومفوف البردين عيب لفحشه
واذا الفتى لم يغش عارا لم تكن اسماله الا كراقى عرشه
ما ان يضير العضب كون قرابه خلقا ولا البازى حقارة عشه

ثم انه لنبو فقد الملاح وصعد من السفينة وساح
فتوهم كل منا على ما فرط فى ذاته واغضى جفنه على قذاته

قال الحارث بن همام فلما أمتع الأسماع بما راق وراع استنبأناه

فاستنبأناه وأبى الانتساب ولو وجد منابًا لا انتساب

فحصلت عن لبسه على عمه حتى ادكرت بعد أمه فقلت

والذي سخر الفلك الدوار والفلك السيار إني

لأجد ريح أبي زيد وإن كنت أعهده دارًا وأيد

فتبسم ضاحكًا من قولي وقال أنا متوعل على كل حالي

وحولي فقلت لأصحابي هذا أبو زيد الذي لا يغرى فهيّة

ولا يباري عبقريه فخطبوا منه الود وبذلوا له الوعد

فرغب عن الألفة ولم يرغب في التحفة وقال أما بعد

أن يحجبهم حتى باحل حجتي وكشف بالي أخلاقي سربالي

فما أراكم إلا بالعين السخينة والكم مني لا صحبة السفينة

اسمع أخي وصية من ناصح ما شاب محض النصح منه بغشه

لا تعجلن بقضية مبتوتة في مدح من لم تبله أو خدشه

وقف القضية فيه حتى تجتلي وصفيه في حالي رضاه وبطشه

ويبين خلب برقه من صدقه للشائمين ووبله من طشه

فهناك إن تر ما يشين فواره كرمًا وإن تر ما يزين فأفشه

ومن استحق الارتقاء فرقه ومن استحط فحطه في حشه

واعلم بأن التبر في عرق الثرى خاف إلى أن يستثار بنبشه

وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحة نقشه

ومن الغباوة أن تعظم جاهلًا لصقال ملبسه ورونق رقشه

أو أن تهين مهذبًا في نفسه لدروس بزته ورثة فرشه

ولكم أخي طمرين هيب لفضله ومفوف البردين عيب لفحشه

وإذا الفتى لم يغش عارًا لم تكن أسماله الأزرى به عن عرشه

ما إن يضير العضب كون قرابه خلقًا ولا البازي حقارة عشه

ثم ما عتم أن لين قفا الملاح وصعد من السفينة وساح

فتندم كل منا على ما فرط في ذاته وأغضى جفنه على قذاته

وتعاهدنا على ان لا نحتقر شخصا لرثاثة بُرده والا نزدري

المقامة الثالثة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال نبا بي مألف الوطن في شرخ
الزمن لخطب خشي وخوف غشي فارقت كاس الكرى ونضضت
ركاب السرى وجبت في سيري وعورا لم تدمها الخطى
ولا اهتدت اليها القطا حتى وردت حمى الخلافة
والحرم العاصم من المخافة فسروت اهاب الروع واستشعرت
وتسربلت لباس الامن وشعاره وقصرت همتي على لذة اجتنيها
وملحة اجتليها فبرزت يوما الى الحريم لارود فيه طرفي
واجيل في طرفه طرفي فاذا فرسان متتالون ورجال متتالون
وشيخ طويل اللسان قصير الطيلسان قد لبب فتى
جديد الشباب خلق الجلباب فقصدت النظارة حتى

وافينا باب الامارة وهناك صاحب المعونة مترعا في دسته
ومزدهيا بسمته فقال له الشيخ اعز الله الوالي وجعل
كعبه العالي اني كفلت هذا الغلام فطيما وربيته يتيما
ثم لم آله تعليما فلما مهر وبهر جرد سيف العدوان وشهر
ولم اخله يلوي علي وشمخ حين تناهى مني وبلغ فقال
له الفتى علام عثرت مني حتى تنشر هذا الخزي عني
فوالله ما سترت وجه برك ولا هتكت حجاب سترك ولا
شققت عصا امرك ولا الغيت تلاوة شكرك فقال له الشيخ
ويلك واي ريب اخفى من ريبك وهل عيب افحش من عيبك
وقد ادعيت سحري واستلحقته واختلبت شعري واسترقته
واسترقاق الشعر عند الشعراء افظع من سرقة البيضاء
والصفراء وغيرتهم على بنات افكارهم كغيرتهم على البنات الابكار
فقال الوالي للشيخ وهل حين سرق سلخ ام مسخ

ام نبح فقال في الذي جعل الشعر ديوان العرب وترجمان
الادب ان الحدث سوى ان يبتل سعه اغار على بنات
شرجه فقال له انشد ابياتك من منها البخص مالعات

يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما اضحكت في يومها ابكت غدا بعدا لها من دار
واذا اظل سحابها لم ينتقع منه صدى لجهامه الغرار
غاراتها ما تنقضي واسيرها لا يفتدى بجلائل الاخطار
كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن واولغت فيه المدى ونزت لاخذ الثار
فاربأ بعمرك ان يمر مضيعا فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى ورفاهة الاسرار
وارقب اذا ما سالمت من كيدها حرب العدى وتوثب الغدار
واعلم بان خطوبها تفجأ ولو طال المدى ووفت سهى الاقدار

فقال ايها الوالي ثم ماذا اصنع هذا فقال اقدم للومه
في الجزء على ابيات السند اسبيه من الجزء او تحذف منها
جزءين وتنقص من اوزانها وزنين حتى صار الرداء فيها
روزين فقال بين ما اخذ من ابن فلان فقال اعني تعلك
والخل بالنعم عن دغل حتى تبين كيف اصطلح على
ونعهد قدر لحبه اليه الى ثم انشد وانفاسه تتصعد

يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى دار متى ما اضحكت في يومها ابكت غدا
واذا اظل سحابها لم ينتقع منه صدى غاراتها ما تنقضي واسيرها لا يفتدى
كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا قلبت له ظهر المجن واولغت فيه المدى
فاربأ بعمرك ان يمر مضيعا فيها سدى واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى
وارقب اذا ما سالمت من كيدها حرب العدى واعلم بان خطوبها تفجأ ولو طال المدى

فالتفت الوالي الى العالم وقال يا لك من خريج
مارق وتلميذ سارق فقال الفتى عيبة من الادب وبنيه

ولحقت من تأويه وتعويض جبابه إذ كانت أبياته نمت
إلى علمي قبل أن ألفت سطري وإنما اتفق توارد خواطر
كما قد يقع الحافر على الحافر قال وكان الوالي
جوز صدق زعمه فندم على بادرة ذمه وظل يتعلل فيما
يكشف له من الحقائق ويميز به الفائق من المائق فلم ير
إلا امتحانهما بالمناضلة ولزّهما في قرن المساجلة فقال لهما
إن أردتما افتضاح العاطل وانفتاح الحق من الباطل
فتراسلا في النظم وتباريا وتجاريا في حلبة المجاراة وتباريا
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فقالا
له بلسان واحد وجواب متوارد قد رضينا بسبرك فمرنا
بأمرك فقال إني مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس وأراه
لها كالرئيس فانظما الآن عشرة أبيات تلحمانها بوشي التجنيس
وتضمنانها شرح حالي مع الغر بديع الصفة

إلى الشغف بمليح الفتى كثير الشنو والتجني متناسي
العهد وإطالة الصد وإخلاف الوعد وأنا الذكا العبد قال
فبرز الشيخ مجليا وتلاه الفتى مصليا وجاريا بيتا فبيتا
على هذا النسق إلى أن كمل نظم الأبيات وانتسق

وأحوى حوى رقي برقة لفظه ... وغادرني إلف السهاد بغدره
تصدى لقتلي بالصدود وإنني ... لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره
أصدق منه الزور خوف ازوراره ... وأرضى استماع الهجر خشية هجره
وأستعذب التعذيب منه وكلما ... أجد عذابي جد بي حب بره
تناسى ذمامي والتناسي مذمة ... وأحفظ قلبي وهو حافظ سره
وأعجب ما فيه التباهي بعجبه ... وأكبره عن أن أفوه بكبره
له مني المدح الذي طار صيته ... ولي منه طي الود من بعد نشره
ولو كان عدلا ما تجنى وقد جنى ... علي وغيري يجتني ثمر ثغره
ولولا تثنيه ثنيت أعنتي ... بدارا إلى من أجتلي نور بدره

وإني على مر بغيه أهواه وأمره أرى المر حلوا في انقيادي لأمره

فلما أنشداها الوالي مترسلين لذكائهما المتعادلين

وقال أشهد بالله أنكما فرقدا سماء ولقيتان في وعاء

ولكن هذا الحدث أشبع مما أتاه الله ويشغفني بجعله

عمن سواه فثبت أبيا الشيخ من اتهامه ووثب إلى

إلزامه فقال الشيخ هيهات أن راجعه مقتي

ويعلق به ثقتي وقد بلوت كفرانه الصنيع ومنيت

منه بالعقوق الشنيع فاعترضه الغلام وقال يا هذا

إن اللجاج شؤم والخرق لؤم وتحقيق الظنة إثم

وإعنات البريء ظلم وهبني اقترفت جريرة أو اجترحت

كبيرة أما تذكر إذ أنشدتني لنفسك أبيات فكر

سامح أخاك إذا خلط منه الإصابة بالغلط وتجاوز عن تعنيفه

إن زاغ يوما أو قسط واحفظ صنيعك عنده شكر الصنيعة

أم غمط

وأطع أخاك إذا عصى منه وإن عز وأدن إذا شحط وأقر الوفا

بالشرط منك وما اشترط واعلم بأنك إن طلبت مهذبا رمت الشطط

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط أوما ترى المحبوب

والمكروه لزا في نمط كالشوك يبدو في الغصون مع الجنى الملتقط

ولذاذة العمر الطويل يشوبها نغص الشمط فانخجل

الشيخ بتصنيف تصنيفه الصلف وتحامق حماقة البازي

المطلق ثم قال والذي زين السماء بالشهب وأنزل

الماء من السحب ما دعي عن اصطلاح إلا أتى في الفضاح

فإن هذا الفتى أعلقه أن أمونه وأراعي شؤونه وقد

كان الشيخ الدهر يسح فلم أكن أشح فأما الآن فالوفر

عبوس وحشو العيش بوس حتى إن رأى هذه غارة

وبنى لا يطور به غارة قال فرق لهما الوالي

وأوى لهما من غير الليالي وصبا إلى تخصيصهما بالإسعاف

وأمر النظارة بالانصراف قال الراوي وكنت مصغوا الى
مرأى الشيخ لعلي اعلم علمه اذا غابت شمسه ولم يكن
الحلم يسفر عنه ولا التبريح لي فأذم مؤتمنه فلما تقوضت
الصفوف واجفل الوقوف تيممته فاذا ابو زيد بعينه والفتى
فتاه فعرفت حينئذ مغزاه في ما اتاه وكدت انقض
عليه لاستعرف اليه فزجرني بإيماض طرفه واستوقفني
بإيماء كفه فلزمت موقفي ولزمت مرصدي فقال الوالي هلم لك
ولاتما سبب مغاكم فابتدره الشيخ وقال انه ابني
وصاحب طلبتي فتبسم عند هذا القول شابيبي وحصر
في جلوسي ثم افاض عليهما خلعتين ووصلهما بنصاب
من العين ولم يجعلهما لمن يعاشرا بالمعروف الى اظلال
اليوم المخوف فتخلصا عن ناديه مشتدين بذكر اياديه ونعمتهما
لا عرف مثواهما واين قدم منحاهما فلما لحقنا حمى الوالي

واقتضينا الى الفضاء الخالي ادركنا احد جلاوزته مهيبا بي
الى حوزته فقلت لأبي زيد ما اظنه ليحضرني الا ليستخبرني
فماذا اقول وفي اي واديه اجول فقال بين له غلاوة
قلبه وبلادتي بلبس التعلم لن يكون الحجر افشا اعصارا او حدوا
صالي نارا فقلت اني اخاف ان يقد عصية فيلحق
لهبا او يتشكى طبية فيسري اليك بطشه فقال اني
ارحل الان الى الرها واني يلتقي سهيل والسهى فلما حضرت
الوالي وقد خلا مجلسه واخلى بطانته اخذ يصف ابا زيد
وفضله ويذم الدهر لانه ثم قال انشدك الله الذي
اغار الذنب فقلت لا والدرك الذي اجلسك في هذا
الدست ما انا بصاحب هذا الذنب بل انا الذي تم عليه خدعة
الذنب فازورت مقلتاه واحمرت وجنتاه وقال والله
ما اعوزني قط فضح مريب ولا انكشف معيب لكن ما سمعت

بأنّ شخصاً دلّس بعدما تطلّس فهذا أثرٌ له إن لم يكن قال فبمَ
يُكنى قلتُ بأبي زيد فقال إنه بأبي كيد اليوم منه بأبي زيد
أنشدني ابن سكيع ذلك الأكلح قلتُ أشوق منك للعُدى
طوى وظعن عن بغداد من فوره فقال لا قرّب الله له نوى
ولا كلأه أين ثوى فما أولت أشدّ من نكره ولا أذن أمرّ
من مكره ولولا حرمة أدبه لأوغلت في طلبه إلى أن يقع بيدي
فأوقع به وإني لأكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام
فأفتضح بين الأنام وتحبط مكانتي عند الإمام وأصير
ضحكة للخاص والعام فعاهدني على ألّا أنوّه بما اعتمد
ما دمت حالاً بهذا البلد قال الحارث بن همام فعاهدته
معاهدة من لا يتأوّل ووفيت له كما وفى السموأل

المقامة الرابعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع في إبّان الربيع
فتيةً وجوههم أبهج من أنوار الربيع وأخلاقهم أبهج من أزهار الربيع
وألفاظهم أرقّ من نسيم الأسحار فاجتليت منهم ما يزري
على الربيع الزاهر ويغني عن رنّات المزاهر وكنا تعاقدنا
على حفظ الوداد وحظر الاستبداد وألا ينفرد أحدنا
بالتذاذ ولا يستأثر ولو برذاذ فأجمعنا في يوم غادٍ دجنه
وهمى جُنّه وحكم بالاصطباح مزنه على أن نلتهي بالخروج
إلى بعض المروج لنسرّح النواظر في النواضر ونصقل
الخواطر بشيم المواطر فبرزنا ونحن كالشهور عدّة وكالمثاني
جذبة موهن إلى حديقة أخذت زخرفها وازّينت
وتنوّعت أزاهيرها وتلوّنت ومعنا الكميت المسموح
والسقاة الشموس والشادي الذي يطرب السامع ويلهيه
ويعطي كلّاً مع ما يشتهيه فلما اطمأنّ بنا الجلوس ودارت

علينا الكؤوس وغل علينا ذكر عليه طرفه حمسناه بحجرهم
العيد الشيب وجد بالصفو يومنا فلم يشب الا انه
يلم بتليم اولى الفهم وجلس يقض لطايم النثر
والنظم ونحن نزوي عن انبساطه ونتمادى لطي بساطه
الى ان غنى شادينا المغرب وغرد بالمطرب
الام سعاد لا تصلين حبلي ولا تأوين لي مما الاقي
صبرت عليك حتى عيل صبري وكادت تبلغ الروح التراقي
وها انا قد عزمت على انتصاف اساقي فيه خلي ما يساقي
فان وصلا الذ به فوصل وان صرما فصرم كالطلاق
قال فاستغربنا العائب للمثاني لم نصب الوصل الاول
ورفع الثاني فاقسم بتربة ابويه لقد تعلق بما اختاره
سيبويه فتشعبت حينئذ اراء الجمع في تجويز النصب
والرفع فقالت فرقة رفعهما هو الصواب وقالت طائفة

ومم

لا يجوز فيهما الا الانتصاب واستبهم على اخرين الجواب
واستعر بينهم الاصطخاب وذلك الواغل يبدي ابتسام
ذي معرفة وان لم يفه ببنت شفة حتى اذا سكتت
الزماجر وصمت المزجور والزاجر قال يا قوم انا انبئكم
بتاويله واميز صحيح القول من عليله انه ليجوز رفع
الوصلين ونصبهما والمغايرة في الاعراب بينهما وذلكم
بحسب اختلاف الاضمار والتقدير المحذوف في هذا المضمار
قال فتفرطت من الجماعة افراط في ممارأته والانخراط الى
مباراته فقال اما اذ دعوتم نزال فلستم للنضال
فما كلمة هي ان شئتم حرف محبوب او اسم لما فيه حرف
حلوب واي اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم واين
ها اذا التحقت اماطت الثقل واطلقت المعتقل واين
تدخل السين فتعزل العامل من غير ان تجامل ماسجوب

ابدًا على الظرف والمحرف ... واي مضاف اخل من عرى الاضافة بعروة واختلف حكمه بين رواحه وغدوته وما العامل الذي يتصل آخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله واي عامل نائبه ارحب منه صدرًا واعظم مكرًا واكثر لله تعالى ذكرًا وفي اي المواطن تلبس الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال واين يجب حفظ المراتب على المضروب والضارب وما اسم لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على حرفين وفي وضعه الاول التزام وفي الثاني الزام وما وصف اذا اردف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون فهذه ثنتا عشرة مسألة وفق عددكم وزنة لددكم ولو زدتم زدنا ولو عدتم عدنا قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا من احاجيه اللاتي هالت لما انهالت ما حار فيه الافكار

وحالت فلما اعجزنا العوم في بحره واستسلمت نمائم سحره عدلنا عن استنزال الروية الى استنزال الرواية عنه ومن يعني الترنم به الى ابتغاء التعلم منه فقال والذي نزل النحو في الكلام منزلة الملح في الطعام وحجب عن طالعه عن بصائر الطغام لا انلتكم مرامًا ولا شفيت لكم غرامًا او تخولني كل يد وتخصني كل منكم بيد فلم يبق في الجماعة الا من اذعن لحكمه ونبذ اليه البيد خاتمه فلما حصل تحت كفايته اضرم شعلة ذكائه فكشف جنيبة من اسرار العارضة وبدائع اعجازه ما جلا به صدأ الاذهان وجلى مطلعه بعرة البرهان قال الراوي فعجبنا فهمنا وعجبنا اذا اجبنا وندمنا على ما فرط منا واسفنا في التصلب اليه عرضنا معارضة الكاس عليه واخذنا نعتذر اليه اعتذار الكياس ونعرض عليه نضاع الكاس

فقال يا رب لا حفاوة وشرب لم يبق له عندي حلاوة

فأطلنا مراودته وولينا معاودته ثم شمخ بأنفه صلفا

ونأى بجانبه أنفا وأنشد نهاني الشيب عما فيه أفراحي

فكيف أجمع بين الراح والراحي وهل يجوز اصطباحي من معتقة

وقد أنار مشيب الرأس إصباحي آليت لا خامرتني الخمر ما علقت

روحي بجسمي وألفاظي بإفصاحي ولا اكتست لي بكاسات الطلا يدي

ولا أجلت قداحي بين أقداحي ولا صرفت إلى صرف مشعشعة

همي ولا رحت مرتاحا إلى راح ولا أطعت على حمولها أبدا عملي

ولا اخترت ندامى سوى الصاحي محا المشيب مراحي حين خط على

فودي فأبغض به من كاتب ماحي

ولاح يلحي على جري العنان إلى ملهى فسحقا له من لائح لاح

ولو لهوت وفودي شائب لخبا ابن المصابح من غشيان مصباح

قوم سجاياهم توقير ضيفهم والشيب ضيف له التوقير يا صاح

ثم إنه انساب انسياب الأيم وأجفل إجفال الغيم فعلمت أنه

سراج سروج وبدر الأدب النبي بجناب البروج وكان

فصارانا التحرق لبعده والتفرق من بعده

تفسير ما أودع في المقامة من اللغة العربية ومن العلوم النحوية

لعا صدر البيت من آخر من أغنيته الذي يوما ووصلا
اللذين فصل فإنه نظير قولهم المرء مجزي بعمله

إن خيرا فخير وإن شرا فشر وهذه المسألة أوردها سيبويه

كتابه وجوز في إعرابها أربعة أوجه أحدها وهو أجودها

أن تنصب خير الأول وترفع الثاني وتنصب شر الأول

وترفع الثاني ويكون تقديره إن كان عمله خيرا فجزاؤه

خير وإن كان عمله شرا فجزاؤه شر فتنصب الأول على

أنه خبر كان وترفع الثاني على أنه خبر مبتدأ محذوف

وقد حذفت في هذا الوجه كان واسمها الذي حرف الشرط

الذي هو اذ على تقديرهما وحذفت ايضا المبتدا لدلالة
الفاء التي هي جواب الشرط عليه لانه كثيرا ما يقع
بعدها و الوجه الثاني ان تنصبهما جميعا ويكون تقدير
الكلام ان كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا وان كان
عمله شرا فهو يجزى شرا فينتصب الاول على انه خبر
كان وينتصب الثاني انتصاب المفعول به و الوجه الثالث
ان ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان في عمله خير
فجزاؤه خير فيرتفع خير الاول على انه فاعل كان ويجعل
كان المقدرة ههنا هي التامة التي تاتي بمعنى حدث
ووقع فلا تحتاج الى خبر كقوله تعالى وان كان ذو عسرة
ويكون التقدير في الثاني ان كان خير فجزاؤه خير اي
ان حدث خير فجزاؤه خير و الوجه الرابع وهو اضعفها
ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث

وتنصب الثاني على ما بين ذكره في الوجه الثاني ويكون التقدير
ان كان في عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى حسب هذا
التقدير و المقدرات المحذوفات فيه يجري اعراب البيت
الذي غني به وغيرها مما ينتظم في هذا السلك قولهم المرء مقتول
بما قتل به ان سيفا فسيف وان خنجرا فخنجر واما
الكلمة التي هي حرف مجيب او اسم لما فيه حرف جلوب
فهي نعم ان اردت بها تصديق الاخبار و العدة عن السؤال
فهي حرف وان عنيت بها الابل فهي اسم و النعم يذكر
ويؤنث ويطلق على الابل وعلى كل ما شبه فيها ابل وفي
الابل الحرف وهي الناقة الضامرة سميت حرفا تشبيها
لها بحرف السيف وقيل انها الضخمة تشبيها لها بحرف
الجبل واما الاسم المتردد بين فرد جائم وجمع ملازم
فهو سراويل قال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات

وعلى هذا القول مفرد وقد حكى عن بعض الحضر بانه جازم
وقال الآخرون هو جمع وواحده سروالة شمالات
وشمالات فهو على هذا القول جمع ومعنى قوله ملازم اي
لا ينصرف اما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه
الف بعدها حرفان او ثلاثة لثقله وتفرده
دون غيره من الجموع بان لا نظير له في الاسماء الآحاد وقد كفى
في هذه الحجة عما لا ينصرف بالملازم . واما الهاء التي
اذا لحقت اما طنت الثقل واطلقت المعتقل فهي الهاء
اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك صيارفة وصياقلة
فينصرف هذا الجمع عند لحاق الهاء به لانها قد اصارته
الى مثال الآحاد نحو رفاهية وكراهية فخفف بهذا السبب
وصرف لضعف العلة فقد كفى في هذه الحجة عما لا ينصرف
بالمعقل كما كفى في التي قبلها عما لا ينصرف بالملازم واما البيت

الذي تعزل العامل من غير ان تحاول فهي السين التي تدخل
على الفعل اذا دخلت على الفعل المستقبل وفصلت
بينه وبين ان التي كانت قبل دخولها من ادوات النصب
فترفع حينئذ الفعل وتنقل ان عن كونها الناصبة (المستقبل)
للفعل الى ان تصير المخففة من الثقيلة وذلك كقوله تعالى
علم ان سيكون منكم مرضى وتقديره علم انه سيكون واما
المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه سوى حرف
فهو عند ولا تجره غير من خاصة وقول العامة ذهبت
الى عنده فاسد لحن واما المضاف الذي يخلو من عرى
الاضافة فمعروف والملغز حكمه بين حياه وغدوة فهو
لدن ولدن من الاسماء الملازمة للاضافة وكل ما ياتي
بعدها مجرور بها الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن
لكثرة استعمالهم لها في الكلام ثم نونتها ايضا ليتبين

بذلك انها منصوبة لانها من نوع المجرورات التي انجر
وعند بعض النحويين لدن لدى بمعنى عند والصحيح ان
بينهما فرقا لطيفا وهو ان عند يستعمل فيما كان على ما نحو
في ملكك وحكمك كما في لدي مال وبعد عنك ولدن تختص
معناهما بالحضرة وقرب منك ولعل العامل الذي
يتصل الخبر باق له وعمله معكوس حيث عمله فهو باق معكوسهما
اي وكلتاهما من حروف النداء وعملهما في اسم المنادى
سيان وان كانت يا اجرى في الكلام والكثر في استعمال وقد
اختار بعضهم ان ينادى بأي القريب فقط كالهمزة
واما العامل الذي نائبه احسن منه كثرة او اعظم ذكرا
والكثر الله تعالى ذكره اعلم فهو باء القسم وهذه الباء هي اصل
حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في
قولك اقسم بالله ولدخولها ايضا على المضمر كقولك بك

بالافعال ثم ابدلت الواو منها في القسم لانهما جميعا من حروف
الشفة ثم لتناسب معنييهما لان الواو تفيد الجمع والباء
تفيد الالصاق والمعنيان متقاربان ثم ضارعت الواو
المبدلة من الباء وادور في الكلام واعلق بالاقسام ولهذا
الغرض بانها اكثر لله تعالى ذكره ثم لان الواو اكثر حظا
من الباء لان الباء لا تدخل الا على الاسم ولا تعمل غير الجر
والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف ونحو ما رغم العقيم
وتارة باضمار رب وتنتظر ايضا مع نواصب الفعل
وادوات العطف فلهذا وصفها برحب الذكر وعظم
الذكر واما الموطن الذي فيه تلبس الذكران برافع التسول
ونيرز ذبان الحجال بعمائم الرجال فهو اول مراتب العدد
المضاف وذلك ما بين الثلثة الى العشرة فانه يكون
مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها كقوله تعالى سخرها عليهم

سبع ليال وثمانية ايام

والهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك قائم
وقائمة وعالم وعالمة فقد رأيت كيف انعكس في هذا
الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما في ضد
قالبه وبرز في غير صاحبه وأما الموضع الذي يجب فيه
حفظ المراتب على المضروب والضارب فهو حيث يشتبه
الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما أو في
أحدهما وذلك إذا كانا مقصورين مثل عيسى وموسى أو من
أسماء الإشارة نحو ذاك وهذا فيجب لإزالة اللبس إقرار
كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول
بتأخره وأما الاسم الذي لا يفهم إلا بإضافة كلمتين
أو اقتصار منه على حرفين فهو مهما وفيها قولان أحدهما
أنها مركبة من مه التي بمعنى اكفف ومن ما والقول الثاني
وهو الصحيح أن أصلها ما فزيدت عليها ما أخرى

ثم تزاد على أن فصار لفظها ما ما فثقل عليهم توالي كلمتين
بلفظ واحد فأبدلوا ألف ما الأولى هاء فصار لفظها مهما ومهما
من أدوات الشرط والجزاء ومتى لفظت بها لم يتم
الكلام ولا عقل المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها
كقولك مهما تفعل أفعل وتكون حينئذ ملتزمة
للفعل وإن اقتصرت منها على حرفين وهما مه التي بمعنى
اكفف فهم المعنى وكنت قد أمرت من خاطبته أن يكف
أما الوصف الذي إذا أردف بالنون نقص صاحبه في
العيون وخرج من الزبون وتعرض للهون فهو ضيف
إذا ألحقته النون استحال إلى ضيفن وهو الذي يتبع
الضيف ويتنزل في القعدة منزلة الرديف

المقامة الخامسة والعشرون وتعرف بالكرجية

حكى الحارث بن همام قال شتوت بالكرج لدين أقتضيه
وأرب أقضيه فبلوت من شتائها الكالح وصرّها النافح
ما عرّفني جهد البلاء وعكفني على الاصطلاء
فلم أكن أزايل وجاري ولا مستوقد ناري الا لضرورة
أدفع اليها أو اقامة جماعة أحافظ عليها فاضطررت
في يوم جون من مهرة ودجنة ملعمة الى ان برزت
من كناني لتلبية عناني فاذا شيخ عاري الجلدة بادي
الجردة وقد اعتم بريطة واستثفر بفويطة وحوله
جمع كثيف الحواشي وهو ينشد ولا يحاشي

يا قوم لا ينبئكم عن فقري * أصدق من عريي أوان القر
فاعتبروا بما بدا من ضري * باطن حالي وخفي أمري
وحاذروا انقلاب سلم الدهر * فانني كنت رفيع القدر
أوي الى وفر وحد يفري * تنجد صغري وتبيد عمري
وتشتكي كومي غداة أقري * تجرح الدهر سيوف الغدر
وشن غارات الرزايا الغبر * ولم يزل يتحيفني ويبري
حتى عفت داري وغاض دري * وبار سعري في الورى وشعري
وصرت نضو فاقة وعسر * عاري المطا مجرداً من قشري
كأنني المغزل في التعري * لا دفء لي في الصر والصنبر
غير التضحي واصطلاء الجمر * فهل حضيض ذو ندى وغمر
يبني بمطرف أو طمر * طلاب وجه الله لا الشكر

ثم قال يا أرباب الثراء الرافلين في الفراء من أوتي
خيرا فلينفق ومن استطاع أن يرفق فليرفق
فان الدنيا غرور والدهر عثور والمكنة زور
طيف العرض مزنة صيف واني والله لطالما
تلقيت الشتاء بكافاته وأعددت الأهب له قبل
موافاته وها أنا اليوم يا سادتي ساعدي وسادتي

وَجلَبني رُدني وجفني جفنتي فَليعتبر العاقل بحالي
وَليبادر صرف الليالي فإنّ السعيد من اتّعظ بسواه
واستعدّ لمسراه فقيل له قد جلوت علينا أدبك
فاجلُ لنا نسبك فقال تبًّا للمفتخر بعظم نخر إنما الفخر
بالتقى والأدب المنتقى ثم أنشد
لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه ❊ على ما تجلّى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وإنما ❊ فخار الذي يبغي الفخار بنفسه
ثم إنه جلس محقوقفا واخرنطم مشفقفا وقال
اللهم يا من عمّ بنواله وأمر بسؤاله صلّ على محمد وآله
وأعنّي على البرد وأهواله وأتح لي حرًّا يبرّد من
حصاصتي ويواسي ولو بخصاصة قال الراوي
فلما جلّى عن النفس العصامية والملح الأصمعية
جعلت ألاحظ عيني لتعجمه ومرامي لحظي لترجمه حتى

شعرت أنه أبو زيد وأن تعرّيه أحبولة للصيد ولمح
مني أن عرفاني قد أدركه ولم يأمن أن يتهتّكه فقال
أقسم بالسمر والقمر والزُّهر والزَّهر إنه لن يسترني
إلا أطمار جبّته واستربطاء المروّع أدعيته فعلت
ما عناه وإن خفي على القوم معناه وسيأتي ما يعاينه
من الرعدة واقشعرار الجلدة فتعهدت لغرة من التمهل
رياشي وفي الليل فراشي فنضوتها عني وقلت أقبلها
مني فما الكذب أزراها ولا عيبتي نا كاثم أنشد
لله من ألبسني فروة ❊ أضحت من الرعدة لي جنّة
ألبسنيها واقيا مهجتي ❊ وُقي شرّ الإنس والجنّة
سيكسبني اليوم ثنائي وفي ❊ غد سيكسبني سندس الجنّة
قال فلما فتن قلوب الجماعة بافتنانه في البراعة ألقوا
عليه من الفراء المغشاة والجباب الموشاة ما آده

ثقله ولم يكد يقله فانطلق مستبشرا بالفرج مستبقيا
للكرج وتبعته الى حيث ارتفعت المغيبة وبدت السمات
نقيبة فقلت له لشد ما قرسك البرد فلا شعر من بعد
فقال ويك ليس من العدل سرعة العذل فلا تعجل بلوم
من ظلم ولا تقف ما ليس لك به علم فوالذي نور
الشيبة وطيب تربة طيبة لو لم اتعرل خبت بالخيبة
وصفر العيبة ثم اندرع الى الغراد وتروع بالاكتهار
وقال اما تعلم ان منشى الانفاق من صيد الى
صيد ولا انعطاف من عمرو الى زيد واراك قد عقتني
وعققتني واقتنيتني اضعاف ما افدتني فاعفني عافاك
الله من لغوك واسعدني ببخيك ولتول جبته
حيث التلعابة وجمجمت به للدعابة وقلت له
والله لو لم اوارك اغط على عوارك لما وصلت الى صلة

ولا انقلبت الكسبي من نصلة فجازني عن العاني لبيك وسنى
لك وعليك بان تسمح لي ببرد الفروة او تعرفني كامنات
الشتوة فنظر الي نظر المتعجب وازمهر ازمهرار المتغضب
ثم قال اما رد الفروة فابعد من رد امس الدابر والميت
الغابر واما كامنات الشتوة فسبحان من طبع على
ذهنك واوهى وعاء حزنك حتى انسيت ان ذكر
بالدسكرة لابن سكرة
جاء الشتاء وعندي من حوائجه ... سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا ... بعد الكباب وكس ناعم وكسا
فلو علتني جبال الثلج لم ترني ... اقول برح بها البرد لي واسا
ثم قال الجواب نعم خير من جلباب يفنى فالدنيا وعيشها
والتلفي ففارقته وقد ذهبت فروتي لتنوني وحصلت
على الرعدة طول شتوتي لي طوال بسـ

المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالرقطاء

حدث الحرث بن همام قال حللت سوق الاهواز لابسا
حلة الاعواز فلبثت فيها مدة اكابد شدة وازجي
اياما مسودة الى ان رايت تمادي المقام من عوادي
الانتقام فرحلتها بعزم القالي وفارقتها مفارقة
الطلل البالي وظعنت عنها وشنها المكيس الازار الضاف
منها الى المياه الغزار حتى اذا سرت منها مرحلتين
وبعد سرى ليلتين تراءت لي خيمة مضروبة ونار
مشبوبة فقلت آتيهما لعلي انقع صدى او اجد على
النار هدى فلما انتهيت الى ظل الخيمة رايت غلمة
روقة وشارة مرموقة وشيخا عليه بزة سنية
ولديه فاكهة جنية فحييته ثم جالسته فضحك

الى وولجت الردهة علي وقال اجلس الى من تروق فكهته
وتشوق معاكهته فجلست اغتناما لمحاضرته لا الالتهام
ما يحضره فحين سفر عن آدابه وكشر عن انيابه عرفت
انه ابو زيد بحسن ملحه وقبح فلجه فتعارفنا حينئذ
وحققت في فرحتان سنا عهده ولم ادر بايهما انا احفى
فرجاء اوفى من رحال اسفاره عن نجح اسفاره ام بخصب
رحاله بعد امحاله وتاقت نفسي الى ان افحص عن سيره
واوطن داعية بسره فقلت له من اين ايابك والى اين
ايابك وبم اصلات عيابك فقال اما المقدم فمن
طوس واما المقصد فالى السوس واما الجدة التي اصبتها
فمن رسالة اقتضبتها فسالته ان يعرضني خلته ويرد
على رسالته فقال دون مرامك حرب البسوس او مضي
الى السوس فصاحبته اليها قهرا وعكفت بها عليه شهرا

وهو يعلّلني بكاسات التعليل ويجرّني أعنّة التأميل حتّى
إذا حرج صدري وعيل صبري قلت له إنّه لم يبق
لك علّةٌ ولا لي تعلّةٌ وفي غدٍ أزجر غراب البين
وأرحل عنك بخفّي حنين فقال حاش لله أن
أخذلك أو أخالفك وما أرجأت أن أحذو مثالك إلا لشكّ
وإذ كنت قد استربت بعدتي وأغلظت السوء
عمّا عدتني فأصخ لقصص سيرتي الممتدّة واصغ إلى
أخبار الفرج بعد الشدّة فقلت له هات فما أطول
طيلك وأهول حيلك فقال اعلم أنّ الدهر العبوس
ألجأني إلى طوس وأنا يومئذٍ فقيرٌ وغير الإقبال والنعيم
فألجأني صفر اليدين إلى التعلّق بالدّين فأدنت لسوء
الاتّفاق من سيّئ الأخلاق وتوهّمت فيه النفاق
فتوسّعت في الإنفاق فما أفقت حتّى تخطّى دين الزمني خفّه

ولازمني مستحقّه فجرّني في أمري وأطلعت غريمي على عسري
فلم يصدّق إملاقي ولا نجع عنده إطراقي بل جدّ في التقاضي
ولجّ في إقبالي إلى القاضي فكلّما خضعت له بالكلام
واستنزلت عنه رفق الكرام ورغّبته في أن يياسرني
أو ينظرني إلى ميسرة قال لا أطمع في الإنظار والإنجال
النضار فتوخّ ما أتى من بالك الخلاص أو تربّني مباكب
الخلاص فلمّا رأيت انقياد لدده وأن لا مناص لعزيمه
شاغبته ثمّ واثبته إلى أن رافعني إلى والي الحرابة لا إلى
الحاكم في المظالم لما كان بلغني من إفضال الوالي وصلته
وتشدّد القاضي وبخله فلمّا حضرنا باب أمير طوس
ألفيته لا بأس ولا بوس فاشتدّ عند ذاك وبيضاً و
أنثالت إليه من أتاكه رهطاً ومن الخلاف سندا تحت
وبعقوته ثلّة وعربة نخف ونابتة تلف وحلّة أسحة

وقطيعة نصب وغربة ذلق وشيمة نا اللوم خلف
زان وقوم نهجه بان وذهنه قلب وحربه نغنه حرف
وغريب شعر مبيد قلب سبوق صبر وطن معزب
عزوف عيوف محلف مسلف اغر فريد نائبه فاصل
ذكي انوف معلق لرابان محمد طرق اذا ناب
هياج وجال خطب مخوف عياطه شرفه نا ملف
ومشبوب حبابه بلغه نا باليد بيه فاضر وشح
قلب عاض وخلف سحابه بحياد وذهب عيابه بحيرب
من لف لفه فلج وغلب ناجر بابه جلب وخلب
انف عن هضيم يبيت ويحي من دنس عجية وفرن لبانه بعز
ونكب عن مذهب اذ ليس يوتاب عنه بهزة شرف بل يعف
عفة بر فلذا يجب ويسبحن عفافه شعفا به فلبابه جلب
اخلاقه غير نيف فوقه فولاد انا صلبه غالب

شحج بمشر ودونلاوان مقاحل فليس بحقيبونات
لا باخل يد بالان حرق اذا بغتة يرن لا يلتبس لباب
لمن عض ازل قل عزب عصاصب مثابه فاحب منه ناف
وجدير بمن لبب وفطن وقريب وشطن انا ادعن لقريع
زمن وجابر زمن مدضع ندى لبابه حصن باصية لها
نمه تعش وفرح وطاف فابهج وناقب فاخرج وفاد
يحق ابلج النعب من سبلى وغرط اذ غمر وبلى وفوح
صفايم يحب عفانيد اذ شعب
فلا خلا اذا نجعة بمند طل خصب فانه يمن انرضو شهه
زان من ابا طرقه باليس خرف ربه فليهن سعيد نا
قنعه مفاخر نا تلب وحلت وعوته صنايع عمت
وجنه وبلام فرحضرته عون اعه تخطر وخطوته فانه
فليدندب وسيد جدب وحرج نوب اذ جرب وناظر

ولا بد تسبب فذا لجاش لحظيه ولا يوجد فابل ثم فتن
نم بابك فارتجي فلك خبر تممت وخلق بالصفا قد تمت
هذا ام شيمه يرضي وتوبه قرض وفلقه غبق و
جلبابه خلاق وقد قل لتوعد غريم ظالم بحجه
يجي لائم فان حزن سيدنا بلغه بهبات كفه نوح نجد
فاق باجر فلكي من زان الخلق سجايا خلقه يزيد
مينا ثم يرفه عن رنب الحث حى ابدى قال فلما
استشف الامير البابها ولمح السر المودع فيها اوعز
في الحال بقضاء دينه وفصل ما بين خصمه وبينه ثم خلصه
بمكاشفته واختصه بمنادمته فلبثت بضع سنين انعم في
ضفيه وادرج في ريعانه حتى اذا عرفني مواهبه
واطال ذيل هبته تطفت في الارتحال على ما ترى من
حسن الحال قال فقلت له فشكرا لمن اتاح لك

ليعيان السخ الكريم وانقذك به من ضغطة الغريم فقال
الحمد لله على سعادة الجد والخلوص من الخصم الالد
ثم قال اما احب اليك ان احدثك من العطاء ام الحفل
بالرسائل الرقطاء قلت املاء الرسالة احب الي
فقال وهو وحقك اخف علي فان غلة ما يلج في
الاذان اهون من غلة ما يخرج من الادران ثم كانه
انف ولتخي يجمع لي بين الرسالة والحذيا فعزيت
منه بسهمين وفصلت عنه بغنمين وابت الى وطني
قرير العين لما حزت من الرسالة والعين

المقامة السابعة والعشرين

حكى الحارث بن همام قال ملت في ريق زماني الى النهي غير الى
مجاورة اهل الوبر لاخذ اخذ نفوسهم الحرية والشمم

ولابد لتيسير زاد الحاضر لخطب فلا يوجد قال ثم قرن
بأبيات فإن حيّيت قلت جنى لمحت وخلف الضمانة ثمّت
هذا أتم شيمه برّ رضي وقوته قرض وفلقه غبق و
جلبابه خلق وقد قلق لنوع غريم ظالم بتجنّيه
يحرق لازم فإن عنّ سيدنا بلغه بهبات كفه توّج بمجد
فاق ونال أجرا فلي من نائل الخلف سجايا خلقه ترفيد
بشايم ترفه بمنّ ربّ أزلي حيّ أبدي قال فلما
استشف الأمير لالباها ولمح السرّ المودع فيها أوعز
في الحال بقضاء دينه وفصل ما بين خصمه وبينه ثم أخلص
لمكاتبته واختصني بأثرته فلبثت بضع سنين أنعم في
ضيافته وأرتع في ريف أفنيته حتى أغرتني مواهبه
وأطال ذيلي ذهبه تلطفت في الارتحال على ما ترى من
حسن الحال قال فقلت له فشكرا لمن أتاح لك

لعيان الشيخ الكريم وانفكاكه من ضغطة الغريم فقال
الحمد لله على سعادة الجدّ والخلوص من الخصم الألدّ
ثم قال أيما أحب إليك أن أحذيك من العطاء أم أجمل
بالرسائل الرقطاء فقلت إملاء الرسائل أحب إلي
فقال وهو وحقك أخف علي فإن نحلة ما يلج في
الآذان أهون من غرامة ما يخرج من الأردان ثم كاثر
أنعمه ولينصبني تجمع لي بين الرسالة والحذيا فعزفت
منه بيتيمتين وفصلت عنه بغنيمتين وأبت إلى وطني
قرير العين بما حزت من الرسالة والعين

المقامة السابعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال ملت في ريق زماني إلى
مجاورة أهل الوبر لآخذ أخذ نفوسهم الحبيرة والشيم

العربية فسرت تسيير من لا يألو جهداً وجعلت أضرب
في الأرض غوراً ونجداً إلى أن اقتنيت جمة من الراغبين
وثلة من الناغبين ثم أوبت إلى غرب دار إقبالي وإيابه
أغوال فأوطأني أعرج حاجب فلو أعنى حدّ كل ناب
فما نابني عندهم هم ولا قرع صفاتي سهم إلى أن أضللت
في ليلة سبع البدر ألحجة غرة الذر فلم أطب نفساً
بالعاطلين والغار جلها على غاربها فقد ترب فرساً
محضاراً واعتقلت لدناً خطاراً وسرت لبلقي
جمعاً أجوب البيداء وأقتري كل تحراء ومرداء
إلى أن نشر الصبح راياته وجعل الداعي إلى الصلوة
فنزلت عن متن الركوبة لأداء المكتوبة ثم حللت في
صفوتها وقربت عن شجونها وسرت لا أرى إلا الا
فقوته ولا أتيتن الأعلوته ولا وادياً إلا أجزعته

ولا رائياً إلا استطلعته وجدي مع ذلك نهمداً
ولا أجد ورده صباراً إلى أن حانت صلة الضحى وفتح
بزعل غيلان عن مي وكان يوم أطول من ظل القناة
وأحر من دمع المقلات فأيقنت أني إن لم أستكن من الوديقة
وأتنجم بالربرعة أذبني اللغوب وعلقت بي شعوب
فعجت إلى سرحة كنيفة الأغصان رتبة الأفنان
لأعوّر تحتها إلى المغربان فوالله ما ليثبح نفسي ولا استراح
فرسي حتى نظرت إلى سانح في هيئة سائح وهو ينتجع
جنبي ويقصد إلى قصدي فكرهت انجاحه إلى معاجي
وأتيت تعلقت بالله من شر كل مفاجئ ثم ترجيت أن
يصدى مسنداً أو يبدي مرشداً فلما اقترب من دوحتي
وكاد يلتقي ناجي الغبش شيخنا السروجي متشحاً
بجرابه ومصطنعاً أهب جوابه فأنسني إذ ورد إياي

ما شرد ثم استوضحته عن ابن اشه وكبه عجره وبجره فانشد

فانشد بديهاً ولم يتغال الهاً

قل لمستطلع دخيلة أمري لك عندي كرامة وعزازه

أنا ما بين جوب أرض وأرض وسرى في مفازة ثم مفازه

زادي الصيد والمطية نعلي وجهازي الجراب والعكازه

فإذا ما هبطت مصراً فبيتي غرفة الخان والنديم جرازه

ليس لي ما أسا إن فاتني ولعمري إن حاول الزمان ابتزازه

غير أني أبيت خلواً من الهم ونفسي عن الأسى منحازه

أرقد الليل ملء جفني وقلبي بارد من حرارة وحزازه

لا أبالي من أي كاس تفوقت ولا ما حلاوة من مزازه

ولولا استحيي أن أجعل الذل مجازاً إلى الغنى لجازه

وإذا طلت كسا حلة العار فبعداً لمن يروم نجازه

ومتى اهتز للدناءة نكس عاف طبعي طباعه واهتزازه

فالمنايا ولا الدنايا وخير من ركوب الخنا ركوب الجنازه

ثم رفع إلي طرفه وقال لأمر ما جدع قصير أنفه

فأخبرته خبر ناقتي البارحة وما عانيته من برحي

والبارحة فقال دع الالتفات إلى ما فات والطماح

إلى ما طاح ولا تأس على ما ذهب ولو أنه واد من ذهب

ولا تسمع لمن مال عن رحلك وأضرم نار تبارحك ولو كان

ابن بوحك أو شقيق روحك ثم قال هل لك في أن تقيل

وتتحامى الغلاء والقيل فإن الأبدان أنضاء تعب و

الهاجرة ذات لهب ولن يصقل الخاطر وينشط الفاتر

كقائلة الهواجر خصوصاً في شهري ناجر فقلت

ذاك إليك وما أريد أن أشق عليك فافترش الترب

واضطجع وأظهر أنه قد هجع وارتفقت على الرحل

ولا تعس فأخذتني السنة لما رمت الاستنة فلم أفق

الا و الليل قد ولج و النجم قد بلج و لا السروجي و لا المرج
فبت بليلة نابغية و احزان يعقوبية اساور
الوجوم و اساهر النجوم افكر تارة في رحلتي
و اخرى في رجعتي الى ان وضح لي عند افترار ثغر
الضوء في وجه الجو راكب يجد في الدو فالمعت اليه
بثوبي و رجوت ان يعرج الى صوتي فلم يعبا بالداعي
و لا اوى للناعي بل سار على هينته و اصماني بسهم
الا تئد فاقتصصت اليه لاستردفه و احتمل بحرفه
فلما ادركته بعد الاين اجلت فيه سرح العين وجدت
ناقتي مطيته و ضالتي لقطته فما لبثت ان احدرته
عن سنامها و جاذبته طرفي زمامها و قلت انا صاحبها
و مضلها و لي رسلها و نسلها فلا تكن كاشعب فتتعب
و تتعب فاخذ يلدغ و يصي و يشجع و اقتضي و يتمايو

يبرق و يلين و يستاسد و يستلين اذ غشينا ابو زيد
لابسا جلد النمر و هاجما هجوم السيل المنهمر فخفت
و الله ان يكون بؤبؤه كامه و بدره مثل تمه فالحق
بالقارظين و اصير خبرا بعد عين فلم ار الا ان
اذكره العهود المنسية و الفعلة الاحيية
و ناشدته الله اوافي اليوم للتلافي ام لما فيه تلافي
فقال معاذ الله لن اجهز على حشاشتي او اصلح ودي
بسمومي بل وافيت لاجعل كنه حالك و الوي بنا السالك
فسكن عند ذلك جاشي و انجاب استيحاشي و اطلعته طلع
اللقحة و نبرقع صاحبي بالقحة فنظر اليه نظر
ليث العرينة الى الفريسة ثم اشرع قبله الرمح و اقسم
له بمن انار الصبح لئن لم يجنح منحا الذباب و يرض
من الغنيمة بالاياب ليورد سنانه وريده و ليجعلن

وأبده وودعه فنبذ زمام الناقة وحاص وأفلت وله
حصاص فقال لي أبو زيد فلم غاو نسيمها فإنها الجذي
الحنين وقيل أهون من ويلين قال الحارث بن همام
فحرت بين لوم أبي زيد وشكره وزينة تقعه بضربي فكأنه نوحي
بذات صدري أو تكهن ما خامر سري فقابلني بوجه طليق
وأنشد بلسان ذليق أحي الكامل ضيمي دون الخوان
إن يكن بابك أمسى ولقد شرك يومي فاغفر ذاك لهذا
واطرح شكري ولومي ثم قال أنا نبو وابنه مبو
فكيف تستغرق ولي بعد أديم الأرض وتركض طرفه
أيا ركض فما عدوت لن أقمعه في مطيتي وعدوت الطيني
حتى وصلت إلى حلب بعد اللتيا والتي

تفسير ما أودع هذه المقامة

من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية قوله نعق رجلي
يعني أوله ولا يقنه قد بدره فيقال نعق وقوله
احتذ لحتذ نعم سهم الحابية يعني اقتفي بهم يقال
منه احتذ لحتذه والحذة بكسر الهمزة وفتحها والحجة
نحو الماسير من إبلك الثلة القطيع من الغنم والراعية
الإبل والناعية الشاء ومنه قولهم ماله راعية
ولا ناعية لي أي ناقة ولا شاة وقوله أرداف أقيال
التي يخلفون الملوك إذا غابوا وقوله أبناء أولاء
فصحاء يقال للمنطيق إنه ابن أقوال وقوله فنذرت
فرسا محضارا الندر الوثوب على ظهر الفرس والمحضار
والمحضير الشديد العدو وهو مأخوذ من الحضر وقوله
أقفز بي كل شجراء ومرداء الاقفار تتبع الأرض والشجراء
ذات الشجر والمرداء الخالية من النبات ومنه اشتقاق

الأمرد الخلو وجهه من الشعر وقوله حيعل الداعي الى
صلوته يعني به قول المؤذن حي على الصلوة حي على الفلاح
والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر الهيللة و
الحمدلة والحوقلة والبسملة والحسبلة والسبحلة
والجعلفة فالهيللة حكاية قول لا اله الا الله والحمدلة
حكاية قول الحمد لله والحوقلة حكاية قول لا حول ولا قوة الا بالله
والبسملة حكاية قول بسم الله والحسبلة حكاية قول
حسبي الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله و
الجعلفة حكاية قول جعلت فداك وقوله فترت
عن متن الركوبة يعني المركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة وحلوب
وحلوبة وقد قرئ منها ركوبتهم وقوله والصهوة
مقعد الفارس والشحوة الخطوة والجزع قطع الوادي
عرضا وقوله صكة عمي يعني به قائم الظهيرة وقد

اختلف في أصله فقيل كان عمي رجلا مغوارا فغزا قوما
عند قائم الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلا
لكل من جاء في مثل ذلك الوقت وقيل المراد به الظبي لأنه
يسدر في الهواجر فيصطك بما يستقبله كاصطكاك
الأعمى ثم صغر الأعمى تصغير الترخيم فقيل عمي كما
صغروا أسود وأزهر فقالوا سويد وزهير وقوله
وكان يوما أطول من ظل القناة يوصف اليوم الطويل
بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بإبهام القطاة
وإبهام الحبارى والعرب تزعم أن ظل الرمح أطول ظل
ومنه قول الشاعر شبرمة بن الطفيل

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقوله آخر من ذكرها المقلات المقلاة هي التي لا يعيش
لها ولد فتدعها أبدا حائرة بها لأنه يقال ان دمعة

الحزن حارّة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل للمدعوّ له
اقرّ الله عينه ماخوذ من القرّة والقرّ وهما البرد وقيل
للمدعوّ عليه اسخن الله عينه ماخوذ من السخنة وهي
الحرارة وقيل ان اقرار العين ماخوذ من القرار فكانه
دعا له ان يرزق ما يقرّ عينه حتى لا تطمح الى مال غيره
فقيل معنى اقرّ الله عينه اي اقنعه بما رزقه حتى تقرّ
عينه فلا يطمح الى مال غيره وكانت الجاهلية تزعم ان المقلاة
اذا وطئت على قتيل نجيب عاش ولدها والى هذا اشار
بشر بن ابي حازم في قوله تظلّ مقاليت النساء يطأنه
يقلن الا يلقى على المرء مئزر وقوله علقتني شعوب
شعوب من اسماء المنية ولا يدخل هذا الاسم اداة التعريف
مثل دجلة وعرفة وقوله اغور تجهما الى المغيبان
التغوير النزول للقايلة كما ان التعريس النزول والعز

الليل للنهوم او الاصبح الحمرة والمغيبان تصغير
المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب الا ان العرب الحقت
لغة الفا ونونا على طريق الشذوذ وقوله
مضطبنا اهبة نجوابه الاضطبان ان تحمل الشيء تحت
حضنه والاضطبان ان تجعله تحت ضبنه والضبن والاحتقان
ما بين الابط والكشح وكلاهما متقاربان واول مراتب
الحمل الابط ثم يليها الضبن وهو اسفل الابط ثم الحضن
وهو عند الجنب والنجواب مصدر جاب وجميع المصادر
التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء الا قولهم تبيان
وتلقاء لا غير وزاد بعضهم تنضال وقوله عجري
وبجري اي كل جميع عيوبي الباطن والظاهر واصل العجر العقد
الناتية في العصب والبجر الناتية في البطن وقوله
ولم يقل انها اي لم يامرني بالكف يقال لمه اذا ابه

وللمتنكف إليها وقوله لأمرٍ ما جدع قصيرٌ أنفه هذا مولى
جذيمة الأبرش وكان جدع أنفه بيده حين قُتلت الزبّاء
مولاه ثم أتاها وأوهمها أن عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة
هو الذي جدع أنفه إيهامًا لها بأنه غشّ خاله جذيمة
إذ أشار عليه بقصدها فحظي قصيرٌ عندها بهذا القول
حتى جهّزته مرارًا إلى العراق فكان يأتيها بالطرف عنه
إلى أن استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصّل
إلى قتلها والعرب تثأر مولاه منها وقصته مشهورة وقوله
ولو كان ابن بوحك لعيّ ولد الصلب أشار به إلى أنه ولد
في ناحية الدار وهي عرصتها وجمعها بوح وقيل إن البوح
من أسماء الذكر وقوله في شهري ناجر هما شهرا الحر وقيل
إنهما حزيران وتموز وأنكر ابن دريد هذا القول وقال
هما طلوع نجمين وقوله بتّ بليلة النابغة أومأ به إلى

قول النابغة فبتّ كأني ساورتني ضئيلة من الرقش
في أنيابها السمّ ناقع وقوله المعتّ المبتلى يعني
أشرف يقال لمع ولمّع بمعنى وقوله بلا دغ وصي هذا
مثل يضرب لمن يظلم ويشكو يقال صأب العقرب تصئي
صئيًا وصئيًّا بفتح الصاد وكسرها إذا صوّتت وكذلك
الفرخ وما أحسن قول ابن الرومي في هذا المعنى فتلك الحبّة
وتشكو وهي ظالمة كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان وقوله
تزوّد ويلين هذا المثل يضرب لمن يتعزّز ثم يتذلّل ويقال
إنّ أصله الجدي يتروّى وهو صغير فإذا كبر لان وقوله
لا أبا جلد النمر هذا المثل يضرب للشجاع الجاهل لأن النمر
أجرأ السبع وأقلّه احتمالاً للضيم ومن هذا اشتقاق
قولهم تنمّر لي فلان جعل النمر وقوله فالحق بالقاعدين أصحاب
القعاريض أنه الذي يجني القرظ وهو النبات الذي يدبغ به القرظان

المشار اليهما احدهما من عنزة والآخر من النمر بن قاسط وكانا
خرجا يجتنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب
بهما المثل لكل غائب لا يرجى ايابه واليهما اشار ابو
ذؤيب في قوله حتى يؤوب القارظان كلاهما
وينشر في القتلى كليب لوائل وقوله حروري يجوي
الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح الحارة نهارا
وقد تقام احديهما مقام الاخرى مجازا وقال بعضهم
الحرور يكون ليلا ونهارا والسموم يختص بالنهار وقوله
ليث العرينة يعني مأوى السبع يقال فيه عرين وعرينة
باثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعريس
وعريسة ولغا الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الهاء وقوله
افلت وله حصاص هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة
اشفى عليها بعد ان كان يهوى فيها والحصاص العدو

وقيل انه الضراط فكانه لروعته يعدو ويضرط وقوله
ويل اهون من ويلين وهذا المثل يضرب في تسلية من نالته
بعض المكروه ومثله قول العرب بعض الشر اهون من بعض
وقوله انا تئق وانت مئق فكيف نتفق هذا المثل
يضرب للمتنافيين في الخلق فان التئق هو الممتلي غيظا
مأخوذ من قولهم اتأقت الاناء اذا ملأته والمئق هو الباكي
فكان التئق يسرع الى الشر لغيظه والمئق يضيق ذرعا
باحتماله ومثله قول بعضهم انا كلف وانت صلف فكيف
نأتلف وقوله اطيتي يعني لقصدي ووجهتي وقد يقال
فيها طية بالتخفيف وقوله بعد اللتيا والتي اللتيا
تصغير التي وهو على غير قياس التصغير المطرد لان القياس
ان يضم اول الاسم اذا صغر وقد اقر هذا الاسم حين
صغر على فتحته الاصلية عند تصغيره الا ان العرب عوضته

عن ضمّ اوله بان زادت الفا في اخره واجرت اسما الاشارات
عند تصغيرها على حكمه فقالت في تصغير الذي والتي
اللذيّا واللتيّا وفي تصغير ذا وذاك ذيّا وذيّاك وقد
اختلف في معنى قولهم بعد اللتيّا والتي فقيل هما من
اسماء الداهية وقيل المراد بهما بعد صغير المكروه وكبيره

المقامة الثامنة والعشرون

الحرث بن همام قال اشخصني في بعض اسفاري
العجم وقصدت سمرقند وكنت يومئذ قويم الشطاط
جموم النشاط ارمي عن قوس المراح الى غرض الافراح
واستعين بماء الشباب على لألاء السراب فوافيتها
بكرة عروبة بعد ان كابدت الصعوبة فسعيت وما
ونيت الى ان حصلت البيت فلما نقلت اليه قدمي

وملكت قول عندي عجّلت الى الحمّام على الاثر فامطت
عنّي وعثاء السفر واخذت في غسل الجمعة بالاثر
ثم بادرت في هيئة الخاشع الى مسجدها الجامع لأتحرّى
القرب من الامام واتقرّب بافضل الاعظام وحظيت
بان جلست في الحلبة وتخيّرت المركز لاستماع الخطبة
ولم يزل الناس يدخلون في دين الله افواجا ويردون
فرادى وازواجا حتى اذا اكتظّ الجامع بحفله واطلّ
تساوي الشخص وظلّه برز الخطيب في اهبته متهاديا
خلف عصبته فارتقى في منبر الدعوة الى ان مثل
بالذروة فسلّم مشيرا باليمين ثم جلس حتى ختم
نظم التأذين ثم قام وقال الحمد لله الممدوح
الاسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعوّ
لحسم اللأواء مالك الامم ومصوّر الرمم واهل السماح

والكرم ومهلك عاد وادم ادرك كل سر علمه ووسع
كل مصر حلمه وعم كل عالم طوله وهد كل طارد حوله
لعدو حسد موحد مسلم وادعى دعاء مؤمل مسلم
وهو الله الواحد القهار الاحد العادل الصمد لا ولد
له ولا والد ولا احد معه ولا مساعد ارسل محمدا
للملأ العرم معهدا وللملة موطدا وللادلة الرسل موكدا
وللاسود والاحمر مسددا وصل الارحام وعلم الا
حكام ووسم الحلال والحرام ورسم الاحلال والاحرام
كرم الله محله وكمل الصلوة والسلام له ورحم آله
الكرماء واهله الحكماء ما همر ركام وهدر حمام وسرح
سوامهم وسط احرامهم اعلموا رحمكم الله عمل الصلحاء
وادحروا معادكم كدح الاصحاء وردعوا اهواكم
ردع الاعداء واعدوا الاهلة اعداد السعداء

وادرعوا حلل الورع ورادوا علل الطمع وسووا
اود العمل وعاصوا مساور الامل وصوروا الا
وهام كم حول الاحوال وحلول الاهوال ودمار
الاعلال ومصارمة المال والآل واذكروا الحمام و
سكره ومصرعه والرمس وهول مطلعه واللحد وحده
وموعده والملك وروعه وسؤاله ومطلعه والمحوا الدهر
ولوم كره ومسوء حاله ودكرهم كم طمس معلما واهدم
مطعما وطحطح عرما وادحر ملكا واكرم ماهدم سلك
المسامع وسح المدامع واكدا المطامع وارد المسمع
والسامع عم حكمه الملوك والرعاع والمسود و
المطاع والمحسود والحساد والاساود والاساد
ما حول الآمال وعكس الامال ووصل الا وصال وكلم
الاوصال ولا ستر الاوساد ولوم الاساء ولا اصح الاد

ولد اللداء وروّع الأوداء الله الله رعاكم الله إلامَ
مداومة اللهو ومواصلة السهو وطول الإصرار
وحمل الآصار واطّراح كلام الحكماء ومعاصاة إله
السماء أما الهرم حصادكم والمدر مهادكم أما الحمام
موردكم والصراط مسلككم أما الساعة موعدكم
والساهرة موردكم أما أهوال الطامة لكم مرصدة أما
دار العصاة الحطمة الموصدة حارسهم مالك ورائدهم
هالك وطعامهم الحميم ومثواهم السموم لا مال
أسعدهم ولا ولد ولا عدد حماهم ولا عُدد ألا رحم
الله امرأ ملك هواه وأمّ مسالك هداه وأحكم طاعة
مولاه وكدّ لروح مأواه وعمل ما دام العمر طوعاً
والدهر موادعاً والصحة كاملة والسلامة حاصلة
وإلا دهمه عدم المرام وحصر الكلام وإلمام الآلام

وحموم الحمام وهدوّ الحواس ومراس الأرماس أوّاه لها
حسرة ألمها مؤكد وأمدها سرمد ومراسها محكم
ما لوالهها حاسم ولا للسادم راحم ولا لما عراه عاصم
ألهمكم الله أحمد الإلهام وردّاكم رداء الإكرام وأحلّكم
دار السلام وأسأل الرحمة لكم ولأهل ملة الإسلام
وهو أسمح الكرام والمملّك والسلام قال الحارث بن
همام فلما رأيت الخطبة نخبة بلا سقط وعروساً بغير نقط
دعاني الإعجاب بنظمها العجيب إلى استجلاء وجه الخطيب
فأخذت أتوسمه جداً وأقلب الطرف فيه مجداً إلى
أن وضح لي بصدق العلامات أنه شيخنا أبو زيد ذو
المقامات ولم يكن بد من الصمت في ذلك الوقت فأمسكت
حتى تحلل من النفل والفرض وحان الانتشار في الأرض
ثم واجهته تلقاءه وابتدرت لقاءه فلما لحظني خف

في القيام وللغي في الاكرام ثم استصحبني الى داره
واودعني خصائص اسراره وحين انتشر جناح
الظلام وحان ميقات المنام احضر اباريق المدام
مختومة بالفدام فقلت اتحسوها امام النوم وانت
امام القوم فقال مه انا بالنهار خطيب وبالليل
اطيب فقلت والله ما ادري أأعجب من تبلدك عن اناسك
ومسقط راسك ام من خطابتك مع ادناسك ومدار كا
سك فاشاح بوجهه عني ثم قال اسمع مني لا تبك
الفا نأى ولا دارا ودر مع الدهر كيف ما دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا ومثل الارض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره وداره فاللبيب من دارا
واضع فرصة السرور فما تدري ايوما تعيش ام دارا
واعلم بان المنون جائلة وقد ادارت على الورى دارا

واقسمت لا تزال قانصة ما كر عصر الجبار وما دارا
فكيف ترجو النجاة من شرك لم ينج منه كسرى ولا دارا
قال فلما اعتورتنا الكؤوس وطربنا للنفوس حرجني
اليمين الغموس على ان احفظ عليه الناموس فاتبعت
مراده ورعيت ذمامه وتركته بين الملاهي له الفضل
وسدلت الذيل على مجاري الليل ولم يزل ذلك دابه و
دابي الى ان هببنا ايابي فودعته وموص على الله لليس ومرتق حشو الحذر نسيب

المقامة التاسعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال الجاني حكم دهر قاسط الى ان انتجع
ارض واسط فقصدتها وانا لا اعرف بها مسكنا ولا
املك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت بالبيداء والشعرة
البيضاء في اللمة السوداء ادّاني الحظ الناقص واجد

الناكص إلى خان ينزله شذاذ الآفاق وأخلاط الرفاق
وهو لنظافة مكانه وظرافة سكانه يرغب الغريب
في استيطانه وينسيه هوى أوطانه فاستفردت منه
بحجرة ولم أنافس في أجرة فما كان إلا كلمح طرف أو خط
حرف حتى سمعت جاري بيت بيت يقول لنزيله في البيت
قم يا بني لا قعد جدك ولا قام ضدك واستصحب
ذا الوجه البدري واللون الدري والأصل النقي
والجسم الشقي قبض ونشر وسجن وسمر وسحب ووطئ
وأدخل النار بعدما لطم ثم أرقص إلى السوق
ركض المشوق فقايض به الزائح المليح المفيد المصلح
المكمد المفرح المعني المروح ذا الزفير المحرق
والجبين المعرق واللفظ المفتح والنيل الممنع الذي
إذا طرق رعد وبرق وباح بالحرق ونفث في الخرق

قال فلما قرت شقشقة الهادر ولم يبق إلا صدر
الصادر برز فتى يميس وما معه أنيس فوابيها عضلة
تلعب بالعقول وتغري بالدخول في الفضول فاطلعت
في أثر الغلام لأخبر فحوى الكلام فلم يزل يسعى سعي
العفارية ويتفقد نضائد الحوانيت حتى انتهى عند
الرواح إلى حجارة القداح فناول بائعها رغيفا
وتناول منه حجرا لطيفا فعجبت من فطانة المرسل
والمرسل وعلمت أنها سروجية وإن لم أسأل وما
كذبت أن بادرت إلى الخان مطلق العنان لأنظر كنه
منهى وما فطنت لكنه معمى فإذا أنا بالفراسة فارز
وأبو زيد بوصيد الخان مطلق العنان جالس فيها
حيا ببشرى اللقاء وتقارضنا تحية الأصدقاء ثم قال
ما الذي نابك حتى أبلتك جنابك فقلت دهر قاض وجور

فاض فقال والذي أنزل المطر من الغمام وأخرج الثمر
من الأكمام لقد فسد الزمان وعمّ العدوان وعدم
المعوان والله المستعان فكيف أفلت وعلى أيّ وصف انقلبت
فقلت اتخذت الليل قميصا وأدلجت فيه
خميصا فأطرق ينكت في الأرض ويفكر في إرباء القرض
والغرض ثم اهتز هزة من الكبير فقص أو بدت له فرص
وقال علق بقلبي لن تصاهر من يا أسوا حرجك وترب
جلبابك فقلت وكيف الجمع بين غلّ وقلّ ومن الذي
يرغب في صلة ابن ضلة فقال أنا المنتدب لك والكفيل و
الوكيل لك وعليك مع أن ذكر القوم جبر الكسير
وفك الأسير واحترام العشير واستصلاح المسير
أنهم لو خطب إليهم إبراهيم بن أدهم أو جبلة ابن الأيهم
لما زوجوه إلا على خمس مائة درهم اقتداء بما مهر الرسول صلى الله

زوجاته وعقد به النكاح بناته على أنه لن يطالب بصداق
ولا يلجأ إلى طلاق ثم إني سأخطب في موقف عقدك
ومجمع حشدك خطبة لم تفتق رتق سمع ولا خطب
بمثلها في جمع قال الحرث بن همام فأذكرني بوصف
الخطبة المتلوة دون الخطبة المجلوة حتى قلت له
قد وكلت إليك هذه الخطة فقد ثق تدبير من طب
لمن حب فنهض من فوره لأم على هلّا وقال أبشر
بإعتاب الدهر وانقلاب الدر فقد وليت العقد و
الكفيل الرفد وكان قد عزم لهذه في مواعدة أهل الخان
وأعداد حلواء الخوان فلما مد الليل أطنابه وأغلق
كل ذي باب بابه أذن في الجماعة ألا احضروا في هذه
الساعة فلم يبق منهم الآمر لبى صوته وحضر بيته
فلما اصطفوا لديه واجتمع الشاهد والمشهود عليه

جعل يرفع الاصطرلاب بضبعه ويلحظ الافق ويحد بعده
الى ان تعالى اليوم وغشي النوم فقلت يا هذا ضع الفاس
بالراس وخلص الناس من المقاس فنظر نظرة في النجوم ثم
تنشط من عقد الوجوم واقسم بالطور والكتاب المسطور
ليكشفن سر هذا الامر المستور ولينشرن ذكرها الى يوم
النشور ثم انه جثا على ركبتيه واسترعى الاسماع على خطبته
وقال الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصور
كل مولود ومآل كل مطرود ساطح المهاد وموطد الاطواد
ومرسل الامطار ومسهل الاوطار عالم الاسرار ومدركها
ومدمر الاملاك ومهلكها ومكور الدهور ومكررها ومورد
الامور ومصدرها عم سماحه وكمل وهطل ركامه و
همل وطاوع السؤال والامل واوسع المرمل وارمل
احمده حمدا ممدودا مداه واوحده كما وحد الاواه

وهو الله لا اله للامم سواه ولا صادع لما عدله وسواه
ارسل محمدا علما للاسلام واماما للحكام ومسددا
للرعاع ومعطلا احكام ود وسواع علم واعلم وحكم
واحكم واصل الاصول ومهد واكد الوعود واوعد
واصل الله له الاكرام واودع روحه دار السلام ورحم آله
واهله الكرام ما لمع آل وملع دال وطلع هلال وسمع
اهلال اعملوا رعاكم الله اصلح الاعمال واسلكوا مسالك
الحلال واطرحوا الحرام ودعوه واسمعوا امر الله وعوه
وصلوا الارحام وراعوها وعاصوا الاهواء واردعوها
وصاهروا لحمة الصلاح والورع وصارموا رهط
اللهو والطمع ومصاهركم اطهر الاحرار مولدا وا
سراهم سؤددا واحلاهم موردا واصحهم موعدا
وها هو امكم وحل حرمكم مملكا عروسكم المكرمة

وما مهرها الا كما مهر الرسول ام سلمة وهو اكرم صهر اودع
الاولاد وملك ما اراد وما سها مملكه ولا وهم ولا وكس
ملاحمه ولا وصم اسال الله لكم احماد وصاله ودوام
اسعاده والهم كلا اصلاح حاله والاعداد لمعاده
وله الحمد السرمد والمدح لرسوله محمد ص واله فلما
فرغ من خطبته البديعة النظام العرية من الاعجام
عقد العقد على الخمس المائين وقال للرفاء والبنين
ثم احضر الحلواء التي كان اعدها وابدى الابهة عندها
فاقبلت الجماعة عليها وكدت اهوي بيدي اليها
فزجرني عن المواكلة وانهضني للمناولة فوالله ما
كان باسرع من نضانح الاجفان حتى خر القوم للاذقان
فلما رايتهم كاعجاز نخل خاوية او صرعى بنت خابية
علمت انها احدى الكبر وام العبر فقلت له يا عدو

نفسه وعبيد فلسه أعددت للقوم حلواء أم بلواء
فقال لم اعد خبيص البنج في صحاف الخلنج فغلب اقسم
بمن اطلعها زهرا او هدى بها السارين ظهرا لقد جئت
شيئا نكرا او ابغيت لكن المحرمات ذكرا ثم حرف
فلم ار صبورا اخر وخيفة من عدتي عرة حتى طارت
نفسي شعاعا وارعدت فرائصي ارتياعا فلما راى
استطارة فرقي واستشاطة قلقي قال يا هذا الفكر
المرمض والروع الموحض فان يكن فكرك لعلي من العلي
فانا الان اربع واظلع واهدى من العقعق جيبي وافقر
فابث الى فهم وقالدنيا ابا وكم حيلها عاد منها بي نضغر
وان يكن نظرا لنفسك وحذرا من حتفك فتناول
فضالة الخبيص وطب نفسا عن القميص حتى تامن
المستعدي والمعدي تتعهد لك النفس والا فالمعرة

المقرّ قبل أن يُسحب ويُجرّ ثم عمد إلى استخراج ما في الجيوب
من الدنانير والنحوب وجعل يستخلص خالص الصدر كالمحجوب
ونُخبة كل مدرج ومرزون حتى غادر ما الغفاة نحته كالعظم
ينتخب مخّه فلما همّ بالانطفاء وزمّ وشمّر
عن ذراعه للإدلاج ثم أقبل على إقبال من لبس
الصفاقة وخلع الصداقة وقال هل لك في المصاحبة
إلى البطيحة لأصلك بأخي البحة فأقسمت له بالذي
جعله مباركاً أينما كان ولم يجعله ممن خان في خان
إنه لا قبل لي بنكاح حرّتين ومعاشرة ضرّتين ثم
قلت له قول المتطبع بطباعه الكائل له بصاعه
كفتني الأولى غمراً ودحراً فاطلب أخاً للأخرى فتبسم
من كلامي ودلف لالتزامي فلويت عنه عذاري وأبديت
له ازوراري فلما أبصر بالقاضي وجلى لها عن إعراضي أنشد

يا صارفاً عني المودّة والزمان له صروف
ومعنّفي في فضح من جاورت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما أتيت فإنني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم أرهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم لمّا سبكتهم زيوف
ما فيهم إلا خئون إن تمكّن أو مخوف
لا بالصغي ولا الوفي ولا الحفي ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذيب الضري على الخروف
وتركتهم صرعى كأنهم سُقوا كأس الحتوف
وتحكّمت فيما اقتنوه يداي ومنهم رغم الأنوف
ثم انثنيت بمغنمي حلو المجاني والقطوف
ولطالما خلّفت كلِعَ الحشى خلفي يطوف
ووَرُنْتُ أرباب الحرائك الدرائك والسجوف

ولكم بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيوف
ووقفت في هول تراع الاسد فيه من الوقوف
ولكم سفكت وكم فتكت وكم هتكت حمى أنوف
وكم ارتكضت موبقي في الذنوب وكم خفوف
لكنني اعددت حسن الظن بالمولى الرؤوف

قال فلما انتهى الى هذا البيت لج في الاستعبار وألظ في الاستغفار حتى استمال هوى قلبي المتحرف وجوله ما بين المتقرف والمعترف ثم انه غيض دمعة المنهل وتأبط جرابه وانسل وقال لابنه احمل الباقي والله الواقي قال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت انسياب الحية وانسياقه الى الكية علمت ان ليس بعدهما بالخان مجلسة للاوان فقوضت رحلي وجمعت للرحلة ذيلي وبت ليلتي اسري الى الطيب لحسيب الله على الخطيب

المقامة الثلاثون الصورية

الحارث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور الى بلدة صور فلما حصلت بها ذا رفعة وخفض ومالك رفع وخفض نقت الى مصر توقان السقيم الى الاساة والكريم الى المواساة فرفضت علائق الاستقامة ونفضت عوائق الاقامة واعروريت ظهر ابن النعامة وخدت نحوها كالجفال النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الاين ومعاناة الحين كلفت بها كلف النشوان بالاصطباح والحيران بتنفس الصباح فبينما انا يوما بضواحيها اطوف وتحتي فرس قطوف اذ رأيت على جرد من الخيل عصبة كمصابيح الليل فسألت لارتياح المزهو عن العصبة والوجهة فقيل اما القوم فشهود واما

المقصد فلما تكامل شهوده فحدتني حميا النشاط على
أن سرت مع الفراط لأفوز بحلاوة الالتقاط وأحوز
حلواء السماط فأفضينا بعد مكابدة العناء إلى دار
رفيعة البناء وسيعة الفناء تشهد لبانيها بالثراء
والسناء فلما نزلنا عن صهوات الحيوان وقدمنا الأقدام
للدخول ابتدرنا كل مجلل بأطمار مخرقة ومكلل
بمخارق معلقة وهناك شخص على طنفسة فوق دكة
لطيفة فرابني عنوان الصحيفة وراعني هذه البدعة
الظريفة ودعاني التطير من تلك المناحس إلى أن عرضت
لذلك الجالس تعرضت عليه متصرف لا فداد ليعرفني من
رب هذه الدار فقال ما لها مالك معين ولا صاحب
مبين إنما هي مصطبة المقيفين والمدروزين ووليجة
المتقشفين والمحلوزين فقلت في نفسي إنا لله على ضلة

المسعى وإخلال المرعى وهممت في الحال بالرجعى لكنني
استحييت العود من فوري والقهقرى دون غيري
فولجت الدار مجرعا الغصص كما يلج العصفور القفص
فإذا فيها أرائك منقوشة وطنافس مفروشة ونمارق
مصفوفة وسجوف مرصوفة وقد أقبل المملك يميس
في بردته ويتبختر بين حفدته فحين جلس كأنه
ابن ماء نادى مناد من قبل الأحماء وحرمة ساسان
أستاذ الأستاذين وقدوة الشحاذين لا عقد هذا
العقد المبجل في هذا اليوم الأغر المحجل إلا الذي
جال وجاب وشب في الكدية وشاب فأعجب رهط الصهر
ما أشاروا إليه وأذعنوا لإمضاء المنصوص عليه فبرز حينئذ
شيخ قد أطل الملوان فاحته ونور العيشان ثغامته
فتباشرت الجماعة بإقباله وتبادرت إلى استقباله

فلما جلس على زربيته وسكنت الضوضاء لهيبته
اذ ذلف الى جنبته ومسح سبلته بيده ثم قال
الحمد لله المبتدي بالافضال المبتدع للنوال المتقرب
اليه بالسؤال المؤمل لتحقيق الآمال الذي شرع الزكوة
في الاموال وزجر عن نهر السؤال وندب الى مواساة
المضطر وامر باطعام القانع والمعتر ووصف عباده
المقربين في كتابه المبين فقال وهو اصدق القائلين
والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم
احمده على ما رزق من طعمة هنية واعوذ به من
استماع دعوة بلا نية واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له الها يجزي المتصدقين ويخلف المتصدق فانه
يمحق الربوا ويربي الصدقات واشهد ان محمدا عبده
الرحيم ورسوله الكريم ابتعثه ليمسح الظلمة بالضياء

وينتصف للفقراء من الاغنياء فرق صلوات الله عليه
بالمساكين وخفض جناحه للمسكين وفرض الحقوق
في اموال المثرين وبين ما يجب للمقلين على المكثرين
صلى الله عليه صلوة تحظيه بالزلفة وعلى اصفيائه
اهل الصفة اما بعد فان الله تعالى شرع النكاح
لتعفوا وسن التناسل لكي تتضاعفوا فقال سبحانه
لتعرفوا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم وهذا ابو الدراج
ولاج ابن خراج ذو الوجه الوقاح والافك الصراح
والهرير والنباح والابرام والالحاح يخطب بطلته
اهلها وبشرطه بعلها قيس بن ابي العنس ذا الملحة
من التحافها بالحافها واسراعها في اسعافها وانكماشها
على معاشها وانتعاشها عند هراشها وقد بذل لها

من الصداق ثلاثا وعكازا او صفقاعا وكرازا انا انكحوا
نكاح مثله وصلوا حبلكم ان نكثه في المطاطيط حبلكم
ويحرسكم من المعاطب شملكم فلما فرغ الشيخ من خطبته و
ابرم للختن عقد خطيبته قيا وطعن النثار ما استغرق
حد الاكثار واغرى الشحيح بالايثار ثم نهض الشيخ
يسحب اذياله ويقدم اراذله قال الحرث بن همام
فتبعته لانظر عرض القوم واكمل بهجة اليوم فعاج
بهم الى سماط زينته طهاته وتناصفت في الحسن جهاته
فحين ربع كل شخص في ربضته وطفق يرتع في روضته
انسللت من الصفة وفررت من الزحف فحانت من الشيخ
لفتة الي ونظرة رجع بها طرفه علي فقال الى اين
يا ابن ... هلا عاشرت معاشرة من فيه كرم فقلت والذي
خلقها طباقا وطبقها اشراقا لا ذقت لماقا ولا الغيث

رغافا او تحبرنا عن مدب صباك وعن ابن مهب صباك
فتنفس الصعداء مرارا وارسل البكاء مدرارا حتى
اذا استغرق الدمع استنصت الجمع وقال اسمع
مسقط الراس سروج وبها كنت اروج بلدة الخير ففيها
كل مطلوب يروج ورد كاس من سلسبيل وصحاريها المروج
وبنوها ومعانيها نجوم وبروج حبذا نفحة رباها وقلعها البهيج
واذا ازاهير رباها حين تجاب الثلوج من راها قال مرتجي
جنة الدنيا سروج ولمن يتزاح عنها زفرات وشجيج
مثل ما لاقيت مذ زحزحني عنها العلوج عبرة تهمي وشجو
كلما قر يهيج وهموم كل يوم خطبها خطب مريج
ونياح في التراخي فاصرلن الخلوج لست ادري حين لما
حم لي منها الخروج قال فلما بين بلده وعرف عيبه ما الذه
ابقيت اية علامتنا النويه وان كان الهرم قد اوقعه

بعيد فبادرت الى مصافحته واغتنمت مواكلته
صحبته وظلت مدة مقامي بمصر اعشو الى شواظه
واحشو صدفتي من درر الفاظه الى ان نعب بيننا
غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

المقامة الحادية والثلاثون

حدث الحرث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب و
ريعان العيش اللباب اقلي الاكتنان بالغاب واهوى
الاندلاق من الغراب لعلمي ان السفر ينجح السفر
وينتج الظفر ومعاقرة الوطن تعفر الفطن وتخفر
من قطن فاجلت قداح الاستشارة واقتدحت
زناد الاستخارة ثم تحسست جاشا ابتغي من
الجارة واصعدت الى ساحل الشام للتجارة

فلما خيمت بالرملة والقيت بها عصى الرحلة صادفت
ركابا تعد للسرى ورحالا تشد الى ام القرى
فعصفت بي ريح الغرام واهاج لي شوق الى البيت
الحرام فزممت ناقتي ونبذت علقي وعلاقتي وقلت
للائمي اقصر فاني ساختار المقام على المقام
وانفق ما جمعت بارض جمع واسلو بالحطيم عن الحطام
ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية
السيل الى الخير حمى الخيل فلم نزل بين ادلاج
وتاويب وايجاف وتقريب الى ان حبسنا ابيي المطايا
بالنخفة في ابطالنا الى الجحفة فحللناها متاهبين
للاحرام مستبشرين بادراك المرام فلم يكن الا انخنا
الركائب وحططنا الحقائب حتى طلع من الهضاب
شخص ضاحي الاهاب وهو ينادي يا اهل ذا النادي هلم

الى ما ينجي يوم التلاقي فانخرط اليه الحجيج وانصلتوا
واجتمعوا اليه وانصتوا فلما راى ما نغمهم حوله وابتغاءهم
قوله تنحنح الهادي كالهام ثم تنحنح مستفتحا للكلام
وقال يا معشر الحجاج الناسلين من الفجاج اتعقلون
ما تواجهون والى من تتوجهون ام تدرون على من تقدمون
وعلى م تقدمون اتخالون ان الحج هو اختيار
الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل وانضاء
الزوامل ام تظنون ان النسك هو نضو الاردان وانضاء
الابدان ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان
كلا والله بل هو اجتناب الخطية قبل اجتلاب
المطية واخلاص النية في قصد تلك البنية وامحاض
الطاعة عند وجدان الاستطاعة واصلاح المعاملات
امام اعمال اليعملات فوالذي شرع المناسك للناسك

وارشد السالك في الليل الحالك ما يغني الاغتسال
بالذنوب عن الانغماس في الذنوب ولا يعدل التعرية للاجسام
بتعرية الاجرام ولا تغني لبسة الاحرام عن الملبس
بالحرام ولا ينفع الاضطباع بالازار مع الاضطلاع
بالاوزار ولا يجدي التقرب بالحلق مع التقلب في ظلم
الخلق ولا ابن جهل التنسك بالتقصير دون التمسك
بالتقصير ولا يستسعد بعرفة غير اهل المعرفة ولا
يزكو بالخيف من يرغب في الحيف ولا يشهد المقام الا
لمن استقام ولا يحظى بقبول الحجة من زاغ عن المحجة
فرحم الله امرا صفا قبل مسعاه الى الصفا وورد
شريعة الرضى قبل شروعه على الاضا ونزع
عن تلبيسه قبل نزع ملبوسه وفاض بمعروفه قبل
الافاضة من تعريفه ثم رفع عقيرته بصوت

أسمع الصم وكاد يزعزع الجبال الشم وأنشد

ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا ولا اعتيامك اجمالا واحداجا

الحج أن تقصد البيت الحرام على تجريدك الحج لا تقضي به حاجا

وتمتطي كاهل الإنصاف متخذا ردع الهوى هاديا والحق منهاجا

وأن تواسي ما أوتيت مقدرة من مد كفا إلى الجدوى أو احتاجا

فهذه إن حوتها حجة كملت وإن خلا الحج منها كان إخداجا

حسب المرائين غبنا أنهم غرسوا وما جنوا ولقوا كدا وإزعاجا

وإنهم حرموا الأجر او محمدة وألحموا عن ضمهم عارا او هاجا

أخي وايقن بما يبديه من قرب ومجد المهيمن إن جا وإن لجا

فليس يخفى على الرحمن خافية إن خاض العبد لججا او ادلجا

وبادر الموت بالحسنى تقدمها فما يهمّ داعي الموت إن ولجا

وافق التواضع خلقا لأن الله عمل الليالي والليل انتاجا

ولا تشم كل خال لاح بارقه وإن تراءى هتون السكب ثجاجا

ما كل داع بآمل أن يصاخ له فكم لئيم ينبغي بعض من يلجا

وما اللبيب سوى من بات مستمعا بلغة تدرج الأيام إدراجا

فكل حي إلى قبر معتنبه وكل ماض إلى البلى لن ناجا

قال الراوي فلما ألفيت الإنهام بحر الكلام لبيته وجت

ريح أبي زيد ونادى الأرباح إلى جيد فمكثت

حتى لبي وغيث صحبه وأخذ رمز الكمية ثم دلفت

إليه لأتصفح صفحات محياه وأستشف جوهر

حلاه فإذا هو الضالة التي أنشدها وناظم العلائد

التي أنشدها فعانقته معانقة اللام للألف ونزلته

منزلة البر عند الدنف وسألته أن يلازمني

فأبى في بر أهلي فتبا وقال لست في حجتي هذه الا

العقيب ولا اعتقب ولا اكتسب ولا انتسب ولا ارتق

ولا أرافق ثم ذهب نحو ولف وغادرني أحوك فلم أزل

أقرّ به نظري وأردّ لو يبقى على ناظري حتى توقّل

لعقد راطراد ووقف الحجيج بالمرضاة فحين شاهد

انصياع الركبان في الكثبان وقع البنان على البنان وادّرع

ليس من زار راكبا مثل ساع على القدم لا ولا الحاكم الطاغ كخاشٍ من الحرم

كيف يا قوم يستوي سعي بانٍ ومنهدم تستقيم المفرطون غدا ألمّ الندم

ويقول النبي لعرب طوى ان نفعهم ويكابد النفس في صلحا عند ربهم

وازدرى زخرف الحياة فحجبها عنهم وادّكى نصح الخاص اذ نطق بصدقهم

والذي يفعل القبيح ويحيى لينعم ولا يعنيه توبة قبل ازعاجه البذم

فعسى الله ان يبيك السعي الذي لعبدهم يوم العسرة يتعال واسمع البذم

ثم اسا اغمد عضب لسانه وأطلق لسانه فما زلت كالـ

مورد ثوبه ومعرّس معرسه أتفقّده فأفقده

وأستنجد من ينشده فلا أجده حتى خلت أن الجن اختطفته

أو الأرض ابتلعته فما كابدت في الغربة كهذه الكربة ولا

حكى الحارث بن همام قال

المقامة الثانية والثلاثون

حُبّبت في سفرة مثلهما من زاد

قال أجمعت حين قضيت مناسك الحج وأقمت وظائف

العج والثج أن أقصد طيبة مع رفقة من بني شيبة

لأزور قبر المصطفى وأخرج من قبيل من حج وجفا

فأرجف بأن المسالك شاغرة وعرب الحرمين متشاجرة

فحرت بين إشفاق يثبطني وأشواق تنشطني إلى أن ألقي

في روعي الاستسلام وتغليب زيارة قبره عليه السلم

فاعتمت العقبة وأعددت العدة وسرت والرفقة

لا نلوي على عرجة ولا نثني في تأويب ولا دلجة حتى وافينا

بني حرب وقد آبوا من حرب فأزمعنا أن نقضي ظل اليوم

في حلة القوم وبينا نحن نتخير المناخ ونرود الورد

الماتع النفاخ إذ رأينا هم يركضون كأنهم إلى نصب
يوفضون فرأينا أشبالهم وساءلنا ما بالهم فقيل قد
حضر ناديهم فقيه العرب فاهرعهم لهذا السبب
فقلت لرفيقي ألا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد
من الغي فقال لقد أسمعت إذ دعوت ونصحت
وما ألوت ثم نهضنا نتبع الهادي ونؤم النادي
حتى إذا أطللنا عليه استشرفنا الفقيه المنهود
إليه ألفيته أبا زيد ذا الشقر والبقر والعوارض
والفقر وقد اعتم القفداء ولبس الصماء وقعد
القرفصاء وأعيان الحي به محتفون وأخلاطهم عليه
ملتفون وهو يقول سلوني عن المعضلات
واستوضحوا مني المشكلات فوالذي نطق السماء
وعلم آدم الأسماء إني لفقيه العرب العرباء وأعلم

من تحت الجرباء فتصدى له فتى فتيق اللسان جريء الجنان
وقال إني حاضرت فقهاء الدنيا حتى انتخلت منهم مئة فتيا
فإن كنت ممن يرغب عن نبإ غيره ويرغب في ميره
فاسمع وأجب لتقابل بما يجب فقال له الله أكبر
سيبين المخبر وينكشف المضمر فاصدع بما تؤمر قال
ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله النعل الزوجة
قال انتقض وضوءه بفعله قال فإن توضأ ثم اتكأ
البرد قال يجدد الوضوء من بعد البرد النوم قال
أيجوز الوضوء مما يقذفه الثعبان قال قد ندب إليه
ولم يوجب عليه الثعبان الودان قال أيستباح ماء
الضرير قال نعم ويجتنب ماء البصير الضرير جرف
الوادي والبصير الكلب قال أيحل الطهور بالرجيع
قال يكره ذلك للحدث الشنيع الطوف النغط

والرّبع المهر الصغير قال أيجب الغسل على من أمنى قال
لا ولو ثنّى أمنى نزل المني يقال منه منى وأمنى وامتنى
قال فهل يجب على الجنب غسل فروته قال أجل وغسل إبرته
الفروة جلدة الرأس والإبرة عظم المرفق قال فإن
لم يغسل فاسه قال هو كما لو لم يغسل راسه الفاس
العظم المشرف على نقرة القفا قال ما تقول فيمن تيمم
ثم رأى روضا قال بطل تيممه فليتوضا الروض هنا
جمع روضة وهي الصبابة التي تبقى في الحوض قال
أيجوز أن يسجد الرجل على العذرة قال نعم وليجانب
القذر العذرة فناء الدار قال فهل يجوز السجود
على الخلاف قال لا ولا على أحد أطراف الخلاف الكم
قال فإن سجد على شماله قال لا بأس بفعاله الشمال جمع
شملة قال فهل يجوز السجود على الكراع قال نعم

دون الذراع الكراع ما استطال من الحرة قال أيصلي
على رأس الكلب قال نعم كسائر الهضب رأس الكلب
ثنية معروفة قال ما تقول فيمن صلى وعانته بارزة
قال صلوته جائزة العانة الجماعة من حمر الوحش قال فإن
صلى وعليه صوم قال يعيد ولو صلى مائة يوم الصوم
ذرق النعامة قال فإن حمل جروا وصلى
قال هو كما لو حمل باقلى الجرو الصغار من القثاء والرمان
قال أيصح صلوة حامل القروة قال لا ولو صلى فوق
المروة القروة ميلغة الكلب قال فإن قطر على ثوب
المصلي نجو قال مضى في صلوته ولا عزو النجو السحاب
الذي قد هراق ماءه قال أيجوز أن يؤم الرجال مقنع
قال نعم ومدرّع المقنع لابس المغفر والمدرّع لابس
الدرع قال فإن أمهم من في يده وقف قال يعيدون ولو

أيتم الفالوقف سوار من العاج أو الذبل وأراد به أنه
لا يجوز للرجال الإيتام بالنساء قال فإن أمّهم من فخذه
بادية قال صلوته وصلوتهم ماضية الفخذ العشيرة
والبادية يكونون البدو ولقّنا بعض أهل اللغة بتكسير
الخاء من هذه الفخذ ليحصل الفرق بينها وبين الفخذ من
الأعضاء قال فإن أمّهم الثور الأجم قال صلوة الكل
لأن الثور السيد والأجم الذي لا رمح معه قال
أيدخل القصر في صلوة الشاهد قال لا والغائب الشاهد
صلوة الشاهد صلوة المغرب سميت بذلك لأنها تطلع عند
طلوع النجم الذي النجم يسمى الشاهد قال أيجوز للمجدور أن
يفطر في شهر رمضان قال ما رخص فيه إلا للصبيان المحرور
المجنون وهو أيضا المعذر قال فهل للمعذر أن يأكل فيه
قال نعم هل وفيها المعذر المسافر الذي ينزل من آخر الليل

ليتسحّج ثم يرتحل قال فإن أفطر فيه العماة قال لا تنكر
عليهم الولاة العراة الذين تأخذهم العرواء وهي الحمّى
برعدة قال فإن أكل الصائم بعد ما أصبح قال هو الحظ
له وأصلح أصبح أي استصبح بالمصباح قال فإن عمد
لأن أكل ليلا قال فليستمر للقضاء ذيلا الليل ولا يجاري
وقيل ولد الكروان قال فإن أكل قبل أن يغيب ابن البيضا
قال يلزمه الله القضاء ابن البيضاء من أسماء الشمس قال فإن
استنشار الصائم الكبد قال أفطر ومن أحل الصيد الكبد
الغي هو استنشاره لي لبنة غاه قال فهل يفطر بالجلاح الطابخ
قال نعم لا بطانخ المطابخ الطابخ الحمى الصالب قال فإن
ضحكت المرأة في صومها قال بطل صوم يومها ضحكت هاهنا
أي حاضت ومنه قوله تعالى فضحكت فبشرناها بإسحق
قال فإن أظهر الجدري على صدرها قال تفطر إن أدق

منصرعها الضرة اصل الابهام واصل الثدي ايضا قال
ما يجب في مائة مصباح قال حقتان يا صاح المصباح الناقة
التي تصبح في المبرك قال فان ملك عشر خناجر قال يخرج
شاتين ولا يشاجر الخناجر النوق الغزيرة الدر الواحدة خنجر
وخنجور قال فان سنح للساعي عميمة قال يا بشرى له يوم
قيامة الساعي جابي الصدقة والحميمة خيار المال قال
ايستحق حملة الاوزار من الزكاة جزءا قال نعم اذا كانوا
غزاة الاوزار السلاح والغزاة جمع غاز قال ايجوز
للحاج ان يعتمر قال لا ولا ان يختمر الاعتمار لبس العمارة
بفتح العين وهي العمامة والاختمار لبس الخمار قال فهل له
ان يقتل الشجاع قال نعم كما يقتل الشجاع الشجاع
الحية قال فان قتل زمارة في الحرم قال عليه بدنة
من النعم الزمارة النعامة واسم صوتها الزمار قال

فان رمى ساق حر فجدله قال يخرج شاة بدله ساق
حر ذكر القماري قال فان قتل ام عوف بعد الاحرام قال
يتصدق بقبضة من الطعام ام عوف الجرادة قال ايجب
على الحاج ليستصحب القارب قال نعم ليسوقهم الى
المشارب الحاج اسم للجمع والواحدة القارب طالب الماء
بالليل قال ما تقول في الحرام بعد السبت قال قد حل في ذلك
الوقت الحرام المحرم والسبت حلق الراس وحلّ من
تحليل الحج قال ما تقول في بيع الكميت قال حرام كبيع الميتة
الكميت الخمر قال ايجوز بيع الخل بلحم الجمل قال لا ولا بلحم الحمل
الخل ابن المخاض ولا يحل بيع اللحم بالحيوان سواء كان من
جنسه او من غير جنسه قال ايحل بيع الهدية قال لا ولا
بيع السبيئة الهدية بالتشديد ما يهدى الى الكعبة
والسبيئة الخمر ويقال ايضا منه هدْية بتسكين الدال

وتخفيف الباء قال ما تقول في بيع العقيقة قال محظور
على الحقيقة ما تذبح عن المولود في اليوم السابع من ولادته
قال أيجوز بيع الداعي على الراعي قال لا ولا على الآبي
الداعي بقية اللبن في الضرع والساعي جابي الصدقات
وقد مضى تفسيره قال أيباع الصقر بالتمر قال لا وما لك
الحلو كأم الصقر الدبس قال أيشتري المسلم سلب
المسلمات قال نعم ويورث عنه إذا مات السلب لحاء
الشجر وهو أيضا خوص الثمام قال فهل يجوز أن يباع
النافع قال ما الحوار من دافع النافع الناقة التي
معها فحلها قال أيباع الإبريق على بني الأصفر قال نعم
كبيع المغفر الإبريق السيف الصقيل الكثير الماء وبنو
الأصفر الروم قال أيجوز أن يبيع الرجل صفيته قال لا
ولا لكن ليبع صفيته الصفية الولد على الكبر والصغر

الناقة الغزيرة الدر قال فإن اشترى عبدا فبان بأحد
جراح قال طلق يده جناح الأم مجمع الدماغ قال
أتثبت الشفعة للشريك في بيع الصحراء قال لا ولا
للشريك في الصفراء الصحراء الأتان التي تمازج بياضها
غبرة قال أيحل أن يحمى ماء البير والكلا قال إن كانا
في الفلا فلا يحمى ليمنع الخلا الكلا قال ما تقول في جنبة
الكافر قال حلال للمقيم والمسافر الكافر البحر وجنبته
السمك الطافي فوق مائه قال أيجوز أن يضحى بالحول قال
هو أجدر بالقبول الحول جمع حائل وهي الناقة التي
لم تحمل قال فهل يضحى بالطالق قال نعم ويجزى عنها الطا
الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت قال فإن ضحى
قبل طلوع الغزالة قال فلحم شاة بلا إحالة الغزالة
الشمس وقال بعضهم يقال طلعت الغزالة ولا يقال غربت

قال ايحل للكاتب الطرق قال هو كالنماد بلا فرق الطرق
الضرب بالحصا وهو من افعال الكهنة قال ايسلم العام
على القاعد قال محظور على الاباعد القاعد التي تقعد
عن الحيض او عن الازواج قال اتيام الحامل تحت الربيع
قال احب الي في البقيع الربيع السما البقيع نقع المبنية
قال اتمنع الذمي من قبل العجوز قال متحاد ضمنه العجوز
لا يجوز العجوز الخمر وقتلها مزجها قال ايجوز ان ينقل الرجل
عن عمارة ابيه قال ما جوز للحامل ولا يمنع العمارة القبيلة
قال ما تقول في التهويد قال مفتاح التوبة هد التهويد التوبة
من قوله انا هدنا اليك قال ما تقول في صبر البلية قال
اعظم به من خطيئة الصبر الحبس والبلية الناقة التي
تحبس عند قبر صاحبها فلا تسقى ولا تعلف الى ان تموت
وكانت الجاهلية تزعم ان صاحبها يحشر عليها قال

ايحل ضرب السفير قال نعم والحمل على المستنفير السفير
ما تساقط من ورق الشجر والمستنفير الجمل النميز وهو
ايضا الجمل الذي تعرف اللاقح من الحائل قال ايعزر
الرجل اباه قال يفعله البر ولا ياباه العزير المعظم
والنصر والتوقير قال ما تقول فيمن افقر اخاه قال
حبذا ما ابتغى حاله ان يعرم اعاره ناقة يركب فقارها قال
فان اعرى ولده قال ما احسن ما اعتمده اعراه اعطاه
ثمر نخله عاما قال فان اصلى مملوكه النار قال الاثم
عليه ولا عار المملوك العجين الذي فلا اجد عجنه حتى
يعمى قال ايجوز للمرأة ان تصرم بعلها قال ما احفل الحد
بعلها البعل النخل الذي يشرب بعروقه من الارض
فقال فعل ضرب المرأة على الحجل قال اهل الحجل
منوط لعمال الغبي قال ما تقول فيمن نحب الم لجنبه

قال نعم ولو اذن له فيه تحت انامله اذا اغتابه وقدح
في عرضه قال ايحجر الحاكم على صاحب الثور قال نعم لبائن
غايلة الجد الثور المجنون قال فهل له ان يضرب على يد
اليتيم قال نعم الى ان يستقيم يقال ضرب على يده اذا
حجر عليه قال فهل يجوز ان يتخذ له ربضا قال لا ولو
كان له رضى الربض الزوجة قال فمتى يبيع بدن
السفيه قال حين يأتي له الحظ فيه البدن الدرع القصير
قال فهل يجوز ان يبتاع له حنا قال نعم اذا لم يكن مغشي
الحشو الحنا النعل المجمع قال ايجوز ان يكون الحاكم ظالما قال
نعم اذا كان عالما الظالم الذي يشرب اللبن قبل ان
يروب ويخرج زبده قال ايستقضي من ليست له بصيرة
قال نعم اذا احسنت منه القتبة البصيرة ههنا
الترس قال فان تعدى من العقل فما ذاك عنوان الفضل

قال فان كان له نخو جبار قال لا انكار له والاجبار الرطب
البسر الملون والجبار النخل الذي فات اليد طولا و
ضد القاعد وقال ايجوز ان يكون الشاهد مريبا قال نعم
اذا كان اريبا والمريب الذي يكثر عنده اللبن الرايب
قال فان بان انه لاط قال هو كالوحاط لاط الحوض اذا
طينه قال فان عثر على انه عزل قال يرد شهادته ولا يقبل
عزل اي قتل قال فان وضح انه مان قال هو وصف لرزين
لمائن الذي يعول ويكفي المؤونة من مان يمون قال ايجب على
عابد الحق قال تعلق باليه الخلق العابد ههنا الجاحد و
الحق ههنا الدين قال ما تقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا
قال تفقأ عينه قولا واحدا البلبل الرجل الخفيف قال
فان جرح قطاة امرأة فماتت قال النفس بالنفس اذ القطاة
القطاة ما بين الوركين قال فان القى حاملا حبشيا من ضربه

قال أيكفر بالاعتاق عن ذنبه الحبشي الجبين الملقى جنبا
قال ما يجب على المختفي في الشرع قال القطع لاقامة الردع
المختفي نابش القبور قال فما يصنع بمن سرق اساود الدار
قال يقطع اذ ساوى ربع دينار الاساود الاواني المستعملة
كالاجانة والقدر والجفنة قال فان سرق ثمينا من ذهب
قال لا قطع كما لو غصب الثمين الثمن كما يقال في النصيف
نصيف وفي السديس سديس قال فان بان على المرأة الترف
قال لا حرج عليها ولا فرق الترف الحرير الابيض قال
أيعقد نكاح من لم يشهده العواري قال لا والخالق الباري
العواري الشهود لانهم يعرّون الاشياء لمن يعرفها
قال ما تقول في عروس بانت بليلة حرة ثم ردت على حافرتها
بتحرّم قال يجب لها نصف الصداق ولا يلزمها عدة الطلاق
يقال بانت العروس بليلة حرة اذا امتنعت على زوجها فان

افتضها قبل ان بانت بليلة شيباء والرد في الحافرة بمعنى
الرجوع في الطريق الاول وكنى به عن طلاقها وردها الى اهلها
فقال له السائل لله درك من بحر لا يغضغضه المائح و
حبر لا يبلغ مدى المادح ثم أطرق اطراق الحيي وارم
ارمام العيي فقال له ابو زيد بأبأني فالى متى فقال
السلم تسوغ كتابي مرآه ولا بعد اشراف صحبك مماراه فيا لله
أي ابن ارض انت فما احسن ما اتيت فانشد بلسان ذلق وصوت
انا في العالم مثله ولا اهل العلم قبله غير اني كل يوم بين عرس
والغريب الدار لو حل بطوني لم نطله ثم قال اللهم كما جعلتنا
ممن هدى وهدي فاجعلهم ممن هدي يهدي فساق
الليل القوم حذوا مع فتيه وسألوه ان يزورهم العشية لعل العشية
فنهض معهم العمد وبرح لامة والذود فقال الحارث بن
همام فاعتراني ... فقلت لعبدي بل سفينتها ثمني صرف

فنبتها وطفق يحول ثم أنشأ يقول

لبست لكل زمان لبوسا ... ولابست صرفيه نعمى وبوسا

وعاشرت كل جليس بما ... يلائمه لأروق الجليسا

فعند الرواة أدير الكلام ... وبين السقاة أدير الكؤوسا

وطورا بوعظي أسيل الدموع ... وطورا بلهوي أسر النفوسا

وأقوى المسامع إما نطقت ... بيانا يقود الحرون الشموسا

وإن شئت أرعفت كفي اليراع ... فساقط درا يحلي الطروسا

وكم مشكل جل لبسا خفاه ... فصيرت بكشفي شموسا شموسا

وكم ملح لي خلبن العقول ... وأثرن في كل قلب رسيسا

وعذراء زهت بها فانثنى ... عليها الثنا طليقا حبيسا

على أنني من زماني خصصت ... بكيد ولا كيد فرعون موسى

يسعر لي كل يوم وغى ... أطامن لظاها وطيسا وطيسا

ويطرفني بالخطوب التي ... تهد القوى وتشيب الرؤوسا

ويدني إلي البعيد البغيض ... ويبعد عني القريب الأنيسا

ولولا اختصاصي بصفو أخلافه ... لما كان حظي منه خسيسا

فقلت له يحق لإخوان ولأبناء الزمان وأشكر لمن نقلك عن مذهب البيرين إلى مذهب الأديبين فقال دع العناد ولا تكثر الإيراد وانهض بنا إلى مسجد يثرب لعلي أرحض بالمزار درن الأوزار فقلت هيهات أنا أسير أو أفقه الفقير فقال يا الله لقد أعجبت دمما وطلبت إذ طلبت أمما نهاك بما يبقي النفس ويبقي اللبس فلما اتضح لي المعمى وكشف عني الغمى شددنا الأكوار وسرت وسار ولم أزل في مباهجه مدة مسايرته فيما أبالي بطعم المشقة ورحلت معه بعد الشقة حتى إذا دخلنا مدينة الرسول وفزنا بالزيارة بالسول أشأم وأعرق وغرب وشرق فقد

المقامة الثالثة والثلاثون

أخبر الحرث بن همام قال عاهدت الله مذ يفعت ألا
أؤخر الصلوة ما استطعت فكنت مع جوب الفلوات
ولهو الخلوات أراعي أوقات الصلوات وأحاذر من مآثم
الفوات وإذا رافقت في رحلة أو حللت عن راحلة
من حيث يصوت الداعي إليها وسلبت خلقه من يحافظ
عليها فاتفق حين حللت تفليس أن صليت مع مفاليس
فلما قضينا الصلوة وأزمعنا الانفلات برز شيخ بادي
اللقوة بالي الكسوة والقوة فقال عزمت على من خلق
من طينة الحرية وارتضع لبان العصبية ونشا في
حجر الحمية إلا ما تكلف لي لبثة واستمع مني نفثة
ثم له الخيار من بعد وبيده البذل والرد فعقد له
القوم الحبى ورنوا للتمثال الذي فلما آنس حسن
انصاتهم ورزانة حصاتهم قال يا أولي الأبصار الراجحة

والبصائر الرابغة أما يغني عن الخبر العيان وينبي
عن النار الدخان دلالة واضح وشيب لائح وضعف
فادح وفقر بائح والباطن ففاضح ولقد كنت
والله ممن ملك ونال وولي وأنال ورفد ونال ووصل
وصال فلم يزل الحاج تسحت والنوائب تنحت حتى
البيد صفر والوكر قفر والشعار ضر وطعم العيش
مر والصبية يتضاغون من الطوى ويتمنون مصاصة
النوى ولم أقم هذا المقام الشائن ولم أكشف لكم الدفائن
إلا بعدما شقيت لقيت شيئا مما لقيت فليتني لم أكن
بقيت ثم أنّ أنّة الأسيف وأنشد بصوت ضعيف
أشكو إلى الله سبحانه تقلب الدهر وعدوانه
وحادثات قرعن مروتي وقوضن مجدي وبنيانه
واهتصرن عودي وبادلن من نضير الأغصان أغصانه

وأمحلت ربعي حتى خلت من ربعي المحل جرذانه
وغادرتني جائراً بائراً أكابد الفقر وأشجانه
من بعد ما كنت لجائزة يسحب في النعماء أردانه
يضرم للسارين نيرانه ويُنهب العافين عقيانه
يخبط العافون أوراقه ويحمد السارون إبّانه
فأصبح الآن كمن لم يكن أغانه الدهر الذي غانه
وازور من كان له زائراً وعاف عافي العرف عرفانه
فهل فتى يجهد ما يرى من ضر شيخ دهره خانه
فيفرج الهم الذي همه ويصلح الشان الذي شانه
قال الراوي فصبت الجماعة الى أن تستنبئه لتستخبر
خبايا قمته وتستقص حقيقته فقلت له قد عرفنا
قدر أدبك ودرأنا در من نيك فعرفنا دوحة شعبك
واحسر اللثام عن نسبك فأعرض إعراض من ضني

بالأعيان أو بشر بالبنات وجعل يلعن الصروف
ويتأفف من تغيض المروات ثم أنشد بلفظ صادع
لعمرك ما كل فرع يدل جناه اللذيذ على أصله
فكل ما حلا حين تؤتى به ولا تسأل الشهد عن نحله
وميّز إذا ما اعتصرت الكروم سلافة عصرك من خله
لتعلي وترخص عن خبرة وتشري كلا اشترى مثله
فيفضح باليقظ اللوذعي دخول الغميزة في عقله
قال فازدرى القوم بذكائه ولحظتهم بعين ازدرائه
مع ذرابة واستخفهم الإفتنان بأدبه ولا امتعاض
لهم فما زلت به حتى أروم بخبايا الخبر وخفايا السر
فقالوا الله أعلم إنك شرعت على ركية بكيئة وتعرضت
لحلبة خلية فخذ هذه الصبابة وهبها لحظاء
ولا إصابة فنزل فلهم منزلة الكثر وشفع فيوله

بالسكر ثم تولى يجر شقه ويتهادى بخط طرقه

قال المخبر بهذه الحكاية فخيّل لي أنه محيل الحلية

متصنّع في مشيته فنهضت أسلك منهاجه وأقفو

أدراجه وهو يلحظني شزرا ويوسعني هجرا حتى إذا

خلا الطريق وأمكن التحقيق نظر إلي نظر من هشّ وبشّ

وما حصّ بعد ما غشّ وقال إني إخالك أخا غربة وابن

صحبة فهل لك في رفيق يرفق بك ويرفق ويشفق عليك

ويشفق فقلت له إن أتاني الرفيق لو أتاني التوفيق

فقال لي قد وجدت فاغتبط واستحكم منه فانبسط ثم

ضحك مليا وتمثل لي بشرا سويا فإذا هو شيخنا السروجي

لا قلبة بجسمه ولا شامة في وسمه فعرفت لغيبه وكذب

لقوته وهممت بملاحته على سوء مغاضبته فنحا فاه و

أنشد قبل أن أتحاه ظهرت برثّ لكيما ينال فقير

يزجي الزمان المزجى

وأظهرت للناس أن قد فلجت وكم ثاكل قلبه به ما ترجى

فلولا الرجاء لأني لم يرد لي ولولا التعالج لم ألق فلجا

ثم قال إنه لم يبق لي بهذه الأرض مرتع ولا في أهلها مطمع

فإن كنت الرفيق فالطريق الطريق فسرنا منها متجردين

وترافقنا عامين متجردين وكنت على أن أصحبه ما عشت فأبى الدهر المشتّ

المقامة الرابعة والثلثون

حكى الحارث بن همام قال لما جبت البيد إلى زبيد صحبني

غلام كنت ربيته إلى أن بلغ أشده وثقفته حتى كمل

رشده وكان قد أنس بأخلاقي وخبر مجالب وفاقي فلم

يكن يتخطى مرامي ولا يخطئ في المرامي لا جرم أن قربه

ناط بي حظوتي لخلصته بحصري وشغلي فأوى به

الدهر المبيد حين حمت أن يزيد فلما شالت نعامتهم وسكنت

ناحيتُ بعيثَ عاماً لا أبيعُ طعاماً ولا أربعُ غلاماً
حتى ألجأني شوائبُ الوحدة ومتاعبُ العزوبة و
الحِلْفة الى النزاع عن الألِيّة الحُرّة وارتياد مَن يو
سّدُ الأمرُ عجزي فقصدتُ من بيع العبيد بسوق
زبيد وقلت أريد عبداً يُعجب إذا قُلِّب ويُحمد إذا جُرِّب
ولكن من حسنه لا كابس ولحرجه الى السوق
الإفلاس فاهتزّ منهم للطلب ووثب بذلك عصبة
عن كثب ثم دارت الأسماء دورها وتقلّبت كورها وحورها
وما جرى من دعوهم وعدهم ولاح لها رعد فلما رأيت النخاسين
نابين أو متناسين علمت أن ليس كل من خلق يفري وأن لون
يحكى جلدي مثل ظهري فرفضت مذهب التفويض وحرزت
الى السوق بالصفر والبيض فلني لأستعرض الغلمان
وأنتخب الغلمان لا ثمان إذا عارضني رجل قد لثم

بلثام وقبض على زند غلام وقال
أتبتغي فتى غلاما صنعا في خَلقه وخُلقه قد برعا
يكن لما ترضيه مضطلعا وبضعفكان قال وإن قلت وعا
وإن تصبك عثرة يقل لعا وإن تُمه السعي الى نار سعى
وإن تصاحبه ولو ثوماً رعى وإن تقنعه بظلف قنعا
يموج على الكيس الذي قد جمعا ما فاه قط كاذبا ولا ادعى
ولا ارتاب مطمعا حين دعا ولا اتجاز بيت سر أودعا
وطالما أبدع فيما صنعا وفاق في النظم وفي النثر معا
والله لولا ضنك عيش صدعا وصبية الضر عراة جوعا
ما بعته بملك كسرى أجمعا قال فلما تأملت خلقه
القويم وجبته الصميم حلاني عن ولدان جنة النعيم
وقلت ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ثم ا
ستنطقته عن اسمه لا الرغبة في علمه بل لأنظر أين

فصاحته من صباحته وكيف أهجنه من بهجته فلم ينطق
بحلو ولا مر ولا فاه فوهة ابن أبي أو حر فاضربت عنه
صفحا وقلت قبحا للعيك وشحا فغادرني الضحك والجد
ثم أنغض رأسه وأنشد
يا من تلقف غيظا أن لي أخ * باسمي له فاكالذي من يصف
إن كان لا بوصاله إلا كشفه * فاصح لي أنا يوسف أنا يوسف
ولقد كشفت لك الغطاء فإن تكن * فطنا عرفت وما إخالك تعرف
قال فسرى عني بشعره واستبى لبي بسحره حتى ذهلت
عن الحقيق وأنسيت قصة يوسف الصديق ولم يكن
لي همة إلا استماحة مولاه فيه واستطلاع طلع الثمن
لأوفيه وكتبت الحجة مشتملة على الاشتراط إلى
البيعة على ما حلق إلى حيث حلقت ولا أعلق بما أعلقت
بل قال إن العبد إذا ارتأى رمته وحقت مؤونته بركه

مولاه والتخفيف عليه هواه وإني لأود تحبيب هذا الغلام
إليك لا أن أحقق ثمنه عليك فزن ما بدا لك درهم إن شئت
واستكل إلي ما حببت فتقدمت المبلغ في الحال كما يعقد في
التخييص أحلاك ولم يخطر لي ببال أثر كل مرخص غال
فلما تحققت الصفقة وحقت الفرقة هملت عينا الغلام
ولا همول دمع الغمام ثم أقبل على صاحبه بالملام وقال
لحاك الله هل مثلي يباع لكيما * تشبع الكرش الجياع
وهل في شرعة الإنصاف أني * أكلف خطة لا تستطاع
وأن أبلى بروع بعد روع * ومثلي حين يبلى لا يراع
أما جربتني فخبرت مني * نصائح لم يمازجها خداع
وكم أرصدتني شركا لصيد * فعدت وفي حبائلي السباع
وبطن في المصاعب فاشتغلت * مطاوعة وكان بها امتناع
وأي كريهة لم أبل فيها * وغنم لم يكن لي فيه باع

وما أبديتُ للأيام جزعاً ۞ فينكشفَ في مضاربتي القناعُ
ولم يعثر بحمد الله مني ۞ على عيبٍ يلمّ أو يذاعُ
فأنى ساغ عندك نبذُ عهدي ۞ كما نبذت ترائبها الضباعُ
ولم يحجب مودتك اشتهائي ۞ وأن أُشرى كما يُشرى المتاعُ
وهلّا صنت عرضي عنه صوني ۞ حديثك يوم حيّينا الوداعُ
وقلت لمن يساوم في هذا ۞ سكاب لا تعار ولا تباعُ
وما أنا دون ذاك الطرف لكن ۞ طباعك فوقها تلك الطباعُ
على أني سأنشد يوم بيعي ۞ أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا
قال فلما وعى الشيخ أبياته وعقل منها غايته تنفّس
الصعداء وبكى حتى أبكى البعداء ثم قال لي هذا
الغلام محلّ ولدي ولا أميزه عن أفلاذ كبدي ولولا خلوّ
مراحي وخبوّ مصباحي لما درج عن عشي إلا إلى نعشي
وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين المومض

ومن لك بأن تبذل في تسلية قلبه كربه بأن تعاهدني على الإقالة
فيمتى لئن قلت والا تستقلني إذا انقلبت فيع الإثار
المستقاة المروية عن الثقات حين قال أنا دما بعد إقالة
الله تعالى عنه قال الحارث بن همام فوعدته وعدا
أبرزه الحياء في القلب أثنا كما استدنى حينئذ الغلام إليه
وقبّل ما بين عينيه وأنشد والدمع يرفضّ من جفنيه
حقيق فديتك النفس ما تلاقي ۞ من تعاور الوجد والإشفاق
فما تطول مدة الفراق ۞ ولا تني ركائب التلاقي عن غير الغلام الخلاق
ثم قال أتيته ودعتك من هو نعم المولى وشمّر ذيله وولّى
فلبث الغلام في زفير وعويل ثم انقطع مدى ميل فلما
لم تفارق وكفكف دمعه المهراق قال أتدري لم أعولت
وعلام عولت قلت لطول فراق مولاك هو الذي أبكاك فقال
إنك لفي واد وأنا في واد وكم بين مريد ومراد ثم أنشد

لم أبك والله على إلف نزح ... ولا على فوت نعيم وفرح

وإنما مدمعي لجفاني سفح ... على غبي لحظه حين طمح

ورطه حتى تعنى وافتضح ... وضيع المغبوطة البيض الوضح

ويك أنا جلك ها بنيل الملح ... بأبي حرة وبيعي لم يبح

إذ كان في يوسف معنى قد وضح ... قال فتمثلت معالمه في مرآة

المداعب معرض الملاعب فتقلبت تقلب الحوت وبززت ابن

طبنة الرق فخلنا في مخاصمة اتصلت بملاكمة واقتضت

إلى محاكمة فلما أوضحنا للقاضي الصورة وتلونا عليه السورة

قال إن من أنذر فقد أعذر ومن حذر كمن بشر ومن

بصر فما قصر وإن فيما شرحناه لدليلا على أن هذا الغلام

قد نبهكما على ما أعوزته وما نصح لكما وعيبه فاشتركا الملك

واكتمه ولم تفسك وأثلمه وحذار من اعتلاقه والطمع

في لبنة فاقه فإنه عن الأديم غير معرض لأن نفوذهم

وقد كان لبنوه أحضره أمس قبل أفول الشمس فاعترف

بأنه فرع هذا النبي أنشأه وأن لا ولد له سواه فقلت

للقاضي أو تعرف أباه أخزاه الله فقال وهل يجهل أبو هذا

النبي جرحه جبار وعند كل قاص له أخبار وإعيار

فعرفت حينئذ وخولفت وأفقت ولكن حين فات الوقت

وأيقنت أن لئامه كان شرك كيد نصبه وبيت قصيد به

فنكس طرفي بالغيب وآليت ألا أعامل مثلهما بغيب ولم أدر

أنا وقع الخبر صفقتي وافتضاحي برزء صفقتي فقال لي

القاضي حين رأى امتعاضي وحر ارتماضي يا هذا أما ذهب

من مالك ما وعظك ولا العزم إليك من أيقظك فاتعظ بما نالك

وكاتم أصحابك ما أصابك وتعوذ أبدا ما ذهبك لتبقى الذكرى

دراهمك وتخلق بخلق من ابتلي وصبر وتحل له العبر

فاعتبر قال فودعته لابسا ثوب الخجل والحزن ساحبا

دينار العتق والعين وثوب بكاشفة ابي زيد بالمكر وصار منه
بدا اللوم فجعلت انكب عن ذراه وانحب لم اراه الى
ان غشيني في طرق ضيق فحياني تحية شيق فما زدت
على ان عبست وما بسرت فقال ما بالك مناجيا بالفكر على
الفكر فقلت انسيت انكر لحملت ولفعلك وفعلت فعلتك
التي فعلت فاضطرب منها زمانا ثم انشد متلافيا

يا من بدا اصطيد صيد وخد حبس نجتم * وغدا يرى من لا كان ردهُ يلام
ويقول كان حسن تابع كابائع لا دنيم * ابقى فانا فيد عامر ابل ويوم
قد باعت الاسباط قبلي يوسفا وهم * غدا ما فيهم تقوى يسري الها الهمم
ولان يعتبر بها وهم نعت النواهي ثم * ما عند ذاك الموقف المخزي وعندك دم
فاعذر لحاك كيف جنت ملام من لا ابنهم * ثم قال اما بعد فاني

فقد لاحت لنا ابعادها فقد طاحت فان كان اضطرارك
مني وازورارك عني لفرط شفقتك على غيره نفعك فانت

وهو

جمة بلمع من بين يطوي على جمرتين وان كنت طويت كشحك
واطلعت نحال لتستشف ما علق باعراضي فليبك على عقلك
البواكي قال الحرث بن همام فاضطرني بلوغه الخالب بجرم
الغالب لم عذرت له صنعا ومحا حينا وبذ فعله طرا
ولم كان سنيا فيما وكنت طاعة من الله ربيات
فنبا منبا وما هم الله لم الا الام بعده انسيابا

المقامة الخامسة الثلثون

روى الحرث بن همام قال عرفت نطوا في شيراز على بابا
يستوقف المجتاز ولو كان على اوفاز فلم استطع تعديه
واخطت قدمي تخطيه فعجت اليه لاسبر جوهره
وانظر كيف ثمره من زهره فاذا اهله اتراب والعائج
اليهم مُعاد وبينما نحن في فكاهة اطرب من الاغاريد واعجب

مرحلب العنا فبينا إذ احتف بنا ذو طمرين قد كاد يناهز
العمرين فجابهنا بسلام طليق وأبان إبانة منطيق ثم احتبى
حبوة المنتدين وقال لتجعلنا اللهم من المهذبين
فازدراه القوم لطمريه ونسوا أن المرء بأصغريه وأخذوا
يتداعون فصل الخطاب ويتعدون عن عجم من الغطاب
وهو لا ينبض بكلمة ولا يبين عن سمة إلى أن سبر قراحكم
وخبر شآبيبهم وراجمهم بغيب ليستخرج دفائنهم واستنبل
كنائنهم قال يا قوم لو علمتم أن وراء الغدام صفو
المدام لما احتقرتم ذا الخلاق وتبينتم ما له من خلاق
ثم نحا من بدائع الأدب النكت النخب ما جلب به
بدائع العجب لمتوجه أن يكتب بذوب الذهب فلما خلب
الباب كل خليل وقلبا إليه كل قلب تحلحل ليرحل وأهب
لينهب فتعلقت الجماعة بذيله وعاقت عن سبيله فالتفت

لقد أرتنا وسم فتكك وأرونينا من نصحاتك فخبرنا عن
قبيلك ومحلك فصمت صموت عن أعجم ثم أعول حتى رحم قال
الواهي فلما رأيت شوب أبي زيد وأسلوبه المألوف
وصوبنا ما ثلب الشيخ على شهوره من مجناه وسهولة إباه
فاداموا إباءه فقلت لهم سرة كما يكتم الداء الدخيل وسرف
مكرم وإن لم يكن بحبال حيني إذا نزع عن أعواله وقد عرف
عقوبى على حالبه معنى بغير مضحاك وإن بلسان متباك
لبئس تعذر والله وأغلوطة من خطاب أنفك طمعه
يا قوم كم من غائق عائس مدوعة لأوصاف لا يدريه

قتلتها لا أتقي وازنا ... بطالب حتى قودا أو دية
وكلما اشتدت بي قتلها ... لحلن بالعناب على الأقضية
ولم تزل تغنى في غيبتها ... وقبلها الأبكار مستغفر بية
حتى تبدى الشيب لما بدا ... في مفرقي عن ثلكم المعصية

فلم أرَ مذ شبت فهي دما من عاشق يوماً ولا مصبب

فيغتسل الهم بصابونه والقلب من أوضار المضنيب

ويمشي بي لثنا الذي يضوع رياه مع الأرج

وليس يكفيني لتجهيزها على الرضا بالدهر إلا ما به

والبدر أوفى على درهم ومعرض ثغر السما مصحبة

فمال معجب على نقلها مصححة بالقينة الملهية

قال فلم يرع الجماعة الأمر ندبت لمكافأة وأتاح اليد

عريقة فلما نحجت نعيمه وكملت طيبه لغد مني عليهم

بصالح وشمر عن ساق سارح فبعثه لا ليتعرف ربيبه

جذيره من قبل أن يحدثان أمره فكان وسأل فيا ثمالة

حرامي ما زال دأبه مني وقال افقه عني

فقل مثلي بالصاح برح المدام ليس مثلي يلهو أو يحام

أبي عنفوني البلى بنت الكرم لا البلى من بنات الكرام

ولتجهيزها إلى الكاس والطاس فيا ويح الذي تاه وتمادى

فنعتهم ما قلت وعلم في التراضي لم يشا في الملام

ثم قال أنا عبيد وأنت من عبيد وبيننا من بعيد ثم

ودعني وانطلق وزودني نظرة من ذي علق

المقامة السادسة والثلاثون

أخبر الحرث بن همام قال أنخت على ملطية مطية البين حين بلي

تلي من العيش فجعلت مذ ألقيت بها عصاي

أن أتوخى مواطن الفرح وأتصيد شوارد المرح فلم يبق

بها منظر ولا مسمع ولا خلا مني ملعب ولا مربع حتى

إذا لم يبق فيها مأرب ولا لي في الثواء بها مرغب عدت

لإنفاق الذهب في ابتياع الأهب فلما كملت الراحلة

وتهيأ الظعن منها أو كاد رأيت فيها رهطاً قد تساووا

مميزة وأربابًا وأدبوا ودماثتهم قيد الألحاظ وفكاهتهم
حلوة الألفاظ فصحبتهم طلبًا لمنادمتهم لا لمدابتهم
وشغفًا بممازجتهم لا لإنجاحهم فلما انتظمت عاشرتهم
وأصحبت معاشرتهم ألفيتهم أبناء علات وفرائد ملوك
لعلائق الأثر لحمة الأدب قد ألفت شملهم ألفة النسب
وساويت بينهم في الرتب حتى لاحوا مثل كواكب
الجوزاء وبدوا كالجملة المتناسبة الأجزاء فما يجتني
الاهتداء إليهم ولعهدت الطالع الذي أطلعني
عليهم وطفقت أفيض بقدحي مع قداحهم وأستشفي
برياحهم لا براحهم حتى إذا شاقتني المفاوضة
إلى التعاجي بالمفاوضة كقولك إذا عنيت بها الكرامات
فامتثل فوقك النوم فإن فاتنا نخلو لها السها والغمر
ونجتني الشوك والثمر وبينا نحن ننشر القصب والرطب

ونتنشل التمر والعنب طلع علينا شيخ قد ذهب
حبره وسبره وبقي خبره وصبره يمثل مثول من سمع
وينظر ويلتقط ما ننشره إلى أن نفضت الكبار وجمجم
البائن فلما دلي بحبال القرائح والكداء المانح والمائح
جمع أذياله وأنا فقد الله وقال ما كل سوداء تمرة
ولا كل صهباء خمرة فاعتلقنا اعتلاق الحرباء بالأعواد
وضربنا دونه وجهه بالاستلال وقلنا له إن ذوي السبق
لمن حاص وإلا وجب القصاص وإنما القصاص القصاص فلا
تطمع في أن تخرج وتستثير الغيق وتسرح فلوى عنانه
راجعًا ثم جثم بمكانه راصعًا وقال أما إذ استنبثتموني
بالبحث فسأحكم حكم سليمان في الحرف أعلموا أبا ذوي الشمائل
الأدبية والشمول الذهبية أن وضع الأحجية
لامتحان الألمعية ولاستخراج الخبيئة الخفية وشرطها

ان تكون ذلك محاجاة حقيقية و الفاظ مصنوعة و
لطيفة ادبية فمتى ما فرتم هذا النمط صار عن السقط
ولم تدخل السقط ولم اركم حافظتم على هذه الحدود
والاختيار ثم بين المعبوك المردود فقلنا له صدقت
وبالحق نطقت فكل لنا من لبابك وافض علينا من عبابك
فقال افعل لئلا ابوء باثم المبطلين وتطوا الى الظنون
ثم تأمل ناظرة القوم وقال
يا من سما بذكاء في الفضائل اي اسم ماذا ما بلد نوحج عن البلاد
ثم تخيل الى الثاني انشد باذا النهى فاق فضلا لم يدانه بشر
ما مثل قول المحاجي ظهر اصابته عين ثم لحظ الثالث
وانشا يقول يا من نتايج فكره مثل النقود الجارية
ما مثل قولك للنهى حاجب صال وجار ثم اطلع
الى الرابع وقال يا مستنبط الغامض من لغز واضمار

الا اكشف لي ما مثل اقوال جلية بين مدبث وعجل
ثم التفت لقفا لسادس وقال
يا من يقصر عن مداه خطو محاذيه وضعف ما مثل قولك للنهى اضحى يحاجيك الكف الكف
ثم لحظ السابع بحاجبه وقال يا من لفطنته تجلو رتبة في الذكا حلت
بين ما ذلك في ابيات ما مثل قولي للقعبي اهلت ثم استنصت الثامن وقد
تطاول من حدائق فضله بطول الذراع عضه ما مثل قولك للمحاجي نهي عن العناد وفضه
ثم خرج التاسع ببصره وقال يا من يشار اليه بالعلم الذي في البراعة
اوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي درن جماعة قال الراوي
فلما انتهى الى هو حنكتي وقال يا من له النكت التي يمحي
الخصوم بها سكتت انت المبين فقل لنا ما مثل قولي حال السكر
ثم قال قد امهلتكم وان شئتم ان اعلكم عللتكم فالجانا
لهب الغلل الى استسقاء العلل فقال لئن كنت يسائرني
على يدي ولا من تمنت فيه ثم كر على اول انشد

يا من إذا أشكل المعمّى جلّته أفكاره الدقيقه
إن قال يوماً لك حذوَ نبلك ما مثله حقيقه
ثم ثنى جيده إلى الثاني وقال يا من يذيل بيانه عن فضله مبينا
ماذا أراد قولهم حمار حش بيننا ثم أوحى إلى الثالث
بلحظه وقال يا من غدا في فضله وكابه كالأصمعي
ما مثل قولك للذي حاجيته أنقع نقع ثم عطف إلى
الرابع وقال يا من إذا ما عويص دجا أنار ظلامه
ماذا يراد بقول لي ليستنش نجح ملامه ثم أومض إلى
الخامس وأنشأ يقول يا من نتيجة فكره عن لين يروى ويحكى
ما مثل قولك للذي أضحى يحاجي غط هلكى ثم أقبل
قبل السادس وأنشد يا أخا الفطنة التي بان فيها كالمه
ساد بالنبل مدة أي شيء جنابكم ثم نحا نحو السابع
وقال يا من يحلي بفهم أقام في الناس سوقه

لكل البيان فبين ما مثال لعنبقر وقبه ثم قصد الثامن
وأنشد يقول يا من تبوأ ذروة في الفضل فاقت كل ذروه
ما مثل قولك للذي أعطى ابن بقا بالوح بعد عروه ثم ابتسم
إلى التاسع وقال يا من حوى حسن الدراية والبيان بغير كد
ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكاء الثبت ملكي ثم قبض بجمعه
على العاشر وقال يا من سما بشعوب فطنته المكارم ونوركه
ماذا امتثال صغير يحفلك بتنين نيبا نابهم ثم قال
الحارث بن همام فلما أطرينا بما تمعناه وطالبنا بكشف
معمّاه قلنا الله لسنا من خيل هذا المبدان ولا النحل
هذه العقد بالبنان فإن أتيت منت وإن كتمته عممت
فطلب قشاء وتعبيده وبعلب بين فدحيحي قال
بل الأعمر عليه فأقبل آنية ثم أخذ في تغيير
صفحات الأذهان ولينتزع معه الأذهان حتى أصبح

الاعمام لغروب الشمس لا كمام كان لم تغر بالامس لما تم
بالمغرب سل عن المغرب فتفرق كما تفرق لم نكون ثم انا بلو
كل شعب في شعبه فرعى رحب غير انى بسروج
حين شام الفلك صعب بي ارجو ليلى والجد الذي خر المهجر
دالى ذو ضيتها الغنا ودون الروض اصبوا ما حلا لى بعده طلو
ولا اعذو دي عذب قال الراوى فقلت لاصحابى هذا
ابو زيد السروجي الذى يلحم بعاجي وجعلت اصف
لهم حسن تشبيهه وانقياد الكلام لمشبيبه ثم المفت
فاذا به قد طمر وناء بما قمر فعجبنا مما صنع ولم ندر
اين سلع وصقع

تفسير ما اودع هذه المقامة من الاحاجي

اما جوع امد برد فمثله طوى بئر واما ظهر اصابته عين
فمثله مطا عين ولى ما صادف جايزة فمثله الغنى

صلة واما ثنا ولد الف دينار فمثله علاية واما اهمال
حلبة فمثله الغاشية واما الكف الكف فمثله مهه
واما الشقيق اقلت فمثله الاحتطاز واما الغنا
فضة فمثله ابارقة الراوقة من اسماء الفضة
وقد نطق بها النبي صلى الله عليه وسلم في الرقة ربع العشر
واما دون جماعة فمثله طائفة واما حال اسكت فمثله
خالصة لانك اذا ناديت مضافا الى نفسك جاز لك حذف
الياء واثباتها ساكنة ومتحركة وقد حذف ههنا حرف
النداء كما حذفه في اصل الاحجية وصه بمعنى اسكت
واما حد تلك فمثله هاتيك واما حمار وحش ربا فمثله
غرا بن الفرا والفرا حمار الوحش ومنه الخبر كل الصيد
في جوف الفرا واما كو لما انفق فمثله شنعم لان
لان الامر من كان يكون كن ومضارع نعمت نعم واما

استنشق ريح مدامه فمثله رخ راح مكان واسع الذي الأحمر
من شم الرائحة رخ وأما غط ملكي فمثله صنبور
لأن البور بعم الهلكى وفي الغراب وكبش فوكا بورا ولعل
سار بالليل مدة فمثله سرالجبين وأما الجيب فرقة
فمثله مقلاع الذي الامر من وقرعوا للداع الجرع
يقال فلان لاع لاع اذا كان جبانا جزوعا وأما اعط
ابريقا بلوح لغير عروة فمثله اسكوب الذي لا وس العطاء
والدر منه اسرو الكوب الجر بربوق بغير عروة وأما المور
ملكي فمثله اللالي الذي الا على قرن الغنا ومو نور
الوحش وأما صفير محفلة فمثله مكاشفة الذي المكاء
الصفير قال الله تعالى وما كان صلوتهم عند البيت
الا مكاء وتصدية والاصل المكاء المد ولكنه قصر
في هذه الأحجية كما حذف همزة الفرا في الحجية وكلا الوزن

من قصر الممدود وحذف الهمزة من المهموز جائز في الضرورة

المقامة السابعة والثلثون

حكى الحارث بن همام قال أصعدت إلى صعدة وأنا ذو
شطاط يحكي الصعدة واشتداد يبذ به بنان صعدة
فلما رأيت نضرتها وعاينت خضرتها سألت نحارير
الرواة عمن تحمد من السراة ومعادن الخيرات لأتخذه
عدة في الطلبات ونجدة في الظلامات فنعت لي بها
قاض رحيب الباع خصيب الرباع يمني النسب والطباع
فلم أزل أتقرب إليه بالإلمام وأتشفع عليه بالإعظام
حتى صرت صفي خلوته وسمير بيته وكنت مع اشتيار
شهده واشتياق بدره أشهد مشاجر الخصوم وأشعر بين
المعصوم منهم والموصوم فبينما القاضي جالس للاحتكام

فبينا هو في المحفل الغاص إذ دخل عليه شيخ بالي الرياش بادي
الارتعاش فتبصر المحفل تبصر نقاد ثم زعم أن له
خصما غير منقاد فلم يكن إلا كصوت سراره أو وحي إشارة
حتى أحضر غلاما كأنه جذع عام فقال الشيخ أيد الله
القاضي وعصمه من التغاضي إن ابني هذا كالعلم الرديني
والسيف الصيقلي يجمل أوصاف الانتصاف ويضع
لعلل أو لحداثي إن أقدمته أحجم وإن أغريته أعجم وإن أذكيت
لحمه ومني شوبته مع أني كفلته مذ دب إلى أن
شب وكنت له ألطف من ربي ورب فأكبر القاضي ما شكى إليه
وأطرق بمرح التهم قال أشهد أن العقوق أحد
الثكلين ورب عقوق أمر من العقم فقال الغلام وقد أحفظه
هذا الكلام والذي نصب القضاة للعدل وكلهم
أعيته الفضل المفضل ما ذاع فقط إلا أنت

ولا ادعى إلا النسب ولا التقى إلا الجمعة ولا أوى إلا الغرف
بيد أنه لكن يبتغي بعض الموق ويطلب الطرب من النوق
فقال له القاضي وبم أغضبك وامتحن طاعتك فقال
إنه مذ صفر من المال ومني بالإمحال يسومني أن ألمظ
بالسؤال واستمطر سحاب النوال ليقيض شربه الذي غاض
وينجبر من حاله ما انهاض وقد كان حين أخذني بالدرس
وعلمني أدب النفس أشرب قلبي أن الحرص متعبة
والطمع معتبة والشره منقصة والمسألة ملامة
ثم أنشد من فلق فيه ونخب قوافيه

ارض بأدنى العيش واشكر عليه شكر من القل كثير لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل يحط قدر المترقي إليه
وحام عن عرضك واستبقه كما يحامي الليث عن لبدتيه
واصبر على ما نابك من فاقة صبر أولي العزم وأغض عليه

وأنزه ذا المحيّا لو حرّك المسؤول ما في يديه
فأحرز أن يذهب عيبه لخفي قذى جفنيه عن ناظريه
ومن إذا أخلق ديباجته لم يرَ أن يخلق ديباجتيه
قال فعبس الشيخ واكفهرّ وأبدأ على ابنه وهرّ
وقال صه يا عقق يا من هو الشجى والشرق وبلكم
أتعلم أنه أمال الصناع وطرك الإرضاع لقد تخلّف
العقرب بالأفعى واستنت الفصال حتى القرعى ثم
كأنه ندم على ما فرط منه وحنية المغيظ على تلافيه
فرنا إليه بعين عاطف وبنى عليه جناح ملاطف وقال
له ويك يا بنيّ لقد أمرت بالقناعة وزجرت عن
الضراعة فهم أرباب البضاعة وأولوا المكسبة والصناعة
وأما أولوا الضرورات فعلها ينثني بهم في المحظورات
وهبك جهلت أنا وإياك لم يبلغك ما قال السنابي

عارض إياه فيما قال ثم حاباه وهو

لا تقعدن على ضرّ ومسغبة لكي يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينيك هل أرض معطلة من النبات كأرض حفها الشجر
فعد عما تشير الأغبياء به فأي فضل لعود ما له ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به إلى الجناب الذي يهمي به المطر
واستنزل الري من درّ السحاب فإن بلت يداك به فليهنك الظفر
وإن رددت فما في الرد منقصة عليك قد رد موسى قبل والخضر

قال فلما رأى القاضي تنافي قول الفتى وفعله وعليه
يا لبس من أهله نظر إليه بعين غضبى ثم اطمأنّا
مرة وقبيحا الهوى أخرى ثم يغض ما يقول ويلوذ
كما يتلون الغول فقال الغلام والذي جعلك مفتاحا
للحق وفتاحا بين الخلق لقد انصبت مذ أسيب وصدك
ذهني مذ صدبت على أنه أبو الباب الفتح والعطا الشرح

وهل يغني حرّ مثيره عن بالتمني إذا استطعم يقول له فقال
له القاضي ويحك مع الخواطي سهم صائب وما كل برق
خالب فميّز البروق إذا شمت ولا تشهد إلا بما علمت فلما
تبيّن للشيخ أن القاضي قد غضب للكلام وأعظم تحمّل
جميع الآثام علم أنه سيمحص كلمته ويطلبه الزمنية
بالكذب أن صبّ شكيته وشفى الحريق بمحكيه
وأنشأ يقول يا أيها القاضي الذي علمه
وحلمه أرجح من رضوى قد لاعني هذا على حمله
أن ليس في الدنيا له موجدي وما درى أن من معشر عطا
ؤهم كالمنّ والسلوى فجد بما ينشيه من خزيا
فما افتدى من كيدبا العدى وانثنى جذلان أثني بما
أوليت من جدوى ومن عدوى قال فهش القاضي
لقوله الجزل من طوله ثم التفت وجهه إلى الغلام وقال

لئن أسمعهم الملام وقال لئن أرأيت بطلك عملك وخرطا
وهل فالتجأ بحدثا ببنهم ولا تحنث عهدا قبل عمم
أبال وما أتيك من مطلو عن أبيك فأنكل لمن صدق بعقه
حاف بدهني ما فيحقه فسقط الغني في يده ولاذ
بحقوق الذمم ثم نهض يحقد ويتبعه الشيخ بنقد
من ضامة أو طاب دره فليقصد القاضي في ضعك
سماحة أزرى بمن قبله وعدله أتعب من بعده
قال الراوي فخرجت بين عريف الشيخ ونكيره إلى
أن العز ورفع طيره فناجيت النفس بانتباهه لوالى باعه
لعلي أظهر على لبس آرائه وأعرف بمحجة ناره فتبدلت
العلق وأطلقت حين انطلق ولم يزل يحظو وأعقب
ويعدو وأقترب إلى أن تراءى الشخصان حتى التقى
على الخلصان فانبرى حينئذ للانتشاش ودفع الذنب

وقال من كاد بأخاه ملا عاش فعرفت حينئذ أنه السروجي
بلا محالة والحجول لحاله وبادرت إليه لأصافحه
وأبتغي منه مصافحة ومازحة فقال دونك ابن أخيك البر
ثم تركني وحرّ فلم يجد الفتى لرأفته به من كان فعدت

المقامة الثامنة والثلثون

حكى الحارث بن همام قال حُبِّب إليّ مذ سعت قدمي ونفث
قلمي أن أتخذ الأدب شرعة والاقتباس منه نجعة
وكنت أنقب عن أخباره وحملة أسراره فإذا ألفيت
منهم بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت
يدي بغرزه واستنزلت منه زكوة كنزه على أني
لم ألق كالسروجي في غزارة السحب ووضع الهناء
مواضع النقب إلا أنه كان أسير من المثل وأسرع

من القمر في النقل وكنت لهوى ملاقاته واستحلاء
مقاماته أرغب في الاغتراب وأستعذب السفر الذي
هو قطعة من العذاب فلما أن طوحت إلى مرو ولا غرو
بشرني مرآه زجر الطير والفال الذي هو بريد الخير
فلم أزل أنشده في المحافل وعند تلاقي القوافل فلا
أجد عنه مخبرا ولا أرى له أثرا ولا عثيرا حتى غلب
اليأس الطمع وانزوى التأميل وانقمع فإني لذات
يوم بحضرة والي مرو وكان ممن جمع الفضل والثروة
إذ طلع أبو زيد في خلق ملحاف وخلق ملاف فحيا
الوالي تحية المحتاج إذا لقي رب التاج ثم قال له
اعلم وقيت الذم وكفيت الهم أن من عذقت به الأعمال
أعلقت به الآمال ومن رفعت له الدرجات رفعت إليه
الحاجات لأن السعيد من إذا قدر وواتاه القدر

أدِّ زكاةَ النِّعَم كما تؤدّى زكاةُ النَّعَم، والزَمْ لأهلِ الحُرَم
كما يلزم لأهلِ الحَرَم، وقد أصبحتَ بحمدِ اللهِ عميدَ مصرِك
وعمادَ عصرِك، تُزجى الركائبُ إلى حرمِك، وتُرجى الرغائبُ
من كرمِك، وتُنزَلُ المطالبُ بساحتِك، وتُستنزَلُ الراحةُ
من راحتِك، وكان فضلُ اللهِ عليك عظيمًا، ثمّ إنّي شيخٌ
ترِبَ بعدَ إتراب، وعدِمَ الإعشابَ حينَ شاب، فقصدتُك
من محلّةٍ نازحة، وحالةٍ رازحة، آمِلًا من بحرِك دُفعة
ومن جاهِك رِفعة، والآمِلُ أفضلُ وسائلِ السائل
ونائلِ النائل، فأوجِبْ لي ما يجبُ عليك، وأحسِنْ كما أحسنَ اللهُ
إليك، وإيّاك أن تلويَ عِذارَك عمّن ازدارَك، أو
أو تقبضَ راحتَك عمّن امتاحَ راحتَك وأمَّ ساحتَك، فواللهِ
ما مُجِّدَ من جمَد، ولا رشَدَ من حشَد، بل اللبيبُ من إذا وجد
جاد، وإن بدأ بعائدةٍ عاد، والكريمُ من إذا استوهب

الذهبَ لم يهَبْ أن يهَب، ثمّ أمسكَ يرقُبُ أُكُلَ غرسِه، ويُبصِرُ
من طِيبِه نفسِه، وأحبَّ الوالي أن يعلمَ هل نُطفتُه ثَمَد
أم لغزيرِه مدد، فلاحظَ بطرفٍ يرمقُه في استقراءِ زندِه واستشفافِ
فِرِنْدِه، والتبسَ على أبي زيدٍ سرُّ صمتِه عن إجابةِ صِلتِه، فتوغّرَ
غضبًا، وأنشدَ مقتضِبًا: وقال:

لا تحقِرَنَّ أبيتَ اللعنَ ذا أدبٍ / لأنْ بدا خلِقَ السربالِ سُبروتا
ولا تُضِعْ لأخي التأميلِ حُرمتَه / أكانَ ذا الشرِّ أم كانَ كِبريتا
وانفَحْ بعُرفِك مَن وافاكَ مُختبِطًا / وانعَشْ بعونِك مَن ألفيتَ منكوتا
فخيرُ مالِ الفتى مالٌ أشادَ له / ذِكرًا تناقلُه الرُّكبانُ أو صِيتا
وما على المُنتهي حمدًا بموهبةٍ / غَبْنٌ ولو كانَ ما أعطاهُ ياقوتا
لولا المروءةُ ضاقَ العُذرُ عن فَطِنٍ / إذا اشرأبَّ إلى ما جاوزَ القُوتا
لكنّه لابتغاءِ المجدِ جدَّ ومَن / حبَّ السماحَ ثنى نحوَ الغِنى لِيتا
وما تنشّقَ نشرَ الشكرِ ذو كرمٍ / إلّا وأزرى بنشرِ المسكِ مفتوتا

والحمد والبخل لم يُقضَ اجتماعهما حتى لقد خِيلَ ضبٌّ وادّ لهم نونا

والسمح في الناس محبوب خلائقه والجامد الكف ما ينفك ممقوتا

وللتسمح علو الهمة علل بوسعه ابد الدهر وبلتيا

فجد بما جمعت لقاك من نشب حتى يرى مجتدي جدواك مجدونا

وخذ نصيبك منه قبل رائعة من الزمان تريك العود منحوتا

فالدهر انكد من ان تستمر به حال ولو كرهت تلك الحال ام شينا

فقال له الوالي تالله لقد احسنت فاتى وليد الرجال الرث

فنظر اليه عن عرض ثم انشد وهو مغضٍ

لا تسأل المرء من ابوه ورز خلاله ثم صله او فاصرم

فما يشين السلاف حين حلا مذاقها كونها ابنة الحصرم

قال فقربه الوالي لبيانه الفاتن حتى احله مقعد الخائن ثم فرض له من سيوب نيله ما آذن بطول ذيله وقصر ليله فنهض عنه بردن ملآن وقلب جذلان و

وشيعته حاذيا حذوه وقافيا خطوه حتى اذا خرج من بابه وفصل عن غابه قلت له هنيت بما اوتيت وبلغت ما اوليت فاسفر وجهه وتلألأ وولى الشكر لله تعالى ثم خطر خطر الجبال

من مكن نال في اكنافه امرا او سما قدره لطيب الاصول فبفضل انتعشت لا بالفضول وبقولي لا بنعتي الفضول

ثم قال نعشا لمن جدب كالاب وطوبى لمن حذفه و اب

ثم ودعني وذهب واودع القلب اللهب

المقامة التاسعة والثلثون

حدث الحرث بن همام قال لهجت مذ اخضر ازاري وبقل عذاري بان اجوب البراري على ظهور المهاري انجد طورا واسلك تارة غورا الى ان قلبت المعالم والمجاهل وبلوت المنازل والمناهل واحفيت السنابك والمناسم

وانضيت السوابق والرواسم فلما مللت الاصحار وسنح
لي ارب بصحار فملت الى الاعتبار لتيار ولاختبار
الفلك السيار فنقلت اليه اسبادي واستصحبت
زادي ومزادي ثم ركبت فيه ركوب حاذر بادر وعاذل
لنفسه وعاذر فلما شرعنا في القلعة ورفعنا الشرع
للسرعة سمعنا من شاطئ المرسى حين جنحها الليل
واغسى قائلا يقول يا اهل ذا الفلك القويم المرجى
في البحر العظيم بتقدير العزيز العليم هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم فقلنا له افدنا يا دليل ايها
الدليل وارشدنا كما يرشد الخليل الخليل فقال استحملون
ابن سبيل زاده في زبيل وظله غير ثقيل وما يبتغي
سوى مقيل فاجمعنا على الجنوح اليه والانحال بالماكير
عليه فلما استوى على الفلك قال اعوذ بمالك الملك من

دواعي الهلك ثم قال انا روينا في الاخبار المنقولة عن
الاحبار ان الله تعالى ما اخذ على الجهال ان يتعلموا حتى اخذ
على العلماء ان يعلموا وان معي لعوذة عن الانبياء ماخوذة
وعندي لكم نصيحة براهينها صحيحة وما وسعني
الكتمان ولا من شيمي الحرمان فانصتوا للمقال وتفهموا و
اعلموا بما تعلمون وعلموا ثم صاح صيحة المباهي
وقال اتدرون ما هي هي والله حرز السفر عند مسيره ثم
في البحر والجنة عن الغم اذا جاش موج اليم وبها
لبسه اعتصم نوح من يوم الطوفان ونجا ومن معه من الحيوان
على ما صدعت به آي القرآن ثم قرا بعدا اساطير لا كا
وزخارف جلاها وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها
ومرسيها ثم تنفس تنفس المغرمين او عباد الله المكرمين
ثم قال اما انا فقد قمت فيكم مقام المبلغين ونصحت لكم نصح

البالغين

المبايعين ، سلكت بكم محجة الراشدين فاشهد اللهم
وأنت خير الشاهدين قال الحارث بن همام فعجبت
للصولة له بالتلاوة فأعجبنا بيانه البادي الطلاوة
وآنس من جرسه معرفة عين عجبه ومخبرة أنسه فقلت
له بالذي سخر البحر اللجي ألست شيخنا السروجي
فقال بلى وعزة من علا وهل يخفى ابن جلا فحمدنا مخيل
السفر وسفرت عن نفسي إذ سفر ووجدت بلقائه
وجد المثري بعقيانه واستبشرت بمناجاته استبشار
الغريق بنجاته ولم نزل في بر والجو صحو والبحر
رهو والعيش صفو والزمان لهو حتى عصفت الجنوب
وعسفت الجنوب ونسي السفر ما كان وجاءهم الموج
من كل مكان فملنا لهذا الحادث الثائر إلى إحدى الجزائر
لنريح ونستريح ريثما توافي الريح فتمادى اعتياص المسير

حتى نفد الزاد غير اليسير فقال لي أبو زيد إنه لن يجرز
جنى العود بالقعود فهل لك في استثارة السعود
بالصعود فقلت إني لك أتبع من ظلك وأطوع من
نعلك فنهضنا إلى الجزيرة على ضعف من المريرة لنركض في
أمنها المريع وما فينا من يملك فتيلا ولا نهتدي فيها سبيلا
فلم نزل نجوس خلالها ونتفيأ ظلالها حتى أفضينا إلى
قصر مشيد له باب حديد ودونه زمرة من عبيد
فناسمناهم لنتخذهم سلما إلى الارتقاء وأرشية للاستقاء
فألفينا كلا منهم كئيبا حسيرا حتى خلناه كسيرا أو
أسيرا في حبل كسيره كربا به فناديناهم أيها الغلمة
ما هذه الغمة فلم يجيبوا النداء ولا فاهوا ببيضاء
ولا سوداء فلما رأينا نارهم نار الحباحب وخبرهم كسراب
السباسب قلنا شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه

فأعلق بنا حالما قد علته كبرة وعرته عبرة وقال يا قوم
لا توجعونا عتبا ولا توسعونا سبّا فإنّا لفي كرب شامل
وشغل عن الحديث شاغل فقال له أبو زيد نفّس خناق
البثّ وانفث إن قدرت على النفث فإنك ستجد منّي عرّافا
كافيا ووصّافا شافيا فقال اعلم أنّ ربّ هذا القصر
هو قطب هذه البقعة وشاه هذه الرقعة إلا أنه لم يخل
من كمد الخلوّ عن ولد وما زال يستكرم المغارس ويتخيّر
المفارش النفائس إلى أن رُشّحت لحمل عقيلته وآذنت
زَفْلته بفسيلة فنُذرت له النذور وعُدّت الأيام والشهور
فلما حان النتاج وصيغ له الطوق والتاج عسُر
مخاض الوضع حتى خيف على الأصل والفرع فما فينا من يعرف
قرارا ولا يطعم النوم إلا غرارا ثم أجهش بالبكاء وأ
عول وردّد الاستعبار وطوّل فقال له أبو زيد اسكن

يا هذا واستبشر وابشر بالفرج وبشّر بتعلّمي عزيمة
الطلق التي انتشر صيتها في الخلق فبادر الغلمة إلى
مولاهم مبشّرة بانكشاف بلواهم فلم يكن إلا كلا ولا حتى
خرج من هلمّ بنا إليه فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه
قال لأبي زيد ليهنك ما لك إن صدق مقالك فلم يقل فألك
فاستحضر قلما مبريّا وزبدا بحريّا وزعفرانا قد ديف في ماء
ورد نظيف فما إن رجع النفس حتى أحضر ما التمس
فسجد وعفّر وسبّح واستغفر ثم أخذ القلم فاستجمع
وكتب على الزبد بالمزعفر

أيّهذا الجنين إني نصوح لك والنصح من شروط الدين
أنت مستعصم بكنّ كنين وقرار من المكين مكين
ما ترى فيه ما يروعك من خلّ مداج ولا عدوّ مبين
فمتى ما برزت منه تحوّلت إلى منزل الأذى والهون

ورأى لك الشفاء الذي تلقى به بكل عفر هون

فاستدم عيشك الرغيد وحاذر ان تبيع المحقوق بالمظنون

والحق بمن خادعك برفقك لتلقى في العذاب المهين

ولعمري لقد نصحت ولكن لم ينصح مستعيد بطنين

ثم انه لبس المكهم على عقله وتفل عليه ماء نقلة وشد

الزند في خرقة حرير بعدما ضمخها بعبير وامر بتعليقها

على فخذ الماخض وان لا تعلق بها يد حائض فلم يكن الا

كرداد شارب او فواق حالب حتى اندلق بمخض الولد

لخشية الزند بقدرة الواحد الصمد فامتلأ القصر

حبورا واستطير عميده وعبيده سرورا واحاطت

الجماعة به يثنون عليه ويقبلون يديه ويتبركون باطراف طمريه

حتى خيل الي انه القرني اويس او الاسدي دبيس

ثم انثال عليه من جوائز المجازات وصلات الصلات

ما قيض لنا الغنى وبيض وجه المنى ولم يزل شائب البخل

مذ بخع لنا النحل الى ان اعطى الحر الامان وفي

الايتام الى عمان فاكتنع لابي زيد بالتحلة وتأهب للرحلة

فلم يبح الوالي حركته بعد تجربة بركته بل اوعز بضمه

الى خزانته وان يطلق يده في خزانته قال الراوي فلما

رأيته قد مال الى حيث يكتسب المال اجلبت عليه بالعنيف

وتجنبت ان مفارقة المألف لا ابن فعال الي عني وان انشد

لا تصبون الى وطن   فيه تضام وتمتهن

وارحل عن الدار التي   تعلي الوهاد على القنن

واهرب الى الكن الذي   يحويك لو ان حصنا حصن

جب البلاد فايها   ارضاك فاختره وطن

واربأ بنفسك ان تقيم   بحيث يغشاك الدرن

ودع التذكر للمعاهد   والحنين الى السكن

واعلم بان الحر في اوطانه يلقى الغبن كالدر في الصدف
ويبتذل ويبخس في الثمن ثم قال حسبك ما سمعت و
حبذا انت لو اتبعت فاوضحت له معاذيري وقلت له
عذيري فعذر واعتذر وزود حتى لم يذر ثم شيعني
تشييع الاقارب الى ان ركبت في القارب فودعته
وانا اشكو الفراق واذمه واود لو هلك البين وامه

المقامة الاربعون

قال ازمعت السير من تبريز حين نبت بالذليل والعزيز
وخلت من المجير والمجيز فبينا انا في اعداد الاهبة
وارتياد الصحبة لقيت ابا زيد السروجي ملتفا بكساء
محتفا بنساء فسالته عن خطبه والى اين يسرب
مع سربه فاومى الى امراة منهن باهرة السفور ظاهرة
النفور وقال تزوجت هذه لتونسني في الغربة وترحض
عني قشف العزبة فلقيت منها عرق القربة لانها تمطلني
في حقي وتكلفني في ليلي فوق طوقي وانا منها
نضو وجى وحليف شجو وشجا وها نحن قد تساعينا
الى الحاكم ليضرب على يد الظالم فان انتظم بيننا الوفاق
والا فالطلاق والانطلاق قال فملت الى ان اخبر
لمن الغلب كيف يكون المنقلب فجعلت شغلي دبر
اذني وصحبتهما وان كنت لا اغني فلما حضرا القاضي
وكان ممن يرى فضل الامساك ويبض بنغاشة السواك
جثا ابو زيد بين يديه وقال ايد الله القاضي واحسن
اليه ان مطيتي هذه ابية القياد كثيرة
الشراد مع اني اطوع لها من بنانها واحنى عليها من
جنانها فقال لها القاضي ويحك اما علمت ان النشوز

يُغضِبُ الربَّ ويوجِبُ الضربَ فقالت إنّه ممّن يدور خلف
الدارِ ويأخذ الجارَ بالجارِ فقال لها القاضي تبًّا لك
أتبتذين في النباح وتتعرّج حيث لا أفراحَ اعزبي عنّي
لا أنعم عوفك ولا أمرخ كفّك فقال أبو زيد إنّها ومرسِل
الرياح لأكذب من سجاح فقالت بل هو ومن طوّق الحمامة
وجنّح النعامة لأكذب من أبي ثمامة حين مخرق باليمامة
فزفر أبو زيد زفير الشواظ واستشاط استشاطة
المغتاظ وقال لها ويلكِ يا دفارِ يا فجارِ يا غصّة البعل
والجارِ أتعمدين في الخلوة لتعذيبي وتبدين في الحفلة
تكذيبي وقد علمتِ أنّي حين بنيتُ عليكِ ورنوتُ إليكِ ألفيتُكِ
أقبح من قردة وأيبس من قدّة وأخشن من ليفة وأنتن
من جيفة وأثقل من هيضة وأقذر من حيضة وأبرد
من قرّة وأحمق من رجلة وأوسع

من دجلة فسترتُ عوارَكِ ولم أُبدِ عارَكِ على أنّه لو حباكِ
شيرينُ بجمالها وزبيدةُ بمالها وبلقيسُ بعرشها وبورانُ بفرشها
والزبّاءُ بملكها ورابعةُ بنسكها وخندفُ بفخرها والخنساءُ
بشعرها في صخرها لأنفتُ أن تكوني قعيدةَ رحلي وطروقةَ فحلي
قال فتذمّرت المرأة وتنمّرت وحسرت عن ساعدها وشمّرت
وقالت له يا ألأمَ من مادرٍ وأشأمَ من قاشرٍ وأجبنَ من
صافرٍ وأطيشَ من طامرٍ أترميني بشنارك وتعري عرضي
بشفارك وأنت تعلم أنّك أحقر من قلامة وأعيب من بغلة
أبي دلامة وأفضح من حبقة في حلقة وأحير من بقّة
في حقّة وهبك الحسن البصري في فضله ووعظه و
الشعبي في علمه وحفظه والخليل في عروضه ونحوه وجرير
في غزله وهجوه وقسّ في فصاحته وخطابته وعبد الحميد
في بلاغته وكتابته وأبا عمرو في قراءته وإعرابه وابن قريب

في ذوائبه عن اغترابه أتظنني لرفضك أما المحاجي حاتما
لا والله ولا أبو أبا لبابي ولا عصا الجراب فقال لهما القاضي
أراكما شتّا وطيبة وحدأة وبندقة فأزل أيها الرجل
لا الأود واسلك في سبيل الجدد وأما أنت فكفّي عن
سبابه وقرّي إذا أتيت البابَ من بابه فقالت المرأة
والله ما يحضر عند لبابي إلا إذا كساني ولا أرفع له
شراعي دون إشباعي فحلف أبو زيد بالمحرجات الثلاث
أنه لا يملك سوى أطمار الرثاث فنظر القاضي في قصتهما
نظر الألمعي وأفكر فكرة اللوذعي ثم أقبل عليهما
بوجه قد قطّبه ومجنّ قد قلبه وقال ألم يكفكما التسافه
في مجلس الحكم والإقدام على هذا الجرم حتى ترقيتما
من فحش القذع إلى خبث المخادعة وايم الله لقد
أخطأت استكما الحفرة ولم يصب سهمكما الثغرة

فإن أمير المؤمنين أعزّ الله ببقائه الدين نصبني لأقضي
بين الخصماء لا لأقضي دين الغرماء وحق نعمته التي
أحلتني هذا المحل وملكتني العقد والحل لئن لم توضحا
لي جلية خطبكما وخبيئة خبكما لأنددن بكما في الأمصار
ولأجعلنكما عبرة لأولي الأبصار فأطرق أبو زيد إطراق
الشجاع ثم قال له سماع سماع

أنا السروجي وهذي عرسي ... وليس كفو البدر غير الشمس
وما تنافى أنسها وأنسي ... ولا تنائى ديرها عن قسي
ولا عدت سقياي أرض غرسي ... لكننا منذ ليال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي ... لا نعرف المضغ ولا التحسي
فحين عضّ الصبر والتأسي ... وشفّنا الضر الأليم المس
قمنا لسعد الجد أو للنحس ... هذا المقام لاجتلاب فلس
والفقر يلجي الحر حين يرسي ... إلى التحلي بلباس اللبس

وسوء حالي وهذا لا أنسى فانظر إلى يومي وسل عن أمسي
وأمر نجيبي إن نشا أو حبسي ففي يديك صحتي ونكسي
فقال له القاضي لئن ثبت أنسك ولتطيبن نفسك فقد
حق لك أن تغفر خطيئتك وتوفر عطيتك فبارت الرقعة
عند ذلك باستطالته وأشارت إلى الحاضرين وقالت يا أهل
... لكم حاكم أوفى على الحكام قدرا
ما فيه من عيب سوى أنه قسمته يوم الندى ضيزى
قصدته والشيخ يبغي جنى عوده له مازال مهزوزا
فسرح الشيخ وقد نال من جدواه تخصيصا وتمييزا
وردني أخيب من شائم برقا خفي في شهر تموزا
كأنه لم يدر أني أبي لقب الشيخ الأراجيزا
وأنني لو شئت غادرته أشهر من ... أرض ...
فلما رأى القاضي لجاجهما وانصلات لسانهما

علم الله قد منيت منهما بالداء العياء والداهية الدهياء
وأنى منح أحد الزوجين وصرف الآخر صفر
اليدين كان لمن قضى الدين بالدين أو صلى المغرب
ركعتين فطلبهم وسطا بهم واغرنجم وبرطم وهمهم
وغمغم ثم التفت يمنة وشامة وتململ كآبة و
ندامة وأخذ يذم القضاء ومتاعبه ويعدد شوائبه
ويذم أبيه ويفتقد طالبه وخاطبه ثم تنفس كتنفس
المحب وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب وقال إن
هذا الشيء عجيب أرشيخ موقف يمتحن اليوم في
نصيب معه من أطيق أن أرضي الخصمين ومن أين
ومن أين ثم عطف إلى حاجب المتفقد لمآربه وقال
ما هذا يوم حكم وقضاء وفصل وإمضاء هذا يوم اغتمام
وهذا يوم اغتنام أم هذا يوم الصرف هذا يوم الحزن

هذا يوم عصيب هذا يوم مطيات فيه ولا نصيب
فارحمني من هذين المهذارين واطلق لسانا ماعني بذي بابين
ثم فرق الاصحاب واغلق الباب واشعر انه يوم مذموم
وظل القاضي فيه مهموم لئلا يحضره خصوم قال
فاقبل الحاجب على دعابته وتباكى لبكايه ثم نعت ابا زيد
وعرفه المتقالين فقال اشهد انهما الاحبولان المغلبين
لكن عنه ما تحايل الحكام واعتيبا فيه ازخرف الكلام فما
كان قاضي ثار بزبد واكل وقت سمع الا الخير
فقال لا له ما مثلك من حجب بشكر قد وجب وهصا
وقد حفظنا به بثار بن واصلنا قلب القاضي ثارين

تفسير ما تضمنته هذه المقامة

من الالفاظ اللغوية والامثال العربية قوله

اتيت منها عرق القربة هذا مثل يضرب لمن لقي شدة
من امر القوي بنا ابله كما الرجل حامل القربة يلقى جهدا حتى
يعرق وقوله جعلته دبر اذني بمعنى اطرحته وهو
كقولهم تنبذوه وراء ظهورهم وقوله الكذب محاج
بمعنى انني متناه في عمه مسيلمة الكذاب وسارت السير
لسناظره وتحبيره ثم امتنت به وهبت نفسها له وهو
كما يم مسيخ على الكبر مثل حذام وقطام لكونه من
اسماء المعدولة ولشيفاقه عن السجاحة وهي
السهولة ومنه قولهم اذا ملكت فاسجح وقولها
الكذب من اهل تمامة وهي كنية مسيلمة الكذاب كان
تنبأ باليمامة وتحرق بها الى ان سار اليه خالد بن الوليد
وقتله وقوله لا انعم عوفا والعوف الحال والعوف
ايضا الذكر ويدعى للباني على اهله فيقال له انعم عوفا

وقوله يا دفار يا مجار هذان اسمان معدولان عن دفرة
ومجارة والدفر النتن وبه سميت الدنيا ام دفر كما
سمي بصفتها غالبة ثم عدلت عنها الى فعال فبني على الكسر
عند النداء كقولك يا لكاع ويا خباث ويا فساق يا مجار
ولا يجوز استعماله الا في النداء او الا في ضرورة الشعر
كقول الحطيئة: أطوف ما أطوف ثم آوي
الى بيت قعيدته لكاع. واما قوله احمق من حلمة
هي ضرب من الحمض ينبت في مجاري السيل فيجتنبه
واما قولها باللؤم من مادر فهو رجل من بني هلال
بن عامر كان اتخذ حوضا لسقي ابله فلما رويت سلح
فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به احد من بعده واما
قولها اشأم من قاشر فانه فحل كان في بعض قبائل
سعد بن زيد بن مناة ما طرق ابلا الا ماتت وقيل

المثل بعينه العام المجدب سمي قاشرا لقشره وجرده الارض
من النبات واما قولها احمق من صافر فقد اختلف في
تفسيره فقال بعضهم عنى به كل ما يصفر من الطير
وخص بالجبن لكثرة ما يتعبه من جوارح الجو وصائد
الارض وقيل انه طائر بجبنه اذا جنه الليل تعلق
ببعض الاغصان ولم يزل يصفر طول ليلته خوفا من
ان ينام فيؤخذ وقيل انه الذي يصفر بالمرأة لريبة
فهو يجبن وقت صفيره مخافة ان يظهر على امره وقيل
ان المراد به من المثل المصفور به وهو الذي يبدأ بالصفير
ليهرب فعلى هذا القول فاعل ههنا بمعنى مفعول
كقوله تعالى من ماء دافق اي مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى
مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى
فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا اي ساترا وقوله تعالى انه

كان وعده ما بينا وأما قولها أطيش من طامر فالمراد
به البرغوث وسمي طامر بن طامر لكثرة وثوبه أما قول القاضي
إن كانا شنا وطبقة وجداه وبدوه فإنه أراد بأن
كلا منهما كفو لصاحبه ومقاوم له ولكل من المثلين
تفسير مختلف فيه أما شن وطبقة فإن العلماء مختلفون
في معنى قولهم وافق شن طبقة فقال الكلابيون إنهما
قبيلتان فشن هو ابن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن
ربيعة بن نزار وطبقة حي من إياد وكانت طبقة لا تطاق
فأوقعت بها شن فانتصفت منها وقال بعضهم كان
شن رجلا من دهاة العرب كان ألزم نفسه ألا يتزوج
إلا بامرأة تلائمه وكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته فصا
حبه رجل في بعض أسفاره فلما أخذ منهما السير قال له
شن أتحملني أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل وتمام

أيحمل الراكب الراكب فأمسك وسارا حتى أتيا على زرع فقال له
شن أترى هذا الزرع أكل أم لا فقال له يا جاهل أما تراه
في سنبله فأمسك إلى أن استقبلتهما جنازة فقال له
شن أترى صاحبها حيا فقال له ما رأيت أجهل منك أتراهم
حملوا إلى القبر حيا ثم إنهما وصلا إلى قرية الرجل فصار
به إلى منزله وكانت له بنت تسمى طبقة فأخذ يطرفها
بحديث رفيقه فقالت له ما نطق إلا بالصواب ولا استفهم
إلا عما يستغنيهم عن جهله أما قوله أتحملني أم أحملك
فإنه أراد أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع الطريق
بالحديث وأما قوله أترى هذا الزرع أكل فإنه
أراد هل استسلفه أربابه ثمنه وأما استفهامه
عن حياة صاحب الجنازة فإنه أراد هل خلف عقبا
يحيا بذكره أم لا فلما خرج إلى الرجل حدثه بتأويل

أبنتيه كلامه فخطبها إليه فزوجه إياها فلما عاد إلى
زوجه وخبّروا ما فيهما من الذكاء والفطنة قالوا وافق
شن طبقة فسار مثلا وحكي عن الأصمعي أنه سُئل عن
تفسير هذا المثل فقال أظن أن الشن وعاء من أدم
كان قد تشنن فلما اتخذ له غطاء وافقه ضرب فيه
المثل وأما حداه وبندقة فإنه يقال في المثل المضروب
لمن يفزع بعدوه أو يبلى بنظيره حدا حدا وراءك بندقة
وكان من أصل حداة بأنثى الحداء فرخم في النداء وقيل
اختلف في المراد بهما فقيل هما الطائر المعروف وبندقة
بندقة الرامي وقيل إنهما قبيلتان من سعد العشيرة
فأغارت حداة وكانت تنزل بالكوفة على بندقة وكانت
تنزل باليمن فنالت منهم ثم كرت بندقة على حداة فأبحت
عليهم وروى بعضهم هذا المثل حدا حدا غير مهموز

على مثال عصا ونفا وزعم أنه اسم القبيلة ولعل
قوله لعطاء استكما الحفرة فإنه مثل يضرب لمن يخطي
في مفصله ويضع الشيء في غير موضعه أما قوله
طرمم وبطلنم فمعنى طلنم كره وجهه ومعنى طرمم أطرق وقوله
اخرنطم وبرطم أي غضب مع تعبس وقوله جهجم وغمغم
أي لم يبين الكلام وقيل معنى اخرنطم غضب مع تكبر
ومعنى برطم غضب مع تعبس

المقامة الحادية والأربعون

حكى الحرث بن همام قال أطعت دواعي التصابي في غلواء
شبابي فلم أزل زير الغيد وأذنا للأغاريد إلى أن
وافى النذير وولى العيش النضير فنهضت إلى رشد
الانتباه وندمت على ما فرطت في جنب الله ثم أخذت

في كبح الهبات بالحسنات، وتلافي الهفوات قبل الفوات
فملت عن مغاداة الغادات، الى ملاقاة التقاة، وعن
مغاناة القينات، الى مداناة العبّاد اهل الديانات
وآليت الا اصحب الا من نزع عن الغي، وفاء منشرح
الى الطي، وان الفيت من هو خليع الرسن مديد الوسن
اتأيت داري عن داره، وفررت من عره وعاره، فلما
القتني الغربة بتنّيس، وحلّتني مسجدها الانيس
رأيت به ذا حلقة ملتحمة، ونظارة مزدحمة
وهو يقول بجأش متين، ولسان مبين، مسكين ابن آدم
واي مسكين، ركن من الدنيا الى غير ركين، واستعصم
منها بغير مكين، وذبح من حبها بغير سكين، يكلف
بها لغباوته، ويتكلف عليها لشقاوته، ويعتد منها
لمفاخرته، ولا يتزود منها لآخرته، اقسم بمن مرج

شعر

البحرين، ونوّر القمرين، ورفع قدر الحجرين، لو عقل ابن آدم
لما ادام، ولو افكر فيما قدم لبكى الدم، ولو ذكر المكافاة
لاستدرك ما فات، ولو نظر في المآل لحسّن قبح الاعمال
يا عجبا كل العجب لمن يقتحم ذات اللهب في اقتناء
الذهب، وخزن النشب لذوي النسب، ومن البدع
العجيب، لمن يعظك وخط المشيب، وتؤذن شمسك
بالمغيب، الست تنهى ان تنيب، وتهذب المعيب، ثم
اندفع ينشد انشاد من يرشد، بصوت عال وحلق بال

يا ويح من انذره شيبه ... وهو على غي الصبى منكمش
يعشو الى نار الهوى بعدما ... اصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطي اللهو ويحسبه ... اوطأ ما يفترش المفترش
لم يهب الشيب الذي ما اتى ... ناديه ذو الية الا دهش
ولا انتهى عما نهاه النهى ... عنه ولا بالى بعرض خدش

فذاك ان مات فسحقا له ولن يعش فهو كمن لم يعش
لا خير في محيا امرئ نشره كنشر جيف بعد عمر نبش
وحبذا من عرضه طيب يروح منه نشر رند ورش
فقل لمن قد شاكه ذنبه هلكت يا مسكين او تنتعش
فاخلص التوبة تطهيرها من الخطايا السود ما قد نقش
وعاشر الناس بخلق رضى ودار من طاش ومن لم يطش
ورش جناح الحر ان حصه زمانه لا كان من لم يرش
وانجد الموتور ظلما فان عجزت عن انجاده فاجهش
وانعش اذا ناداك ذو كبوة عساك في الحشر بها تنتعش
وهاك كاس النصح فاشرب وجد بفضلة الكاس على من عطش
قال فلما فرغ من شكاياته وقضى انشاد ابياته نهض
صبي مقدود فاعرى البدن وقال يا ذوي الحصاة
ولا انصات الى الوصاة فقد عمهم الانذار وعمهم

ولا شك انه من نوى منكم ان يقبل ويصلح المستقبل
فليبن بهاي عن نيته ولا يعدل عني بعطيته فوالذي
يعلم الاسرار وبعفو الاصرار لمن يرى لكما ترون
وان وجهي لتوجيب الصون فاعينوني رزقتم العون
قال فهذا الشيخ بما يعطف عليها القلوب ويسني
لنا المطلوب حتى انبط حفره واعشوشب قفره
فلما ان ترع الكيس انصلت يثني ويجد نتيس ولم يجلب
للشيخ المقام بعدما انصاع الغلام فاثبت فعل
الهاني للذ غاد ثم تحاخو الايلفاد قال الراوي فاحتنث
الى لفر اعجمه ولحاح من جهه فتبعته وهو يتبد
في مشيته ولا يلبث رتق صمته حتى اذا امن المفاجي وامكن
التناجي افضت حلمه الى وعلم في ابدا البشاشة على
وقال الا كان ذاك الشويخ ابا زيد لعلمك الى والمعز المتميز

فقال انا فتى السروجي ومخرج الدر من اللجي فقلت
اشهد انك لشجرته وثمرته وشواظ شررته فصدق
كهانتي وارخص ابانتي ثم قال هل لك في امداد البين
ولنتنازع كاس الكميت فقلت له وقلت له اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم فافترق افتراق مضاحك
وعمه غير مماحك ثم بدا له ان يراجع وقال احفظها
عني وعلى امري لا تطرق الراح عنك الاسى وروح القلب واكثب
وقل لمن لامك فيما به تدفع عنك الهم قد كل ابنيب
ثم قال اما انا فسائر الى حيث اصطبح واغتبق
واذا كنت لا تصحب والايام عن طرب فلست لي
برفيق ولا طريق بكل بطاريق فخل سبيلي ونكب ولا
تتشق عني ولا تتعب ثم ولى مدبرا ولم يعقب
قال الحرث بن همام فالتهبت وجدا عند انطلاقه
ووددت لو لم الافتراق

المقامة الثامنة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال لما رمت بي مرامي النوى وما لاح لي
المنى الى ان صرت ابن كل تربة واخا كل غربة الا
اني لم اكن اطأ واديا ولا اشهد ناديا الا لاقتباس
الادب المسلي عن الاشجان المغلي قيمة الانسان حتى
عرفت لي هذه الشنشنة وتناقلتها عني الالسنة
وصارت اعلق بي من الهوى ببني عذرة والشجاعة
بآل ابي صفرة فلما القيت الجران بسمرقند واصطفيت
بها الخلان والجيران تخذت انديتها معقدي وحومتي
فكاهتي وسمري فكنت اتعهدها صباح مساء واظهر
فيها على ما سر وساء فبينا انا في نادي مشهود ومحفل
مشهود لم تخشم لدياتهم عليهم تخيا نجبة

يلقي بلسانٍ ذلقٍ ثم قال يا بدور المحافل ونجوم المواقف
وقد تبين الصبح لذي عينين وناب العيان مناب
عدلين فماذا ترون فيما رأيتم أتحتمون العقد أم تأذنون
إذ يدعونه فقالوا له تالله لقد غضبت ورحت لمن شط
فتعصبت فناشدهم الله عمادا أصدقهم حتى استوجب
ردهم فقالوا له كنا نتناضل بالآل لغار كما يتناضل
يوم البرار فما لك لمن شعبت من المنضول الحق هذا
الفضل بشرط الفضول فلبّيه لبشر القوم وحيوه
يا منية اللوم ولحدّ منه يتنصل من هفوته ويتندم
على فوهته ثم مضوا على حول الخدمة ويلقون
لداعي منابذته إلى الكر قال لهم يا قوم لن الاحتمال
من كرم الطبع فعدوا واعن اللذع والقذع ثم قال
هلموا إلى أن نلغز وحكم المبرد فيلكن عند ذلك

توقدتهم وأخللت عقدتهم ورضوا بما شرط عليهم ولهم
واقترحوا أن يكون الرهن لهم فأمسك ريثما يعقد
شسع أو يشد نسع ثم قال استمعوا وقيتم الطيش
ولقيتم العيش وأنشد ملغزا في مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعلة ولكن على إثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها على أنه في الاحتثاث رسيلها
ترى في أوان القيظ تنطف بالندى ويبدو إذا ولّى المصيف نحولها

ثم قال هاكم يا أولي الفضل ومراكز العقل وأنشد
ملغزا في حابول النخل

ومنتسب إلى أم تناسى أصله منشأها
بحاضنها وقد كانت نفته زمانا عن كفالتها
ييبو بنو صد الجاني ولا يلحي ولا ينهى

ثم قال دونكم الحجية
العقم المعتكرة الظلم وأنشد ملغزا في القلم

وما حوته بغرق الإمام كما باهت بصحبته الكرام

له إذ يرتوي طيلسانٌ صادٍ ويبكي حين يعروه الحِمامُ
ويُذري حين يستعلي دموعًا يروق كما يروق الابتسامُ
ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما قيل
وأنشد ملغزًا في الميل وما ناكحٌ أختين جهرًا وخفيةً
وليس عليه في النكاح سبيلُ متى يغشَ هذي يغشَ في الحال هذه
وإن مال بعلٌ لم يجده يميلُ يزيدهما عند المشيب تعهّدًا
وبرًّا وهذا في البعول قليلُ ثم قال وعليكم بهذه يا أولي
الألباب مقتادًا للألباب وأنشد ملغزًا في الدولاب
وجافٍ وهو موصولٌ وصولٌ لمن ليس بالجافي
غريقٌ بارزٌ فاعجب له من راسبٍ طافي
يسحُّ دموعَ مهضومٍ ويهضم هضمَ متلافِ
ويُخشى منه حدّتُه ولكن قلبُه صافي
قال فلما دُشّي بالخمس التي نسّق قال يا قوم تدبّروا

ثم رائيكم وضمنة الدليل أو مراد ذا بأمر الحمل قال فاستغرقت
القوم شهوة الرّباب على ما أشير بوادر البلادة فقالوا
لو لم نرد فقادف حدك لبحثنا عن أسنة أزندك
فإن أممت عشواءً فمن عندك فاهتزّ اهتزاز من فلج
بتمته وانحزّ أحصمه ثم افتتح النطق بالبسملة
وأنشد ملغزًا في المرملة ومسرورة معمومة طلعة غيرة
وما بي ما بي بها السرور ولا الهم تعرب للعيا ما العلن بينها
وكم ولدٍ لو رآه طلّقت لأم وشعد للحيا ما وطال عهدها
وإبعادها من لم يحل عهد ظلم إذا قصر الليل أسلت وصالها
ولن طال فالإعراض عن وصلها نعم لها ملبس بادٍ أبوّ مبطن
بما يدني لكن ما يدري الحكيم كسرٌ عن أبنائه
الصغر وأنشد ملغزًا في الظفر ومرموق السناء ما موضا
على في العرف دون الحرف ما يمع وصفه وأعجب ثم تجاوز

تخازُرَ العقرب، وأنشد ملغزاً في طاقة الكبريت

وما محجورةٌ تُدني فتُقصي ... وما منها اذا افترقت بُدّ

لها رأسان شنيهمان جدًّا ... وكلٌّ منهما للآخر ضدّ

تعذّب للرُّمّة خضبا وتلغى ... اذا عدّا الخضاب ولا العدّ

ثم تمخّط تمخّط القَرم، وأنشد ملغزاً في حبل الكرم

وما شيءٌ اذا فسدا ... تحوّل غيُّه رشدا ولزعوراق اوصافا ابا الشرّ

زكيّ العرق والدُه ... ولكن بئسما ولدا

ثم اعتضد عصا التسيار، وأنشد ملغزاً في الطيار

وذي طيشةٍ شقّه مائل ... وما عابه بهما عاقل

ترى ابدا فوق عُلّيّة ... كما يعتلي الملك العادل

تساوى لديه الحصا والنضار ... وما يستوي الحقّ والباطل

وأعجب اوصافه لن ترف ... كما ينظر الكيّس الغافل

تراضى الخصوم به حاكما ... وقد علموا انّه مائل

قال فظلّ القوم تهيم في أودية

الأوهام، وتجول جولان المستهام، الى ان طال الأمد، وعجز الجلد

فلمّا رآهم يبدون ولا يسدون، ويستنفضون النهار بالمنى

قال يا قوم الامَ تنظرون، وحتّامَ تنتظرون، ألم يأن لكم

لاستخراج الخبء، واستسلام العيّ، فقالوا انا لله لقد

أعوصت، وقصبت الشرك فقنصت، فتحكّم كيف شئت

من الغنم والصيد، فقرض عن كلّ معمّى قرضاً، واستخلص

منهم نضاضتهم، فنجح لإقفاله، وهمّ لإغفاله، وحاول الإجفال

فاعتلق به مدره القوم، وقال لا لبث بعد اليوم

فاستنبئ قبل الارتحال، وهبنا متعة الطلاق واطرق

حتى قلنا مريب، ثم أنشد والدمع يجيب

سروج مطلع شمسي ... وربع لهوي وأنسي

لكن حُرمت نعيمي ... بها ولذّة نفسي

واعتضت عنها اغترابا ... أمرّ يومي وأمسي

طاوي حُفرة بادحي ... يوماً بنجد ويوماً

بالشام أضحي وأمسي ... أزجي الزمان بقوتٍ

لذّ نعسي

وزاد لعيسي

متعني معنى

ولا ابيت وعندي قلبي من ذي بغلبي ومن يعش سار عشى نار ع اخرج

ثم انه احتبس خلاصة النقد وبدد صاربا في الارض

فناشدناه ان يعود استيفاء الوعود ولا ابكر باخ

المقامة الثالثة والاربعون

اخبر الحارث بن همام قال هفا بي البين المطرح والسير المبرح
الى ارض يضل بها الخريت ويفرق فيها المصاليت فوجدت
ما يجد الحائر الوحيد ورأيت ما كنت منه احيد الا اني
شجعت قلبي المزؤد ونسأت نضوي المجهود وسرت
سير الضارب بقدح المستسلم للحين ولم ازل بين
وخد وذميل لجارة ميل بعد ميل الى ان كادت
الشمس تجب والضيا يحتجب فارتعت لاظلال الظلام
واقتحام جيش حام ولم ادر اكفت الذيل وارتبط

ام اعتقط الليل واختبط وبينا انا اقلب العزم وانخل
الحزم تراءى شبح على جمل جسيد بجبل فرجيته
فعدة مريح وقصدته قصد منيح فاذا الظن كهانة
والقعدة عبرانة والمريح قدار ذلك بحاده والكحل
بن قادم فجلست عنده راسه حتى هب من نعاسه فلما ادرك
سير لجاده ولحق بمن فاجاه نفر كما ينفر المريب وقال
اجارك ام الذيب فقلت بل حايط ليل ضل الحلك فاسفر
الى اقدح لك فقال لتسر عنك همك فرب اخ لم يلده امك
فانسرى عند ذلك الشفاق وسرى العيش الى الاماق فقال
عند الصباح يحمد القوم السرى فهل لك فيما ارى
فقلت اني لا اطوع لك من حذائك واطوع من علايك
فصدع بتحبيبي وتبجح بصحبتي ثم اهملنا مجدين
واوغلنا مدلجين ولم نزل نعاني السرى ونعاصي الكرى

الى أن بلغ الليل غايته، ورفع الفجر رايته، فلما أسفر الفاضح
ولم يبق إلا واضح، توسمت رفيق حلاقي وسمير ليلتي، فإذا
هو أبو زيد مطلب الناشد ومعلم الرائد، فتهادينا تحية
المحبين إذا التقيا بعد البين، ثم تباثثنا الأسرار، وتناثثنا
الأخبار، وبعيري يتخبط من الكلال، وراحلته ترقل رقيف
الرأل، فأعجبني اشتداد أسرها، واستبد الحصيرها ولهذا
لتستنبع جوهرها، ولسائله من أين نجرها، فقال إن لهذه
الناقة خبرا حلو المذاقة، مليح السياقة، فإن أحببت
إسماعه فأنخ، وإن لم تشأ فلا تنفخ، فأنخت لقوله بغوى
وأعرته السمع لما روى، فقال اعلم أني لمعرضها
بحضرموت كاسدة تحصيلها المهرة، وما زلت أجوب
عليها البلدان، وأطير بها الطيران، إلى أن وجدتها عند
أسفار، وعلى قرار، لا يلحقها العثار، ولا تواهقها جناه

وإنها هي كل الحياة فأرصدتها للخير والشر، وحملتها
محمل البر اليسير، فاتفق لي أن ندت منذ مدة وطال طوالها
فعدمت فاستشعرت الأسف، واستشرفت التلف
وتشبثت كل ريح سلقة، ومكثت ثلاثا لا أستطيع
انبعاثا، ولا أطعم النوم إلا حثاثا، ثم أخذت في استقراء
المسالك، وتفقد المناخ والمبارك، وأنا لا أستنشي
منها ريحا، ولا أبتغي بابتسامها نجحا، وكلما ذكرت عطاءها
في السير، وإنباءها بالمبارة الطير، لا أعني الأذكار
وليتني ونيت الأفكار، فبينما أنا في جوار بعض الأحياء إذ
سمعت من شخص متبعد، وصوت متجرد، من قلت
له مطيته حضرمية، وطيبة جلدها مدوسم، وعن كاهلها
على جسم وزمامها قد ضفر، وظهرها كان قد كسر ثم جبر
تجوب المناشية وتغبر الناشية، وتقطع المنافة

المأربية وترك ان أبدّلك مداينة لا يعتورها الونى ولا
يعترضها الوجى ولا تحوج الى العصا ولا تعصى فقمت عنها
قال ابو زيد فجذبني الشوق الى الصابية وشرّ الى بذل
القاربة فلما افضيت اليها وتكلمت عليه فقلت له سلّم المطية
وتسلّم الخطية فقال ذا مطيتك عفوا خطيئتك فقلت
ناقة جسمها كالهضبة وذروتها كالقبّة وحلبها
ملء العلبة وكنت اعطيت بها عشرين حين جلبت
يبرين فانسة ذو الذي اعطاه ودرّبانه فدا خطّا
قال فاعرض حين سمع صفتي وقال لست بصاحب لمطيّ
فاخذت بتلابيبه واصررت على تكذيبه وهممت بتمزيق
جلابيبه وهو يقول يا هذا اما مطيتي بطلبك فاكفف
من غربك وحد عن سبيلك والا فانهضني الى قاضي هذا
الحي البريء من الغي فان اوجبها لك فسلّم ولو بريّا لها

عنك فلا تتكلم فلم اردد واقضيني ولا اسامح غصتي
الا لمرأى الحكم وقولكم فانخرطنا الى شيخ ركين المضبة
أنيق العصبة يونس منه سلوك الطرائق وان لبس
لإجابة فانتدأت بظلم وانا لم وصاحبي مصرم
لا يبرم حتى اذا انثالت لنا بيّنة وقضيت من القصص
ايانيّ ابرز نعلا رثّة الوزن محذوقة تمليكا
الحزن وقال هذه التي عرفت واياها وصفت فان كانت
هي التي اعطى بها عشرين وكان متوهم الميسر بين فقد كذب
في دعواه وكبر ما افتراه اللهم الا ان يهتد على الملأ
ويبيّن صدق ما قاله فقال الحكم اللهم غفرا
وجعل يقلب المحذوّ بطنا وظهرا وقال اما هذه النعل
فنعلي واما مطيتك ففي رحلي فانهض لتتسلم ناقتك
وافعل الخير بحسب طاقتك فنهضت فقلت اقسمت بالبيت العتيق ذي الحرم
والطائفين العاكفين في احرم

انك نعم من لبيب تحكم وخير قاض عن كل اغارب حكم
فاسلم ودم دوم المكارم والنعم فاجاب من غير روية
ولا عقد نية وقال جزيت عن شكرك خيرا يا ابن عم
اذ لست استوجب شكرك انما شر الملام من اذا استقضي ظلم
ثم من لست عني فلم يرع الحرم فذلك الكلب سوا في القيم
ثم انه تقوض بين يدي من سلم الناقة الي ولم يجمجم
فابنا على فرحنا اجر ذيل الطرب نجح الارب اول العجب
قال الحرث بن همام فقلت له بالله لقد اطرفت وبهرت
بما عرفت فناشدتك الله هل لقيت اعجب منك بلاغة
واحسن للفظ صياغة فقال اللهم نعم فاستمع
وانعم كنت عن قصد عرضت على المراة الحنة طعيشة للكهل
الى معيشة تحيى تعبر الحطة وكاد الامر يستنفت
افلت فكي المتحرز من الوهم المتاتل كيف سقط اللحم

وبت ليلتي اناجي القلب المعذب واقلب العزم المذبذب
الى ان اجمعت على ان استخير واشاور اول من ابصر
فلما قوضت الظلمة اطنابها وولت الشهب اذنابها
غدوت غدو المتعرف ابتكرت ابتكار المتعيف فانبرى
الي يافع في وجهه شافع فتيمنت بمطلع البهج
واستفتحت بابي في التزويج فقال اتبغيها
عوانا ام بكرا فقلت اختر لي ما ترى فقد
القيت اليك العرى فقال اني التبيين وعليك التعيين
فاسمع انا افديك بعد دفع اعاديك اما البكر فالدرة
المخزونة والبيضة المكنونة والثمرة الباكورة
والسلافة المدخرة والروضة الانف والطوق
الذي لم يفك لم يدنسها لامس ولا استغشاها
لابس ولا مارسها عابث ولا وكسها طامث ولها الوجه

لَحِيٌّ والطَّرْفُ الخفيُّ واللسانُ العييُّ والقلبُ النقيُّ
ثمّ هي الدُّمْيةُ الملاعِبةُ واللُّعْبةُ المداعِبةُ والغزالةُ
المغازِلةُ والمُلْحةُ الكامِلةُ والوِشاحُ الطاهرُ
والنسيبُ والضجيعُ الذي يُنَشّي ولا يُشيبُ أمّا الثيّبُ
فالمطيّةُ المذلَّلةُ واللُّهْنةُ المعجَّلةُ والبُغْيةُ
المسهَّلةُ والطَّبّةُ المعلِّلةُ والقرينةُ المتحبِّبةُ و
الحليلةُ المتعرِّبةُ والصَّناعُ المدبِّرةُ والفَطِنةُ المجرِّبةُ
ثمّ إنّها عُجالةُ الراكبِ وأُنشوطةُ الخاطبِ وقُنْعةُ العاجزِ
ونُهزةُ المبارزِ عريكتُها ليّنةٌ وعُقلتُها هيّنةٌ ودخلتُها
متبيّنةٌ وخدمتُها مزيّنةٌ وأُقسمُ لقد صدقتُ في
النعتين وجلّيتُ المخايرة فبأيِّهما هامَ قلبُكَ وعلا رأيُك
فأمّا بك قال أبو زيد فرأيتُها جُنّةً تُبعِدُها المراجمُ
وتُدمي منها المحاجمُ إلّا أنّي قلتُ له كنتُ سمعتُ أنّ

البِكرَ أشدُّ حبًّا وأقلُّ خِبًّا فقال قد لعمري قيل هذا
ولكن كم قولٍ آذى وجلا أمّا هي المُهرةُ الأبيّةُ العِنانِ
والمطيّةُ البطيئةُ الإذعانِ والزَّندةُ المتعسِّرةُ الا
قتداحِ والقلعةُ المستصعبةُ الافتتاحِ ثمّ إنّ مؤونتَها
كثيرةٌ ومعونتَها يسيرةٌ وعِشرتَها صلِفةٌ ودالّتَها
مُتلِفةٌ ويدَها خرقاءُ وفتنتَها صمّاءُ وعريكتَها خشناءُ
وليلتَها ليلاءُ وفي رياضتِها عناءٌ وعلى خبرتِها غطاءٌ
وطالما أخزت المنازلَ وفركت المغازلَ لحقدة الهازلِ
وأضرعت العَبِقَ البازلَ ثمّ إنّها تقول أنا البِكرُ والجليسُ
فاطلبْ مَن يُطلقُ ويحبسُ فقلتُ له فما ترى في الثيّبِ
يا أبا الطيّبِ فقال ويحك أترغبُ في فضالةِ المآكلِ
وثمالةِ المناهلِ واللباسِ المبتذلِ والوعاءِ المستعملِ
والذوّاقةِ المتطرّفةِ والخرّاجةِ المتصرّفةِ والوقاحِ

المتسلطة والحنكة المستخطة ثم كلمتا كنت فصرف
وطالما بغى على منصرف شتان بين اليوم وأمس
وهيهات أين القمر من الشمس ولكن تبا للحنانة البزول
أو الطماحة الهلول فهي الغل الغال والجرح الذي
لا يندمل فقلت له فهل لي أن أرغب في سلك هذا
المذهب فأنهض في انتجاع المعوز عند ذلك المناديب
ثم قال ويلكما تعتدي بالرجحان الحق قد استبان
أن لكما قولهن زابك وشنالكم ولا لك إلا ما سمعت
بلا رهبانية في الإسلام والحديث منالج نبيك عليه وآله
أزكى السلام ثم أما تعلم أن القرينة الصالحة ترب
بيتك وتلبي صوتك وتغض طرفك وتطيب عرفك وبها
ترى قرة عينك وريحانة أنفك وفرحة قلبك وذخيرة
يومك وغدك فكيف رغبت عن سنة المرسلين ومتعة

المتأهلين وشرعة المحصنين ومجلبة المال والبنين
والله لقد ساءني فيك ما سمعت منك ثم أعرض إعراض
المغضب وازور ازورار المغضب فقلت له قاتلك الله
انطلق مستحيا أو تذرني منتحيا أتقول أخلتك تدعي
الخبرة لتخلد عمرك وتبتغي عن المعرة فقلت
له نحى الله ظنك ولا أشمت قرنك ثم رجعت عند راح
الحرباء وبعث عرض درة الصبيان قال الحرث
بن همام فقلت له أقسم بمن أنبت الأيك إن الجدال عنك
والإفك فأغرب في الضحك وطرب طربة المنهمك ثم قال
العق العيد ولا أنسل فأخذت أستميت في مدح الأدب
وفضل ذي على أنسب وهو ينظر علي نظر
المتجاهل ويغضي عني إغضاء المتساهل فلما أفرطت
في العصبية للعصبة الأدبية قال صه واسمع مني وافقه

يقول لمن انّ جمال الفتى وزينته لعب راح ولكان عرّب
ومن طوده سودد شامخ و اما الفقير فخير له من الادب
القرص والكامخ واي جمال له لمن يقال اديب يعلم او ناسخ
ثم قال ستبصح لك صدق لهجتي واستنارة حجتي وسرنا
لا نألو جهدا ولا ننفق جهدا حتى اذا انا السير الى
قرية عزب عنها الخبر فدخلناها للارتياد وكلانا
منفض من الزاد فلما لن بلغنا المحط والمناخ المختط
اذ لقينا غلاما لم يبلغ الحنث وعلى عاتقه ضغث فحياه
ابوزيد تحية المسلم وساله وقفة المفهم فقال عم تسال
وفقك الله قال ايباع ههنا الرطب بالخطب قال لا والله
قال ولا البلح بالملح قال كلا والله قال ولا التمر بالسمر
قال هيهات والله قال ولا الدقيق بالمعنى الدقيق قال
عدّ عن هذا اصلحك الله وليتخلى ابوزيد ازاح البوال

ولا الجرايب بالغرايب لحج العلام بابل الشوط
بطين والمنهج شوبطين فقال حسبك يا شيخ فقد
عرفت فنك ام استثبت ايكل يجذا لجلب ضبرة والكف
بد حبرة اما بهذا المكان فلا يشترى الشعر بشعير
ولا النثر بنثارة ولا القصص بقصاصة ولا الر
سالة بغسالة ولا حكمة لقمن بلقمة ولا اخبار الملاحم
بلحمة واما جيل هذا الزمان فما منهم من يمنح اذا
صبيغ له المديح ولا من يجيز اذا نظمت له الاراجيز
ولا من يغيث اذا اطربه الحديث ولا من يمير ولو انه
امير وعندهم ان مثل الاديب كالربع الجديب ان لم
يجد الربع ديمة لم تكن له قيمة ولا دانته بهيمة
وكذا الاديب ان لم يعضده نشب فدرسه نصب
وحطبه حصب ثم انشد يغدو وولى يحذو فقال

فقال لي أبو زيد اعلمْ أنّ الأدب يا دُوَد لك أنضاره
الأدبار فنبوت لذ يخز البصيرة وسلّمت لذ يحكم
الضرورة فقال دعنا الآن من المصاع وخذ من حديث
القصاع واعلم أنّ الأجاع لأشبع من جائع فما
التدبير فيما يبل الوحى ويطفي الجحيم فقلت الأمر
للبكر الذي زمام بيديك فقال أرى أن نوهن شيقك
لنُشبع جوفك وضيفك فناولنيه وأمر لا انفلت
إليك مما تلبغم فأحسنت به الظن وقلدته السيف
والزهد فما لبث أن ركب الناقة ورفض الصدق و
الصداقة فمكثت مليّاً أرقبه ثم نهضت أتعقبه
فكنت كمن ضيّع اللبن في الصيف لم العنز ولا الحيف

المقامة الرابعة والأربعون

حكى الحارث بن همام قال عشوت في ليلة داجية الظلم
فاحمة اللمم إلى نار تضرم على علم وتخبر عن كرم و
كانت ليلة جوّها مقرور وجيبها مزرور ونجمها
مغموم وغيمها مركوم وأنا فيها أصرد من عين
الحرباء والعنز الجرباء فلم أزل أنضي عيسي وأوالي
طوبى لك لنفسي إلى أن نظر الموقد إليّ وتبيّن إرقالي
فانحدر يعدو وانجر يجري وينشد أرجوزا
حُيّيت من خابط ليل ساري دلّ عليه بل هداه ضوء النار
إلى رحيب الباع رحب الدار مرحّب بالطارق المنتار
ترحاب جعد الكف بالدينار ليس بلمّاز ولا عوّار
وللعقام الفخري مجار إذا اقشعرت رَبَّة وطار
وضنّت الأنواء بالأمطار فهو على بؤس الزمان الضاري
جم الرماد مرهف الشفار لم يخل من ليل ولا أسحار

من تحرٍّ واردٍ واقتداح زنادٍ ثمّ تلقّاني بمحيّا حيي
وصافحني براحةٍ اريحيّةٍ واقتادني الى بيت عناء
بخوره اعشاره يعودونه لا يدعونه زوره وهو ابدًا قد دوره
وباكنافه اضيافٌ قد جلبهم حبالي وتلبّوا في مالي
وهم يجتنون فاكهة الشتاء ويرجون مرح ذوي
الغناء فاخذت باخذهم في الاصطلاء ووجدت لهم
وجدا بالتمر بالاطلاء ولمّا ان سرى الخصر واسرى
الخصر ابتنا بعوايد كالهالات ذودا والروضات
نورًا وقد تحرّر باطعمة الولائم وجهّزت من الغرائب و
اللائم فوضنا ما فيها في البطنة ورأينا الامعاء
بتطامن الفطنة حتى اذا اكلنا ما صاع الحلم ولشبعنا
على خطر التصر تعاونا مسوس الغمر ثمّ نبوا ما متعاهد
التمر ولقد كلّ منها بسول البنان ويتشرها في

ومه

حتوا من ما عدا اشتباه ما شفها فوداه محكوا لها برداه فاشتد
ريض حجرة واوسعنا مجرة فتعاطينا تحتيت المليس وجعلنا
المعد وزبيد حوتين الا انا التاتا الفول وحبنا من المالح
العول وكلما رمنا ان نقبض كفا وضنا او نقبض فيما افضنا
اعرض اعراض العليم عن ارذلين وتلا ان هذا الا
اساطير الاولين ثم كان الحمية كاجنة والنفس لا ميه
ناجته فذلف وازدلف وخلع الصلف وبذل التطلاق
ما سلف ثم استدعى جمع السامر واندفع كالسيل الهامر وقال
عنّي اعاجيب ارويها بلا كذب عن العيان فكنّوني ابا العجب
رأيت يا قوم اقواما غداؤهم بول العجوز وما اعني ابنة العنب
بول العجوز لبن اللقوح والعجوز ايضا من اسماء الخمر
وكاتبين وما خطّت انا ملهم حرفا ولا قرؤا ما خطّ في الكتب
الكاتبون الخارزون يقال كتب السقاء والمزادة اذا خرزها

وثابتين عقابا في جيابهم على نكبهم في النصر والنلب

العقاب لراية وكانت راية النبي صـ تسمى العقاب

ومسندين ذوي نبل يدف لهم بنبلة فاشتوا منها الى الهرب

النبيلة الجيفة ومنه نبلت البعير اذا مات واروح

وعصبة لم تر البيت العتيق وقد حجت جنيبا بلا اشك على الركب

معنى حجت جنيبا التي غلبت بالحجة مجادلين جاثين على الركب

ونسوة بينما اذ لحن مرطب صيحن كاظمة من غيرما سبب

كاظمة في هذا الموضع كاظمة الغبيط

ومد لجين سعروا امن ارض كاظمة واصبحوا حين لاح الصبح في حلب

وفادرين منهما ما صنعهم ان قصروا فبغالوا الذئب للكلب

وبافعالم بلا امس قط غايته شابه وله قبل من العجب

وشايبا غير مختضب للشيب بدا في البدو وموقي التي لم تشب

ومرضعا بلبان لم يفد فمه رابية في مجار من التعب

الطرب

وزائر عاد درمه حتى اذا حصدرت صار من غيرا بهوا كالخوا

وزاكيا وهو مغلول على فرس قد غل ايضا وما ينفك من خبب

وذا يد طلق يمشي اكراحله مستعجلا وهو ما سور الى كرب

وجالسا لم يشبا نهوى حطيبته يرويها بالذي اورد من ريب

وخاطبا كاخذعم الكعبي ذي الخرب فان عجبتم فكم في الخلق من عجب

وذا انبساط كصدر الرمح قامته صاحبته بني بكر من الخشب

وساعيا في سراب لانام يرى اقرائهم كما كالظلم والكذب

ومعجبا عنا جاة الرجال له وما له غير شيء الخلق من ارب

وذا ذمام وفت بالعهد ذمته ولا ذمام له في مذهب العرب

وذا فوى ما استبانت قط لبنيه وليته من نبين غير محتجب

وساجدا فوق نخل غير مكترث بالتي يراه افضل القرب

وعاذرا وهو لم يبرح ان يعذره مع الله وفي المعذور في حجب

وبلدة ما بها الا المعترف والماء يجري عليها جاري منسرب

التلب

وقربة دون الغوص القطا نجت بذيلهم عيشهم من حلسيا

وكوكبا يتوارى عند دوبيه الانسان حتى يكاد في اشنع الحجب

ووردتها فوجدت كالآله حظر ونفس صاحبها بالمال لم تطب

وصحيفة من نضار خالص شربت بعد المكارم بغراط في الذهب

وحيشا بخشخاش لبد قمع ما اظلم اعاديه فلم تجب

وطالما مر بي كلب وفي فمه ثور ولكنه ثور بلا ذنب

وكم رأى ناظري فيلا على جمل وقد تورك فوق الرحل والقتب

وكم لقيت بعرض البيد منكبا وما المتنكي وطئ من جد ولا لعب

وكم قد انصرف لى آل الراعية بالذو ينظر من عينين كالشهب

وكم رأت مقلتي عينين ما وما تجري من الغرب والغسان في حلب

وصارعا بالعنا من غير لم علقت كفاه شوكا بوجع لاوكم ينب

وكم نزلت بارض لا نجاز بها وبعد يوم رايت البر في الغلب

وكم رأيت باوطار القلا طبقا يطير في الجو منصبا الى صبب

وكم مشائخ في الدنيا ابيتهم محلبين من بحوس العطب

وكم بدالي وحشي يشتكي سغبا عنطوذ لو اعفى من الغضب

وكم دعاني حبيبي محادثتي وما الحذر وما الخلب بالادب

وكم انحت فلوصي تحت جبلة نظلا ما تبين من بخي ومن عرب

وكم نظرت الى عمرو ساعته ودمعه ينهل القطر كالسحب

وكم رأيت قميصا ضر صاحبه حتى انثني واتي اعضاء العصب

وكم اثارة لولم الدهر أتلفه لجف لبد حنيث الشيء مضطرب

هذا وكم من افانين معجبة عندي وكم ملح تلهي وكم نخب

ولم نشاهدهم فان العار فيه علي من لا يميز بين العود والحطب

وناولهم حارضيه مهولهوينا لهو الحلى بالنجح وهو يقول

ليس هذا بعشك فادرجي الى لم تغير الناح وابتكم

كار نتاج فالفينا البدا لمفازة وخطفنا منه كا فاه فو

فقلنا بين الطمع واليأس وقال لا باس قال لا باس

فعلمنا أنه ممن يرغب في الشكم ويرتشي في الحكم وساءنا إباء
حيثوا أما لمن تحرص للغرم أو تخيب بالرغم فأحضر ناقة عيدية
وحلبة سعدية وقال لأخذتهما حلالا ولا إثر أضيافي
زيالا فقال اشهدوا أنهما سيئتان لمن جبته وإن نحبه
طائفية ثم قابلنا بوجه يشرق ونظرة ترق
وقال يا قوم إن الليل قد اجلوذ والنعاس قد استحوذ
فافزعوا إلى المراقد واغنموا راحة الراقد لتستبوا
نشاطا وتبعثوا نشاطا فتغدوا أفرس وتستهل لكم
المتعسر فاستصوب كل ما رآه من توسيد وسادة الكرى فلما
وسنت الأجفان واغتمضت الضيفان وثب إلى الناقة فحطها
ثم أرحلها ورحلها وقال مخاطبا لها
سروج يا ناق فهي داري وخيمي ادلجي وأوّبي وأسئدي
حتى تري ظلالها مرعى كالندى فنعمى جيئة وبعدي

وما مني لمن يشمي ويجلي أبي فذلك النوق حنوة الجهدي
وأقسمي إذا لم تفقد تفقد أفيلي فأقسمي بالشيخ عند المورد
وإن تخطي دون ذاك المقصد فقد حلفت حلفة المجتهد
بحرمة البيت الرفيع العمد لتكثرن لك التي في البلد حلت حتى تحل الولد
قال فعلمت أنه السروجي الذي إذا باع ابتاع وإذا أملأه
الضاع أضاع ولما انبلج صباح اليوم وهب النوام
من النوم أعلمتهم أن الشيخ حين أغفا ثم السار
طلقهم البتات وركب الناقة وفات فأخذهم من الغم
ما قدم وما حدث ونسوا ما طاف منه بما خيب فتفرقنا
أفرقنا في كل متعب وذهبنا تحت كل كوكب قال
الشيخ الإمام الأجل أوحد أبو محمد القسم بن علي الحريري رحمه الله
قد فسرت سر كل لغز تحته ولم أبعد على من يقرؤه كشفه
وقد بقيت ألفاظ لم تشتمل عليها هذه المقامة لما

النفس تقبيرها على بعض من بعنع البد فاحببت ايضاحها لئلا
يلقى حيرة الشبهة وكلفة الفكرة ووصمة البحث
والمباكة وبالله نعم الاستعانة والتوفيق والعون
قوله عشون الى النار يعني تنورونها فتقصدونها
فان لم تقصدها قلت عشون عنها كقوله تعالى ومن يعش
عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا اي من يعرض قوله
وكنت اصرد من عنز الجرباء والعنز الجرباء هذان مثلان
يضربان لمن يبلغ منه البرد وذلك لان الحرباء تدور
ابدا مع الشمس وتستقبلها بعينها والى هذا اشار ابن الرومي
فما بالها قد حسنت ورقيبها ابدا قبيح قبح الرقباء
ما ذاك الا انها شمس الضحى ابدا يكون رقيبها الحرباء
والعنز الجرباء لانه في الشتاء لقلة شعرها وذكر
بعضهم ان العنز الجرباء تصحيف المثل الاول قوله

يتحيران يعني الجمل المكتنز شحما الكثير لحما قوله
عشار تخور واعشار تفور العشار النوق الحوامل
والعدد كالعشراء وهي التي اتى عليها في الحمل عشرة اشهر
والاعشار البرمة العظيمة كانها شعبت لعظمها يقال
برمة اعشار وجفنة اكسار وثوب اسمال وبرد
اخلاق وحبل ارمام فوصفوا الجماعة فيها كالوصف الواحد
وقوله وفاكهة الشتاء كنى بها عن النار ومنه قول
بعض المحدثين النار فاكهة الشتاء فمن يرد اكل
الفواكه شاتيا فليصطل ان الفواكه في الشتاء
والنار للمقرور افضل ما كان وقوله حوائد كالهالا
يعني دارات القمر ودارة الشمس تسمى الطفاوة قوله
منشوش الغمر يعني المنديل يقال مش يده بالمنديل اي
مسحها ومنه قول امرئ القيس نمش باعراف الجياد اكفنا

اذا نحن قمنا عن شواء اضبة وقوله شيبا وداه
لتي صار عن الشيب في لون لا شهب ومنه قول امرء القيس ايضا
قالت الخنساء لما جئتها شاب بعدي راس هذا واشهب
وقوله ربض حجرة يعني ناحية ويقال في المثل لمن يتارك
في الرعاء ويجانب عند البلاد برتع وسطا وربض حجرة
وقوله قرابته على مجمع السامر يعني السمار لان السامر اسم على الماء
للجمع كالحاضر اسم للحي النازلين وكالباقر اسم لجماعة
البقر وقال بعض اهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها
واشتقاق السامر من السمر وهو ظل القمر ماخوذ
من السمر فلما كان غالب احوال السمار انهم يتحدثون
في ظل القمر اشتق لهم اسم منه والى هذا يرجع قولهم لا الكلم
اكلمه القمر والسمر وقوله ليس بعشك فادرجي هذا
مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له والعش ما يكون في شجر

فان كان في حائط او كهف جبل فهو وكر قال بعضهم العش
في الكن والوكر في الشجر والوكن في الجبل والجدار والافحوص
على وجه الارض وقوله لا ابساس قبل الابساس هذا
مثل ايضا ومعناه ينبغي ان يونس الانسان ثم يكلف و
اصله ان الحالب للناقة يونسها حين يروم حلبها ثم
يبش بها للحلب والابساس ان يقول لها بس بس لتسكن
وتدر وتسمى الناقة التي تدر على الابساس البسوس
وقوله يرغب في السلم لتسلم ما اعطيته على سبيل
المجازاة فان اعطيت مبتديا فهو الشكد وقال الراجز
شكدي عتيد وكذاك شكدي للشر والخير بفناء عندي
فانظر اذا استذنبت ماذا ابتدي كالارض مهما ينثو دعا تبتغي
قوله سناء ابا مثوانا يعني المضيف الذي اوى اليه
وثووا عنده وقوله ناقة عبرية قيل انها منسوبة

الى عجل منجب اسمه عبيد وقيل هي منسوبة الى نجد من عجل
فقال الهيثم عبيد بن لامي اى على فرس العامري اى ابن مهرة وكانت
مهرة وعبيد نجدا لمن نجايب ابل فنسبت اليهما وقوله
حلة سعيدية هي منسوبة الى سعيد بن العاص وكان رسول
الله صلى الله عليه واله كساه وهو غلام حلة فنسبت جنسها
اليه وقوله لا تزد الا اضافني زبالا اى لا اثر ولم شيا
ولو قل والاصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها
وقوله شنشنة اخزمية لشار الى المثل الذي
ضرب به جد حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن اخزم
الطائي حين نشأ حاتم ونقيل اخلاق جده اخزم
في الجود فقال شنشنة اعرفها من اخزم وتمثل بعقيل
بن علفة حين قال ان بني رملوني بالدم
من يلق ابطال الرجال يكلم شنشنة اعرفها من اخزم

ومن ادعى لمن المثل القعدد سماقيه وقوله الحلوبة لى ابيرع
في الذهاب وحثلة العروط وقوله وتجالى الناقة في
حلها بمعنى شد عليها الرحل وبه سميت الراحلة انها
فاعلة بمعنى مفعول له كقوله تع في عيشة راضية
اي مرضية وقوله نهمن ناكه ذا فوق اي مفوق والراحلة
تقع على الناقة والجمل ودخول الهاء فيها للمبالغة
مثل داهية وراوية وقوله لم تحلها اي ركبها
وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فركب الحسن عليه
فابطا في سجوده فلما قضى صلوته قال لمن ابني ارتحلني
فكرهت ان اعجله وقوله رحلها الى ان عجها وانخها
وجد بها في الرحيل ومنه الخبر تخرج عند اقتراب
الساعة نار من قعر عدن ترحل الناس وقوله فادلجي
واوني واسيري لادلاج ان تسير الليل والاسم منه

الدَّلجة بفتح الدال والادلاج بالتشديد ان تسير
من اوله والاسم منه الدُّلجة بضم الدال وقيل
ان الدَّلجة بفتح الدال وضمها بمعنى والجد والتأويب
سير النهار وحده والإسآد ان تسير ليلاً ونهاراً
والشحج ان تسير دون الرتك وقوله فاخذهم ما
قدم وما حدث يعني لكثرة ما يتوالى عليهم الهم
ويلاعبهم والدال من حدث تضم في هذا الموضع
وحده ليوافق لفظها لفظ قدم فان افرد حدث
عن قدم وجب فتح الدال من حدث ومثله قولهم
هنأني ومرأني اذا ذكر مع هنأني فان افردته وجب
ان تقول امرأني الشيء وكذلك رجس نجس فتكسر النون
من نجس وتسكن الجيم منه ليزاوج لفظة رجس فان
افردت قلت نجس بفتح النون والجيم كما قال الله تعالى

انما المشركون نجس وقوله ومذهبنا تحت كل كوكب
هذا المثل يضرب لمن يختلف في السفر قصدهم ويتباين سبلهم

المقامة الخامسة والاربعون

حكى الحارث بن همام قال كنت لهجت مذ عزاولي التجارب ان
السفر مرآة الاعاجيب فلم ازل اجوب كل تنوفة
واقتحم كل مخوفة حتى اجتليت كل اطروفة فمن
اعجب ما اجتليته واغرب ما استملحته اني حضرت قاضي
الرملة وكان من ارباب الدولة والصولة وقد رافع
اليه بالٍ في ذات جمال غالٍ فهم الشيخ بالكلام
وتبيان المرام فمنعته الفتاة من الافصاح وجاذبته
عن النباح ثم نضت عنها فضلة الوشاح واندفعت
بلسان السليطة الوقاح

يا قاضي الرملة يا ذا الذي في يده التمرة والجمره

إليك أشكو جور بعلي الذي لم يحجج البيت سوى مرّه

وليته لمّا قضى نسكه وخفّ ظهرًا إذ رمى الجمره

كان على رأي أبي يوسف في صلة الحجّة بالعمره

هذا على أنّي مذ ضمّني إليه لم أعص له أمره

فمرّة أمّا الغنى حلوة ترضي وأمّا فرقة مرّه

من قبل أن يخلع ثوب الحيا طاعة للشيخ أبي مرّه

فقال لها القاضي قد سمعت ما عزيتِ إليه ثم عذّله

عليه فجانبت ما غرّك وحاذر أن تغرك فحبسا

الشيخ على تعنّته وتحيّن بنبوع تعنيته وقال

اسمع عذالك اللوم في امرئ يوضح فيما أبدا عذره

والله ما أعرضت عنها قلًى ولا هوى قلبي في ندره

وإنّما الدهر عدا صرفه فابتزّنا الدرّة والذرّه

وهو

ممنز لي فقر كما جيدها عطّلن من الجرعة والشذره

وكنت من قبل أذى في الهوى ودينه رأي بني عذره

فمذ نبا الدهر فجرّت الذي جرّ إلى عقد يد جذره

وملت عن حرثي لا رغبة عنه ولكن أتّقي بذره

فلا تلم هذه حالة واعطف عليه واحتمل عذره

قال فلما فطنت المرأة من مقاله وانتضت الحجج لجداله

وقالت له أفّ لك يا من قعقاع يا من هو لا طعام ولا

لطعان أتضيق بالولد ذرعًا والكل كولبة مرعى لقد

ضلّ فهمك وأخطأ سهمك وسفهت نفسك وشقيت

بك عرسك فقال لها القاضي أمّا أنتِ فلو جادلتِ

الخنساء لانثنت عنك حسيرًا وأمّا هو فإن كان

صدق في زعمه ودعوى جدّته فله في همّ فقبيح

ما جعلته عن ذريّته ما طرقت تطرا زوار أولا و

ثم رجع حوارًا حتى قلنا قد راجعها الحصر وحاق بها
الظفر فقال لها الشيخ تعسًا لك أتزدرين أو تمتنين
بما عرفت فقالت ويلك وهل بعد المنافرة كتم أو بقي لنا
على سر ختم وما فينا الأمر صدق وهتك صوفه
إذ نطق مثلبنا الأفيتا البكم ولم نلو الحكم ثم البعث
بوشاحهما وتباكت لانفضاحهما وجعل القاضي يعجب
من خطبهما ويعجب بلوم الدهر لهما ويوثب ثم أحضر
من الورق العين وقال أرضيا بهما الأحوفين وعاصيا
التنازع بين الزوجين فشكراه على حسن السراح وانطلقا
وبهما كالماء والراح وطفق القاضي بعد مرحهما
ينافي شيخهما يثني على أدبهما ويقول هل من عارف بهما
فقال له بعض أعوانه وخالصة خلصائه أما الشيخ
فالسروجي المشهود بفضله وأما المرأة فعرسه

رجليه إنا كلاهما لكبيبة من فعله وأحبولة من حبائل
حيله فأحفظ القاضي ما سمع وتلهف كيف خدع
ثم قال للحواشي بهما ثم قرّبهما ثم افصدهما وصدّهما
فنهض بعض من ذوي يديه ثم عاد بضرب أصداغه فقال
له القاضي أظهرا على ما نبيّن ولا تخفيا ما استخفيت
فقال ما لك لتستغرى الطروق ولتستبيح الغلوق
إلى أن أدرككما مصيركما وقد زاغ ما طوى البين عنهما
في العلل وكفلت لهما بنيل الأمل فاشرأب قلب الشيخ
أن تباشر وقال الغفور يغفر ذنب الكبير وقال النبي بل
العبد لعبد والحر وقد أتينا بكم فلا تبين للشيخ
سعيد دابها واغترار لغرابيها أحبك دلالها ثم أنشأ يقول لها
دونك نصحي فاقتفي سبله واغني عن التفصيل بالجمله
طيري متى تعرف من نخلة وطلعها بثه بنخله

وغادرني العود البها ولو سلها بأظفورك الأبلة
تخيّر ما اللص ارتآه بقعة فيها له عيشه
ثم قال لي لقد عنيت بما أتيت فارجع من حيث جئت وقل
لمن يليك لمن يغيب اللسان لمستدع وبذل لا
تعقب جميلك بالأذى فتفضح وتمهل المال واحمد منصح
ولا تغضب عن تزيد سائل جامد في صوغ اللسان لمبتدع
وإن تك قد ساءتك مني خليقة فمثلك شيخ أسعر من قد خدع
فقال القاضي قاتل الله ما أعين تجحه وأملح فنونه
ثم إنه أصحب ابنه بردين وصرة من العين وقال
له سر مصحبه من أبيك لا التفات إلى لوم الشيخ و
الفتاة قيل بدعتها بهذا الحباء وبين لهما انخداعه
للأدباء قال الراوي فلم أر في اغتراب كهذه العجاب
ولا سمعت بمثله ممن جال وجاب

المقامة السادسة والأربعون

حدث الحارث بن همام قال نزعني إلى حلب شوق غلب
وطلب يا له من طلب وكنت يومئذ خفيف الحاذ
حثيث المحاذ فأخذت أهبة السير وخففت
نحوها خفوق الطير ولم أزل مذ حللتها أربع بها وأ
رتبع بها أماني الأيام فيما يشفي الغرام ويروي
الأوام إلى أن أمض القلب عزوف وعمد وطاد
غراب البين بعد وقوعه فآخر إلى البال الحلو و
المزج الحلو بأن أقصد حمص لأصطاف بقعتها
وألبث دفاعة أهلها فأسرعت إليها إسراع
النجم إذا انقض للرجم وحين خيمت بربوعها
ووجدت نفح نسيمها لمحت في شجا فدافيك هريبة

وأدبر عنه وعنده عشرة صبيان صنوان وغير صنوان فطاوعت في قصده الحرص لاختبر ما أدبار حمص فنبشر إليه حين وافيته وحيا بأحسن مما حييته فجلست إليه لأبلو جنا ظرفه وأكتنه كنه حميته فما لبث أن أشار بعصيته إلى أكبر أصيبيته وقال له أنشد الأبيات العواطل واحذر أن تماطل فجثا جثوة ليث وأنشد من غير ريث

أعدد لحسادك حد السلاح · وأورد الآمل ورد السماح

وصارم اللهو ووصل المها · وأعمل الكوم وسمر الرماح

واسع لإدراك محل سما · عماده لا لادراع المراح

والله ما السؤدد حسو الطلا · ولا مرام المرء ورد الراح

واها لحر صدره واسع · وهمه ما سر أهل الصلاح

مورده حلو لسؤاله · وماله ما سأله مطاح

ما أسمع الآمل ردا ولا · أمطله والمطل لؤم صراح

ولا أطاع اللهو لما دعا · ولا كسا راحا له الكأس راح

سوده إصلاحه سره · وردعه أهواءه والطماح

وحصل المدح له علمه · بأن مهر العرس مهور الصحاح

فقال له أحسنت يا بدير يا بدر الدوير ثم قال للتلو المستنبت صنوه ادن يا نويرة يا قمر الدويرة فدنا ولم يتباطا حتى حل منه مقعد المتعاطي فقال له اتل الأبيات العرائس وإن لم يكن نفائس فبرى القلم وقط ثم انتضى اللوح وخط

فتنتني فجننتني تجني · بتجن يفتن غب تجني

شغفتني بجفن ظبي غضيض · غنج يقتضي تغيض جفني

غشيتني بزين فشفتني · بزي يشف تبر نقي

فتظنيت تحسبني فتجنبني · بتغيب ينبغي تجنيب ظني

نبتت في غش جيب بزين · جيب يبغي تشفي ضغن

ويرتع في مجتنى فتنتي بسبح يسبح بعقد فقر

فلما نظر الشيخ الى ما حبّره وتصفح ما زبره قال له بورك

فيك من طلا كما بورك في لا ولا ثم هتف اقرب يا قطرب

فاقترب منه فتى يحكي نجم دجية او تمثال دمية فقال

له ارقم الابيات الاخياف وتجنب الخلاف فاخذ القلم

ورقم اسمح فبث السماح زين ولا تخب آملا تضيف

ولا تجز رد ذي سؤال فتن ام في السؤال خفف

ولا تظن الدهر يبقي مال ضنين ولو تقشف

والحلم فخر الكرام يعزى وصدرهم في العطاء تعفف

ولا تخن عهد ذي وداد ثبت ولا تبغ ما تزيف

فقال له لا شلت يداك ولا كلت مداك ثم نادى يا غنيم

يا عطر منشم فلباه غلام كدرة غواص بجؤذر قناص

فقال اسطر الابيات المتايم ولا تكن من المتايم

فتناول القلم المثقف وكتب ولم يتوقف

زينت زينب بقد يقد وتلاه ويلاه نهد يهد

جندها جيدها وظرف وطرف ناعس ناعس بحد يحد

قدرها قدرها وباهت وباهت واعتدى واعتدى بوجد وجد

فارقتني فارقتني وشطت وسطت ثم وجد وجد

فدنت فدنت وجنت وحنت بعضا بود يود بجد

فطفق الشيخ يتامل ما سطره ويقلب بصره فلما

استحسن خطه واستصلح ضبطه قال لا شلت

عشرك ولا استخشب نشرك ثم اهاب بغلام يفتر

عن ازاهر بستان فقال له انشد البيتين المطرفين

المشتبهي العرفين اللذين اسكتا كل نافث وامنا ان

يعززا بثالث فقال له اسمع لا وقر سمعك ولا هزم

جمعك وانشد من غير تلبث ولا تريث

ثم سمة تحيش آثارها وأشكل لمن أعطاه توهيمه
والمكن مهما استطعت فانه ليقتني السؤدد والمكرمه
قال أحدق يا زغلول وأقدنا يا أبا الغلول ثم نادى وصيح
يا يا سين ما يشكل مرده إن السين فنهض ولم يتاق
نفس الدواة ورسغ الكف ثابتة مبينا مما أزمع خاطره ترديدا
وهكذا السين في نسب ناسفة والسغب والجم وانسر اقتبس قبسا له
وفي تنفست بالليل الكلام وفي خبط وعوص الخذ جرسها
وفي قريس كره فاربح تخذ الصواب مني ولن المعلم حنبسا
فقال له أحسنت يا نغيش يا صناجة الجيش ثم قال
ثب يا عنبسة و يا بن الصادات الملتبسة فوثب وبنته
بشبل متّاد ثم أنشد من غير عشاد
بالصاد يكتب قد قصصت ذرايما بأناملي واصح كيمغ الخبر
وبصقت أبصق والصماخ وصخرة والقص وهو الصدر
واقتص الأثر

وتخصصت تعلقه وهذي رضصت فدار عدد وحنة الفريصة للمحوة
وقصر رهبة التي حبست وقد دنا فصح المصادي ومتوعد منتظر
ورصصته والحص فارصه إذا احذر اللسان وكل هذا بنظر
فقال له رعيا لك يا بني فقد أقررت عيني ثم استنهض
ذا لحية كالبندق وبغية كالسوذق وأمره أن يقف
بالمرصاد ويرد ما الحي فيه على السين والصاد
فنهض يسحب بردية ثم أنشد منشدا بيديه
إن شئت بالسين فاكتب ما أبينه وإن تشا فهو بالصاد إن تكتب
مغص ومغص وبر طار وملص وسالغ وصراط الحق والسقب
المغص الوجع المعترض في الجوف وهو مثل الغص
والقعص قعص البيضة ومقص الطائر حركي فبيدها
والمسطار الخمرة المرة ويقال لها المسطارة أيضا
والمملس الذي يسقط من مكة والشعر عمرو السالغ

قوله إذا الفعل يوما غم عنكم بيانه ... [illegible]

[illegible]

أحرا استار ذوات الظلم والسقب الغرب الساجعات

وسفر والتسوتي ومسلاق عن كل هذا الفصيح الكتب

والساجعات جانها الغم والمسلاق الشديد الصوت

ومنه قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد فقال الحسب

يا جيفة يا غير يعنة ثم نادا يا دعفل يا بازنقل

فلباه فتى لعيس من بيضة في روضة فقال له ما عقد

هجل كم الافعال التي اخرها حرف اعتلال فقال اسمع الاسم

صدا كم لا بعثت عداكم ثم انشد وما اسر شاد

إذا الفعل يوما غم عنكم مجاره فالحق به التاء الخطاب والفرق

فإن تر قبل التاء ياء فكتبه بياء والا فهو يكتب بالالف

ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي تعداه والمهموز في ذاك يختلف

وطرب الشيخ لما اداه ثم عوذه وفداه ثم قال لهم

يا فقعاع يا يا فقعة القاع ما قبل فتى لعيس من نادر

[illegible] ان كانت [illegible] الياء [illegible] الواو [illegible] الالف الثاني ضاعفا الكتب
[illegible] [illegible] المقصور [illegible] [illegible] بالياء [illegible] كان
[illegible] الياء نحو الحيا والعليا والدنيا [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] الخليل قال الكسائي نحو الكبرى والذكرى والظلمى [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في كلامهم [illegible] دعوت [illegible] قلبوا [illegible]
[illegible] بالياء [illegible] المحققون [illegible] [illegible]
في كتبة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من ذوات [illegible]
نحو [illegible] [illegible] والنا و [illegible] استنادا تقول [illegible]
وبارت وشاوت [illegible] واستكانت ومنهم من [illegible] وشاى بالياء [illegible]
[illegible] من ذوات الثلاثة [illegible] في الهمزة [illegible] وجزؤ [illegible]
[illegible] الالف الواو والياء [illegible] [illegible] في ذات وبرئت [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فلا تكتب لها صورة اصلا
وان كانت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على الهمزة المتحركة
اذا تحرك ما قبلها كتبت على صورة الحرف الذي منه حركة ما قبلها [illegible] [illegible] والهمزة
في الكتابة [illegible] احكام [illegible] احكام [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المنصوب [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
وهذا الباب اطول من ان [illegible] هذا الموضع ٥

القرى في عين ابن الشري فقال لنا اصدع بما يبين الظاء
من الضاد لتصدع الكبار المضلاء فاجبته بقوله وا
منتي وانشد بصوت لحن ايها السائل عن الضاد
والظاء لكيلا تضله الالفاظ ان حفظ الظاءات
يغنيك فاسمعها استماع امرئ له استيقاظ هي
ظمياء والمظالم والاظلام والظلم والظبي واللحاظ
والعظا والظليم والظبي والشيظم والظل واللظى
والشواظ والتظني واللفظ والنظم والتقريظ والقيظ
والظما والالحاظ والحظي والنظير والظئر والحظ والنا
ظر والايقاظ والتشظي والظلف والعظم والظنبوب
والظهر والشظا والشظاظ والاظافير والمظفر
والمحظور والحافظ والاحفاظ والكظم والمظنة
والظنين والكاظم والمغتاظ والوظيف والمواظب

والكِظّة والانتظار والإغاظة ووظيف وظالع وعظيم
وظَهير والوَعْظ والوُعّاظ ونَظيف والظُّرُق والظِّلْف
الظَّليم ثم العِظَبْع ثم الغِلاظ وعُكاظ والظُّفُر
والمَظّ والحَنْظَل والقارِظان والأوشاظ والظَّهارِف
والظَّهائر والظُّهْران ثم الظِّرّان والأرعاظ الظِّهارات
جمع ظِهارة ضدّ البِطانة والظَّهائر جمع ظَهيرة وهو
نصف النهار والظُّهْران جمع ظَهْر وهو ما ظهر من ريش
السهم والظِّرّان الحجارة والأرعاظ جمع رُعْظ وهو مدخل
النصل من السهم وظِراب الظِّرّان
والشَّظَف الباهِظ والجِعْظَريّ والجوّاظ
الظِّراب الرُّبى الصغار واحدها ظَرِب والظِّرّان الحجارة
المحدّدة واحدها ظُرَر والجِعْظَريّ المنتفخ بما ليس
عنده والجوّاظ الفاجر وقيل الأكول المختال والشَّظَف

البؤس وسوء العيش والظَّرابين والخَناظِب
والعُنْظُب ثم الظِّيّان والأرعاظ الظَّرابين جمع
ظَرِبان وهي دابّة لا يُطاق نتنُها وتُجمع أيضا على ظَرابي
بحذف النون وعلى ظِرْبى وهو جمع شاذّ ولم يجئ الجمع على فِعْلى
إلّا ظِرْبى هذا وحِجْلى جمع حَجَل والخَناظِب ذكور الخنافس
والعُنْظُب ذكر الجراد والظِّيّان ياسمين البَرّ والأرعاظ
جمع رُعْظ وهو مدخل النصل في السهم والشناظي
والدَّلَنْظى والظَّأب والظَّبْظاب والعُنْظُوان
والجِنْعاظ الشناظي نواحي الجبل والدَّلَنْظى الدافع
والظَّأب الصَّخَب وقد يُبدَل الباء آخره جيما وقيل إنّ
الظَّأب والظَّأم اسمان لسِلْف الرجل والعُنْظُوان نبت
والظَّبْظاب الداء يقال ما به ظَبْظاب كما يقال ما به قَلَبة
والجِنْعاظ الأحمق وقيل المتسخّط عند الطعام

والشاطر والعاطل والظالم والباطل بعد
الالغاظ الشاطر جمع شنظير وهو السيء الخلق
والعاطل ملازم الكلاب في الجادة عند السفاد والظلم
الخطمي وهو نبت معروف يقال الخطمي بفتح الخاء
في هذه سوى النوادر فاحفظها ليفقهوا
وافيض فيما صرفت منها كما قصيت في اصله لفظ وفاظا
فقال له الشيخ حييت لا فض فوك ولا بسر عن نجعوك
فوالله انك مع الصبي الغض الحفظ من ارض والجع
من يوم العرض لقد اوردتك وزعنفتك الى ونفقتكم
تنفيق العوالي فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا
تكفرون قال الحرث بن همام فعجبت لما ابدى من
براعة معجونة برقاعة واظهر من حذاقة ممزوجة
بحماقة ولم يزل نظري فيه يصعد ويصوب ويتعرف

عنه ويتعقب انا لكن ينظر في ظلماء او يسري في بهماء
فلما استرابت تبهمي واستبانت تدلهي حماق الي
وتبسم وقال لم يبق من يقوم بهم فتهمت لفحوى كلامه
ووجدته ابا زيد عند ابتسامه ولقد غب الوعل على
تدرج بنعمة التوكي وتخبي حرفة الحمقى وكان و
جهه اسفع رمادا او اشرب سوادا الا انه انشد
تجربة حمص فهذي الصناعة لا رزق حظي اهل الرقاعة
فما يصطفي الدهر غير الوقيح ولا يوطن المال الا بقاعه
ولا احظى اللب من دهره سوى ظالع غير ربيط بقاعه
ثم قال اعالم المعلم اشرف صناعة وارج بضاعة
وانجح شفاعة وافضل براعة وربه ذو امرة
مطاعة وهيبة مشاعة ورعية طائعة ينسطر تسطر
تسيطر امير ويرتب ترتيب وزير ويتحكم تحكم قدير

ويبتسم بلى ملك كبير الا انه بجرو ام المدبر
ويتسم بحق شهير ويتقلب لعقل صغير ولا بنيك جنيد
جنيد فقلت له تالله انك لابن كابام ومعلم الاعلام
والساحر اللاعب بالافهام المذلل له سبل الكلام
ثم لازمته معتكفا بناديه ومغترفا من سيل واديه الى
ان غابت الايام الغبر ونابت الاحداث الغير ففارقته وعيني دامعة

المقامة السابعة والاربعون

حدث الحرث بن همام قال احتجت الى الحجامة وانا بحجر اليمامة
فارشدت الى شيخ يحجم بلطافة ويسفر عن ظرافة فبعثت
غلامي لاحضاره وارصدت نفسي لانتظاره وابطأ
بعدما انطلق حتى خلته قد ابق وركب طبقا عن طبق
ثم عاد عود المخفق مسعاه الكال على خطاه فقلت له ويلك لم

ابطأ قصده وصلوده ربه فزعم ان الشيخ اشغل من ذات
النحيين وفي حرب كحرب حنين فعجبت المشي الى الحجام
فحرت بين اقدام واحجام ثم رايت الا تعنيف على من
يأبى الكنيف فلما شهدت موسمه وشاهدت ميسمه
رايت شيخا هيئته ظريفة وحركته خفيفة وعليه
من النظارة اطواف ومن الزحام طواف وبين يديه
فتى كالصمصامة مشتهف للحجامة والشيخ يقول
له اراك قد ابرزت راسك قبل ان تبرز قرطاسك وتلبيني
فذلك لم نفعل ذلك ولست ممن يبيع نقدا بدين
ولا يطلب اثرا بعد عين فان انت رضيت بالعين حجمتك
في الاخدعين وان كنت ترى الشح اولى وحب الفلس
في النفس احلى فاقرا عبس وتولى واعزب عني والا فالعني
الغني والذي حرم صنوع المين كما حرم صيد الحرمين

إني أفلس من ابن يومين فثق بسيبك تلغني وارطب لي عيشي
فقال له الشيخ ويحك إن مثل الوعد كمثل العود بين
أن يدركه العطب ويدارك منه الرطب فما يدريني أيحصل
من عودك جنى أم أحصل منه على ضنى ثم ما الثقة
بأنك حين تنجد ستفي بما تعد وقد صار الغدر كالحجل
في حلية هذا الجيل فارحني بالله من التعذيب أرحل
الوجبة بجدي الذيب فاستوى الغلام إليه وقد استولى
الخجل عليه فقال والله ما يخيس بالوعد غير الخسيس
الوغد ولا يرد غدير الغدر إلا الوضيع الغدر ولو عرفت
من أنا لما أسمعتني الخنا لكنك جهلت فقلت وحيث فيجب
أن تسجد بلست فما أفتح الغربة وإقلال وأحبي نزل
من والى الغريب أطول الذيل عمن هو فكيف حال
غريب ماله موئل ولكنه فما بين الحر موجعة فالمشتكى

بسحق الكافة حشنوف وطالما اصطلى الياقوت جمر غضى
ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت فقال له الشيخ بأوليه
أبيك وعولة أهليك أأنت في موقف فخر بعظم وحسب
بشعر أم موقف جالد بكسط وفقا بشرط وعنك
كما ادعيت أن لك أنسبا يحصل لك كحجم فدالك
لا والله ولو أن أباك أنا وعلي عبد مناف أو خالك دار
عبد المدان فلا تضرب في حديد بارد ولا تطلب ما لست
له بواجد إذا ما هنت ابن موجودك لا بجدود وعلى
محصولك لا بأصولك وبصفاتك لا برفاتك وبأعلاقك
لا بأعراقك ولا تطع الطمع فيذلك ولا تتبع الهوى
فيضلك ولله القائل لابنه: بني استعن فالعز في عزوفه
ومنها بمعناه إذا ما النوى ينوي ولا تبع الحرص المذل وكن فتى
إذا التهبت أحشاؤه بالطوى طوى وعاص الهوى المردي فكم من محلق
إلى النجم لما أن أطاع الهوى هوى

والسعي في القربى فيقبح أن تُرى علمًا الى أجل اللباب أنضوى
وحافظ على من يحتويك إذا أتى بأنٍّ ومن يُعنى على أدامَ الهوى
وإن تعتذر فاصفح فلا خير في امرئ إذا اعتلقت أطفاره الشر ما
وإياك والشكوى فلم أر ذا نهى شكا بل حواه الجهل لأنوا وعي
فقال الغلام للنظارة بالأعجوبة والطرفة الغريبة
أنفٌ في السماء واستٌ في الماء ولفظ كالصهباء وفعل
كالحصباء ثم أقبل على الشيخ بلسان سليط وغيظ
مستشيط وقال أفٍّ لك من صوّاغ باللسان روّاغ
عن الإحسان تأمر بالبر وتنعى عقوق الدهر فإن يك عتب
لتعبيك نفاق صنعتك فرماك الله بالكساد وإفساد
الحساد حتى تتمنى أن تخرج من حمام ساباط وأضيق
من سم خياط فقال الشيخ بل سلّط الله
عليك تبيّغ الدم وتبيغ الدم حتى تلجأ الى حجام عظيم

الإفراط ثقيل كالأشراط كليل المشراط كثير الضراط
والمخاط قال فلما تبين الفتى أنه يلجأ الى غير مجيب
ويزاول لاستفتاح باب مصمت أضرب عن رجع الكلام
واحتفز للقيام وعلم الشيخ أنه قد ألمّ بما أتمّ
الغلام فجنح الى سلمه وبذل الزبد عن كلمه ولا يبغي أجرًا
على حجمه وأبى الغلام إلا المشي بدائه والهرب من لقائه
وحاذ إلا عن جاذبه ومساورته وجذابه الى أن صحّ الفتى
من الشقاق فتلا زكية سورة الانشقاق فاغرورق جفنيه
لفراق خِبّه وانفطاط عضد حرفته وانخذال الشيخ
بعتيد من فرطاته ونقيض من عبراته وهو لا يصغي
الى اعتذاره ولا ينفض عن استعبار الى الرفاهه
عنك وعداك ما يغمك أما يشام الأقوال أما تعرف العمال
أما تمحّض من أقوال الحذ بقول من قال

لكنّ صروف الدهر غادرنني كحاطبٍ في الليلة المظلمه
واضطرّني الفقر إلى موقفٍ من دونه خوض اللظى المضرمه
فهل فتًى يدركه رقّةٌ عليّ أو تعطفه مرحمه
قال الحرث بن همام فكنت أول عزاني لبلواه ورقّ لشكواه
فنفحته بدرهمين وقلت ألا إذا أمنت فابتهج بالكره
جناه وتعال بهما لعناه ولم يزل الناس يتهالون عليه
ويتثالّون له حتى آض ذا عيشةٍ خضراء وحقيبةٍ
بجره فأدمجه الفرح عند ذلك وهنّأ نفسه هنالك
وقال هذا ربعٌ أنت بذرته وحلبت لك شطره فهلمّ لنقتسم
ولا تحتشم فتقاسماه بينهما شقّ الأبلمه ونهضا
منتقي الكلمه ولمّا انتظم عقد الاصطلاح وهمّ الشيخ
بالرواح فقلت له قد سوّغ ذحجي ونكلت لك قدحي
فهل لك أن تحجمني وتكشف ما دهمني فصوّب طرفه

لأخذت بحلمك ما ينكيه ذو سفهٍ من نار غيظك واصفح إن جنى جاني
فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به والأخذ بالعفو أحلى ما جنى جاني
فقال له الغلام أما إنك لو ظهرت على عيشي المنكد
لعذرت في دمعي المنهمر ولكن هان على الأملس ما لاقى الدبر
ثم إنه نزع إلى الاستخذاء وأقلع عن البكاء وفاء إلى
الارعواء وقال للشيخ قد صرت إلى ما لست تهب فارفعه
يا أوهب فقال هيهات شغلت شعابي جدواي فيمم
يا رفيق بلواي ثم إنه نهض يستقري الصفوف ويستجدي
الوقوف إلى أن نضّ له ما يطوف

أقسم بالبيت الحرام الذي تهوي إليه الزمر المحرمه
لو أن عيني مذ نحو يومٍ لما أبيت المشرط والمحجمه
ولا ارتضت نفسي التي لم تزل تسمو إلى المجد بهذي السمه
ولا اشتكى هذا الفتى غلظةً مني ولا شاكته مني حمه

فتى وصعقه ثم اذلعف الى وانشد
كيف رأيت حذقي وختلي وما جرى بيني وبين بعلي
حتى انثنيت فائزا بالخصل ارعى رياض الخصب بعد المحل
بالله يا مهجة قلبي قل لي هل ابصرت عيناك قط مثلي
بعض بالرقية كل مقل وجيبي بالسحر كل عقل
وبحر الجد بماء الهزل ازكن الاسكندري قبلي
فالطل قد يبدو امام الوبل والفضل للوابل لا للطل
قال فنبهتني احوزته عليه وارتني انه منتها المثار
اليه فعفرت عنه على الابتذال لما تجاوز حد الفاخر
عما سمع ولم يبال بما فزع وقال كل الجدا يجزي
الجاني الوقع ثم فاصا تغار صباه السلطان وابتدكه شي
زمان قال القسم بن علي اعلمه الله سبحانه بمنه فلوحه
هذه المقامة خمسة عشر مثلا من امثال العرب فمنه

مثلها ما جلبته بالتبس على عنز يقتبس الا قولة
فتادم هو مولى غانية بنت سعد بن ابي وقاص وكانت
بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا فقصد مصر
وأقام بها سنة ثم جاءها بعد السنة يشتد ومعه
جمر فتبدد جمره فقال تعست العجالة ولعا
ذات النحيين هي امراة من تيم الله بن ثعلبة حضرت
سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى بها خوات
بن جبير الانصاري ليبتاع منها ففتح احدهما
وذاقه ودفعه اليها فامسكته باحدى يديها وفتح
الاخر وذاقه ودفعه اليها فامسكته بيدها الاخرى
ثم غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها
النحيين وشحها على السمن فلما قام عنها قالت
لا هناك فضرب بها المثل فيمن شغل وهي في هذا المثل

مفعوله لانها شغلت اكثر الامثال التي على افعل من
من فعل الفاعل واما قوله انفذ في السنا وامضى في الماء
يضرب هذا المثل لمن يكثر مقالا ويصغر فعالا واما
قوله افرغ من حجام ساباط فقد حكي انه كان حجاما ملازما
بساباط المدائن يحجم الجند بدانق نسيئة وربما مر
عليه الجند لا يعرف منه احد فكان يبرز امه عند
تمادي عطلته فيحجمها لكيلا يبرح بالبطالة ثم ما زال
يحجمها حتى نزف دمها وماتت واما قوله يشكو
الى غير مصمت فهو مثل يضرب لمن لا يكترث بشان صاحبه
ولا يبالي باستمرار شكايته لانه لو اشكاه لصمت وامسك
عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جملا له انك لا تشكو الى مصمت
فاصبر على الحمل الثقيل او مت ونحو هذا المثل هان على
الاملس ما لاقى الدبر واما قوله شغلت شعابي

جدواي فالمراد به ليس يفضل عني ما اصرفه الى غيري
والشعاب النواحي واحدها شعب وقوله كل الحذاء
يحتذي الحافي الوقع ومعناه ان المجهود يقنع بما يجد
والوقع ان تصيب الحجارة القدم فتوهنها واما البعير
الموقع فهو الذي تكثر آثار الدبر بظهره

المقامة الثامنة والاربعون وتعرف بالحرامية

روى الحارث بن همام عن ابي زيد السروجي قال ما زلت مذ رحلت
عنسي وارتحلت عن عرسي وغرسي احن الى عيان البصرة
حنين المظلوم الى النصرة لما اجمع عليه ارباب الدراية
واصحاب الرواية من خصائص معالمها وعلمائها
ومآثر مشاهدها وشهدائها واسال الله تعالى ان يوطئني
ثراها لافوز بمرآها وان يمطيني قراها لاقتري قراها

فلما اجتليتها الحظ وسرح لي فيها اللحظ شعر

رأيت بها ما يملأ العين قرة ويسلي عن الأوطان كل غريب

فغلست في بعض الأيام حين نصل خضاب الظلام وهتف أبو المنذر بالنوام لأحظى في خططها وأقضي الوطر من توسطها فأداني الاختراق في سككها إلى محلة موسومة بالاحترام منسوبة إلى بني حرام ذات مساجد مشهودة وحياض مورودة ومبان وثيقة ومغان أنيقة وخصائص أثيرة ومزايا كثيرة

بها ما شئت من دين ودنيا وجيران تنافوا في المعاني

فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات المثاني

ومضطلع بتلخيص المعاني ومطلع إلى تخليص عاني

وكم من قارئ فيها وقار أضرا بالجفون وبالجفان

وكم من معلم للعلم فيها ونادٍ للندى حلو المجاني

ومغنى ما تزال تغن فيه أغاريد الغواني والأغاني

فصل إن شئت فيها من يصلي وإما شئت فادن من القيان

ودونك صحبة الأكياس فيها أو الكاسات مطلق العنان

قال فبينما أنا أنفض طرقها وأستشف رونقها إذ لمحت عند دلوك براح وإظلال الرواح مسجدا مشيدا بطلابه بعد من زمرة أطيابه وقد أجرى أهله ذكر حروف البدل وجروا في حلبة الجدل فعجت نحوهم لاستمطر نوءهم لا لأقتبس نحوهم فلم يك إلا كقبسة العجلان حتى ارتفعت الأصوات بالأذان ثم ردف التأذين بروز الإمام فأغمد ظبى الكلام وحلت الحبى للقيام وشغلنا بالفرض عن استتمام الغرض وبالسجود عن لبس اللجوج فلما قضي الفرض وكاد الجمع ينفض انبرى من الجماعة كهل حلو البراعة

لدمع التمساح الحين ذلاقة اللسن وفصاحة الحين

وقال يا جيرتي الأنبين اصطفيتهم على أعصار مصري في نجد

وجعلت خططهم دار هجرتي واتخذتهم كرشي وعيبتي

وأعددتهم لمحضري وغيبتي أما تعلمون أن لبوس

الصدق أبهى الملابس الفاخرة وأن مفضوح الدنيا أهون

من مفضوح الآخرة وأن الدين إمحاض النصيحة والإ

رشاد عنوان العقيدة الصحيحة وأن المستشار

مؤتمن والمستنير بالنصح قمن وأن أخاك هو الذي عذلك

لا الذي عذرك وصديقك من صدقك لا من صدّقك

فقال له الحاضرون أيها الخل الودود والجذل المودود

فاستر كلامك الملغز وما شرح خطابك المعجز فالذي

نبغيه منا النجح ولو أعجز والذي حبانا بالحسنى وجعلنا

من صفوة لخصيتك ما نألوك نصحا ولا ندخر عنك نصحا

فقال حسبتم خبرا أو وقيتم ضيرا فإنكم ممن لا يشقى

بهم جليس ولا يصدر عنهم تلبيس ولا يخيب فيهم مظنون

ولا يطوى دونهم مكنون وسأبثكم ما حاك في صدري

وأستفتيكم فيما عيل له صبري اعلموا أني كنت عند

صلود الزند وصدود الجد تخلصت مع الله نية

العقد فأعطيته صفقة العهد على ألا أسبأ

مداما ولا أعاقر ندامى ولا أحتسي قهوة ولا أكتسي

نشوة فسولت لي النفس المضلة والشهوة المذلة

أن نادمت الأخلاط وعاطيت الأرطال وأضعت الوقار

وارتضعت العقار وامتطيت مطا الكميت وتناسيت

التوبة كالمبيت ثم لم أقنع بما أتيتكما المرح في طاعة

أبي مرة حتى علوت على الخندريس في ربع الخميس وبت

صريع الصهباء في الليلة الغراء وها أنا بادي الكآبة

لو محض الجناية تأبى التداني لوصل المدامة شغر بما
لما شقاق من نقض الميثاق معترف بالاسراف في عبث
فيا قوم هل لكفارة تعرفونها تباعد عن ذنبي وتدني الى ربي
قال ابو زيد فلما حل انشوطة تعنيته وقضى الوطر
من تشكيه بثثت نحوه نفسي يا ابا زيد هذه ثمرة
صيد فسمه عن يد وابد فانتصبت من مجثمي انتصاب
الشهم وانخرطت من الصف انخراط السهم وقلت
~~فاسمعها عجيبة~~ ايها الاروع الذي وجد وجدا
والذي يبتغي الرشاد لجواب غدا لزنّه علاج كابثه منه ام
انا من يأتي مروج دعا الدين والهدى كنت خابثه ماتطاعا
من بغى مالف الصبوة وبالهم لسه اكرم بالله والعيش باكما
لا ابالي بتعنيف طارح في البذل والنهي اوقدا
ورأى المؤتمن ... لم يثم بار في صيد فانثنى على الصدى

ولا ادّكر مقادم فاستخرج ذنبي فاصلها طالما ساعد الزمان وافتر وجدا
معفيًا الله لن يعبر ما كان عهدا يوالزوم ارضيا بعد ونوكدا
فاتبا احواحيم من صالح فوق من جدا وحوبا كان يتبعاني وكابدا
فنظرت في البلاد طريدًا امره اهدى الى الفتى بعد ما كنت من قبل مجد
وكنت بي خصاصة اختى لها الهى والبلاء الذي نحل اليه ... سبيلًا
اسيا لما يبني الى امره وكل لقصدا فاستبق محيني ومد الي يمين بذل
والحق من الزمان نعد جارًا واغتدى واعتق على فكان ليني من بعد العدا
ونحي بذا انحي الملام بمن تم عدا ومن نقبل الجناية ممن فر بعد
وهو كفارة لمن تابع من بعد ما اهتدى ولمن ثم منشد لغد فهو مرشدا
فاقبل النصح والهداية واسلك منهاجي واسمع الاي بالتي هي احمدا
قال ابو زيد فلما انتهيت هذه منى وتم المسؤول صدق
كلمتي اعراء الغم الى الكرم تواساني ورغبة الكلف بجميل
الكلف في مواساتي فضح لي على الحاجة وخرجت بالعدة

الوافرة فانقلبت الى وكري فرحا بنجح مكري وقد حصلت من صوغ المكيدة على صوغ الزبدة ووصلت من حرك العصيدة على ذكر العصيدة قال الحرث بن همام فقلت له سبحان من ابدعك فما اعظم خدعك فاستغرب في الضحك ثم انشد غير مرتبك

عش بالخداع فانت في دهر بنوه كاسد بيشه
وادر قناة المكر حتى تستدير رحا المعيشه
وصد النسور فان تعذر صيدها فاقنع بريشه
واجن الثمار فان تفتك فرض نفسك بالحشيشه
وارح فؤادك ان نبا دهر من الفكر المطيشه
فتغاير الاحداث يؤذن باستحالة كل عيشه

المقامة التاسعة والاربعون

حكى الحرث بن همام قال بلغني ان ابا زيد السروجي حين ناهز القبضة وابتز قيد الهرم النهضة احضر ابنه بعد ما استخار ذهنه وقال له يا بني انه قد دنا ارتحالي من الفناء واكتحالي بمرود الفناء وانت بحمد الله ولي عهدي وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي ومثلك لا تقرع له العصا ولا ينبه بطرق الحصا ولكن قد ينبه الى الاذكار ويجعل صيقلة للافكار واني اوصيك بما لم يوص به شيث الانباط ولا يعقوب الاسباط فاحفظ وصيتي وجانب معصيتي واحتذ مثالي واقتف امثالي فانك ان استرشدت بنصحي واستصبحت بصبحي طاب مغاشك وطال انتعاشك وامرع جنابك وارتفع دخانك وان تناسيت سورتي ونبذت مشورتي قل رمادك [illegible] فيك يا بني اني

لا بلبسه وجربت حقائق الامور وبلوت تصاريف الدهور فرأيت
المرء بنشبه والتفحص عن مكسبه لا عن حسبه وكنت
سمعت ان المعايش امارة وتجارة وزراعة وصناعة فمارست
هذه الاربع لانظر ايها اوفق وانفع فما حمدت منها
معيشة ولا استرغدت فيها عيشة اما فرص الولايات
وخلس الامارات فكاضغاث الاحلام والفيء المنتسخ بالظلام
وناهيك بها غصة بمرارة الفطام واما بضائع التجارات
فعرضة للمخاطرات وطعمة للغارات وما اشبهها بالطيور
الطيارات واما اتخاذ الضياع والتصدي للازدراع
فمنهكة للاعراض ومقيدة عن الارتكاض
وقلما خلا ربها من اذلال او رزق روح بال واما
الصناعات فغير فاضلة عن الاقوات ولا نافقة
في جميع الاوقات ومعظمها معصوب بشبيبة الحياة

ولم ار ما هو بارد المغنم لذيذ المطعم وافي المكسب
صافي المشرب الا الحرفة التي وضع ساسان اساسها
ونوع اجناسها واضرم في الخافقين نارها واوضح لبني
غبراء منارها فشهدت في معاركها معلما واحترفت بها
الى حينما اذ كانت المتجر الذي لا يبور والمنهل الذي
لا يغور والمصباح الذي يعشو اليه الجمهور ويستصبح
به العمي والعور وكان اهلها اعز قبيل واسعد جيل
لا يرهقهم مس حيف ولا يقلقهم سل سيف ولا يخشون
حمة لاسع ولا يدينون لدان ولا شاسع ولا يرهبون
من برق ورعد ولا يحفلون بمن قام وقعد وانديتهم منزهة
وقلوبهم مرفهة وطعمهم معجلة واوقاتهم محجلة
اينما سقطوا لقطوا وحيثما انخرطوا خرطوا لا يتخذون
اوطانا ولا يتقون سلطانا ولا يمتازون عمن تغدو خماصا

وتروح بطانا فقال له ابنه يا أبت لقد صدقت فيما نطقت
ولكنك وما أنفقت فبيّن لي كيف أقتطف ومن أين تؤكل
الكتف فقال له يا بنيّ إن الارتكاض بابها والنشاط
جلبابها والفطنة مصباحها والقحة سلاحها فكن أجول
من قطرب وأسرى من جندب وأنشط من ظبي مقمر وأنشط
من ذيب متنمّر واقدح زندك بجدك واقرع باب
رزقك بسعيك وجب كل فج وخض كل لج وانتجع كل
روض وأدل دلوك إلى كل حوض ولا تسأم الطلب ولا تمل
الدأب فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان من طلب
جلب ومن جال نال وإياك والكسل فإنه عنوان النحوس
ولبوس ذي البؤس ومفتاح المتربة ولقاح المتعبة
وشيمة العجزة الجهلة وشنشنة الوكلة التكلة
وما اشتار العسل من اختار الكسل ولا ملأ الراحة

الراحة

من استوطأ وعليك بالإقدام ولو على الضرغام فإن جراءة
الجنان تطلق اللسان وتطلق العنان وبها تدرك
الحظوة وتملك الثروة كما أن الخور صنو الكسل
وسبب الفشل ومبطأة للعمل مخيبة للأمل ولهذا
قيل في المثل من جسر أيسر ومن هاب خاب ثم ابرز
يا بني في بكور أبي زاجر وجراءة أبي الحارث وختل أبي
جعدة وحرص أبي عقبة ونشاط أبي وثاب ومكر أبي
الحصين وصبر أبي أيوب وتلطف أبي غزوان وجراءة
أبي قرة وتلون أبي براقش واحلب ضرع اللسان
واخرع بحر البنان وارتد السوق قبل الجلب وامتر
الضرع قبل الحلب وسائل الركبان قبل المنتجع وقدم
الجنبة قبل المضطجع واتخذ نصب عينك للعاقبة
وانعم نظرك في العناية فقد فاز من صدق ثم تمطّى

تبعته ومن العظات فإنّه أبطأ في سيره وكن يا بُنيّ
حقيقًا بالكلّ يبلد الذئب إن أعياك الحيل وانعام الوبل
بالطلّ وعظّم وقع الحقير واشكر على اليسير ولا تقنط
عند الردّ ولا تستبعد لفح الصادر ولا تيأس من روح الله
إنّه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون وإذا خُيّرت
بين درّة موعودة وذرّة منقودة فمل إلى النقد وفضّل
اليوم على الغد فإنّ للتأخير آفات وللعزائم بدوات
وللحدثان معقبات وبينهما وبين الإنجاز عقبات وعليك
بصبر أولي العزم ورفق ذوي الحزم وجانب خرق
المشتطّ وتخلّق بخلق السبط وقيّد الدرهم بالربط و
شدّ الدنانير بالضبط ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك
ولا تبسطها كلّ البسط وحتّى نبا بك بلد ونابك فيه
نكد فبت منه كما كنت أملك واسترح عنه حملك بحيث

البلاد ما حملك ولا تستثقل الرحلة ولا تكره النقلة
فإنّ أعلام الشرع تعبوا وأشياخ اجتمعوا على أنّ الحركة
بركة والطراوة سفتجة وزروا على من زعم أنّ الغربة
كربة والنقلة مثلة وقالوا هي تعلّة من قنع
بالرذيلة ورضي بالخسف وسوء الحيلة وإذا أزمعت
الاغتراب وأعددت له العصا والجراب فتخيّر
الرفيق المسعد قبل أن تصعد فإنّ الجار قبل الدار
والرفيق قبل الطريق هذه إليك وصيّة لم يوصها قبلي أحد
عن آبائه خلاصة المعاني والزبد فحمّلتها بفتح من
محض النصيحة والجهد فاعمل بما مثّلته على المبالغ الأشدّ
حتّى يقول الناس هذا الشبل من ذاك الأسد
قال يا بنيّ قد أوصيت واستقصيت فإن قبلت
فواهًا لك وإن أعرضت فوا أحرّنا لك والله خليفتي عليك

وأرجو ألا تغلط ظني فيك فقال له ابنه يا أبت لا وضع
عرشك ولا رفع نعشك فلقد قلت سدادا وعلمت رشدا
ونحلت نحلة الوالد الولد ولئن أمهلني بعدك ولا ذقت
فقدك فلأذيلن بآدابك الصالحة ولأقتدين بآثارك
الواضحة حتى يقال ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية
بالرائحة فاهتز أبو زيد لجوابه وابتسم وقال من أشبه
أباه فما ظلم قال الحارث بن همام فأخبرت أن بني ساسان
حين سمعوا هذه الوصايا الحسان فضلوها على وصايا
لقمان وحفظوها كما تحفظ أم القرآن حتى إنهم ليرونها
إلى الآن أولى ما لقنوا الصبيان وأنفع لهم من نحلة العقيان

المقامة الخمسون وهي تعرف بالبصرية

حكى الحارث بن همام قال أشعرت في بعض أيام همًّا برّح بي

لهم بعاره ولاح على شعاره وكنت سمعت أن غشيان
مجالس الذكر يسرو غواشي الفكر فلم أر لإطفاء ما بي
من الجمرة إلا قصد الجامع بالبصرة وكان إذ ذاك
مأهول المساند مشفوه الموارد يجتنى من رياضه
أزاهير الكلم ويسمع في أرجائه صرير الأقلام فا
نطلقت إليه غير وان ولا لاو على شان فلما وطئت
حصاه واستشرفت أقصاه تراءى لي ذو أطمار بالية
فوق صخرة عالية وقد عصبت به عصب الجمع
من عديدهم وأتباعهم فابتدرت قصده
ثم ذو وره ورجوت لحيد شفائي عنده فلم
أزل أتنقل في المراكز وأتخطى الأكتاف والأكتاد
إلى أن جلست تجاهه وحيث أمنت اشتباهه فإذا
هو شيخنا السروجي لا ريب فيه ولا لبس يخفيه

[illegible] كتيبة [illegible] أني

وبصرتكم كأني قال يا أهل البصرة رحمكم الله ووقيكم

وقوّى تقاكم فما أصوع ديباجكم وأفضل منهاجكم بلدكم

أوفى البلاد طهرة وأزكاها فطرة وأفسحها رقعة

وأمرعها نجعة وأقومها قبلة وأوسعها دجلة

وأكثرها أنهارا ونخلة وأحسنها تفصيلا وجملة

دهليز البلد الحرام وقبالة الباب والمقام وأحد

جناحي الدنيا والمصر المؤسس على التقوى لم يتدنس

ببيوت النيران ولا طيف فيه بالأوثان ولا سجد على

أرضه لغير الرحمن ذو المشاهد المشهودة والمساجد

المقصودة والمعالم المشهورة والمقابر المزورة

والآثار المحمودة والخطط المحدودة بها يلتقي الفلك

والركاب والحيتان والضباب والحادي والملاح

والقانص والفلاح والناشب والرامح والسارح و

السابح ولها آية المد الفائض والجزر الغائض أما

أنتم فلا يخالف في خصائصكم اثنان ولا ينكرها ذو شنآن

دهماؤكم أطوع رعية للسلطان وأشكرهم للإحسان

وزاهدكم أورع الخليقة وأحسنهم طريقة على الحقيقة

وعالمكم علامة كل زمان والحجة في كل أوان ومنكم

من استنبط علم النحو ووضعه والذي ابتدع ميزان

الشعر واخترعه وما من فخر إلا ولكم فيه اليد الطولى

والقدح المعلى وأنتم أحق به وأولى ثم إنكم أكثر أهل

مصر مؤذنين وأحسنهم في النسك قوانين وبكم اقتدي

في التعريف وعرف التسحير في الشهر الشريف ولكم إذا قرت

المضاجع ومجع الهاجع تذكار يوقظ النائم ويؤنس

القائم وما ابتسم ثغر فجر ولا بزغ نوره في بدو ولا حضر

الا و إن ذويكم بالامجاد ذوي كذوي الريح في البجاد وبعدا
عنكم صديع الفلك لحبة النبي صلعم والمعز قيل وبين
أن ذويكم بالامجاد كذوي النحل بالاشجار فسر في الكم
ببشارة المصطفى وأنا المضركم وإن كان قد عفا ولم يبق
منه الا الاشفاق انه حزن لسانه وختم بيانه حتى
حدرج بالابصار ونزع بالامصار يفيض بعض من قيد
لفود او ضيقت به دار ابن اسدتم قال اما بعد انتم
يا اهل البصرة فما منكم الا العلم المعروف ومن له المعرفة
والمعروف فاما انا من عرفني فانا ذاك وشر المعارف
من آذاك ومن لم يثبت عرفني فساصدقه صفتي انا
الذي انجد واتهم وايمن واشام واصحر وابحر
وادلج واسحر نشأت بسروج وربيت على السروج
ثم ولجت المضايق وفتحت المغالق وشهدت المعارك

والنت العرائك وذللت الشوامس وارغمت المعاطس
واذبت الجوامد وامعنت الجلامد سلوا عني المشارق
والمغارب والمناسم والغوارب والمحافل والجحافل
والقبائل والقنابل واستوضحوا الخبر من نقلة الاخبار
ورواة الاسمار وحداة الركبان وحذاق الكهان
لتعلموا كم فج سلكت وحجاب هتكت ومهلكة اقتحمت
وملحمة الحمت وكم الباب خدعت وبدع ابتدعت وفرص
اختلست واسد افترست وكم عقول غادرته لغى وكم
لتضرعت بالرقى وتحير بسحره حتى انصدع واستنبط
ذلك اذ ذاك يخدع ولكن وطا باوطا والغصن رطيب والغد
غريب وبرد الشباب قشيب فاما الآن فقد استشنت
الاديم وتأود القويم واستنار الليل البهيم فليس
الا الندم ان نفع وترقيع الخرق الذي قد اتسع وكنت

رُوِّيتُ في الآثار المسندة والأخبار المستندة أنّ لكم من الله تعالى
في كلّ يوم نظرة ولن سلاح الناس كلّهم الحديد وسلاحكم
الأدعية فقصدتكم أُنضي الرواحل وأطوي المراحل
حتى قمت هذا المقام فيكم ولا عزّ لي عليكم إذ ما سعيت إلّا
في حاجتي والتعب إلّا لدعوتي ولست أبغي أعطيتكم بل
ليُنيل على أدعيتكم ولا أسألكم أموالكم بل أستنزل سؤالكم
فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب والإعداد للمآب فإنّه
رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده ويعفو عن السيّئات ثمّ أنشد

لئن غفر الله من ذنوب فرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلاً ورحت في الغيّ واغتديت
وكم أطعت الهوى اغتراراً وفلت قيد(؟) العلم وافتريت
وكم خلعت العذار ركضاً إلى المعاصي وما ونيت

وكم تناهيت في التخطّي إلى الخطايا وما انتهيت فليتني كنت قبل ... ولم أجنِ ما جنيت
فالموت للمجرمين خير من المساعي التي سعيت يا ربّ عفواً فأنت أهل للعفو عنّي وإن عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمدّه بالدعاء وهو يقلّب
وجهه في السماء إلى أن دمعت أجفانه وبدا رجفانه
فصاح الله أكبر بانت أمارة الاستجابة وانجابت غمامة
الاسترابة فجزيتم يا أهل البصرة جزاء من هدى من الحيرة
فلم يبق في القوم إلّا من سُرّ لسروره ورضخ له بميسوره
فتقبّل عفو برّهم وأقبل يصرف في شكرهم ثمّ انحدر من
الصخرة يؤمّ شاطئ البصرة فأعقبته إلى حيث نحا لنا
وإذ لنا الغيض والحضر علينا فقلت له أغربت في
هذه النوبة فما أبلغ التوبة فقال أقسم بعلّام الخفايا
وغفّار الخطايا لترسّ لي لعجائب لن ... فوق المجالس
فقلت ... في إيضاحها إذ كل لله صلاتنا فقال وإيّاك

لعهدت فيهم مقام المهيب الخادع ثم انقلبت بقلب المنيب
الخاشع فطوبى لمن صغت قلوبهم إليه وويل لمن باؤوا
بدعوته عليهم ثم ودعني وانطلق وأودعني القلق فلم
أزل أعاني الفكر وأستوف الحسرة ما ذكرت وكلما استنشيت
مخبرة من الركبان وجوابة البلدان كنت كمن حاور عجماء
أو نادى صخرة صماء إلى أن لقيت بعد تراخي الأمد وأنى الكمد
ركبا قافلين من سفر فقلت لهم هل من مغربة خبر
فقالوا إن عندنا الخبر أعجب من العنقاء وأعجب من نظر
الزرقاء فسألتهم إيضاح ما قالوا ولم يحيلوا إلى ما أحالوا
فحكوا أنهم ألموا بسروج بعد أن فارقها العلوج فرأوا
أبا زيد المعروف قد لبس الصوف وأم الصفوف وصار بها الزاهد
الموصوف فقلت أتعنون ذا المقامات فقالوا إنه الآن و
ذو الكرامات فحفزني إليه النزاع ورأيتها فرصة الانتجاع

تجدد من الملقى وذرفاني بتصعد من التراقي
كانت هذه خاتمة التلاقي قال الشيخ الإمام
الأجل الرئيس أبو محمد القسم علي بن محمد الحريري
رحمه الله ورضي عنه هذا آخر المقامات التي
أنشأتها بالاعتزاز وأمليتها بلسان الاضطرار
ولما ألجيت إلى أن أرصدتها للمعتراض
ونادت عليها في سوق الاعتراض هذا مع
معرفتي بأنها من سقط المتاع ومما يستوجب
أن يباع ولا يبتاع ولو غشيتني نعم التوفيق
وتشرفت لنفسي نظر الشفيق لسترت
عواري الذي لم يزل مستورا ولكن كان
ذلك في الكتاب مسطورا وأنا أستغفر الله
تعالى مما أودعتها من أباطيل اللغو

واضاليل اللهو واستر نسألك اللهم أن تعصمنا
من السهو وتحظينا بالعفو إنك أنت أهل
التقوى وأهل المغفرة وولي الخيرات
في الدنيا والآخرة

قد فرغ من كتابته وتحريره وقت ... حامداً الله ومصلياً
على نبيه وآله [illegible] الأمين [illegible]
[illegible]
[illegible]
على [illegible] الراجي إلى رحمة ربه العلي
[illegible] اللهم [illegible]
على [illegible] الأخيار

فكم من خطوط باقيات لوائح ... وكاتبها تحت التراب رميم

[illegible] ای [illegible] اظهار